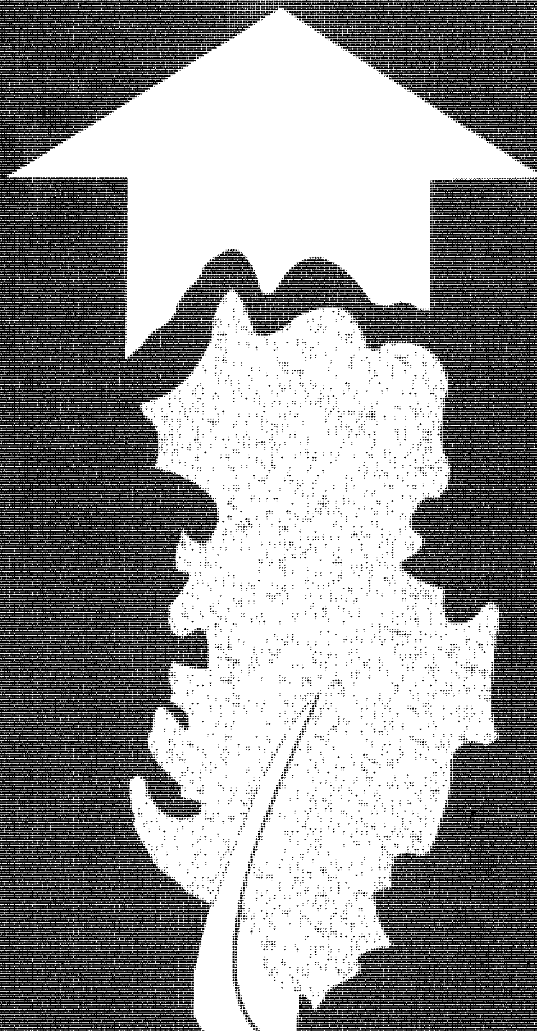
ألبانيا عبر القرن العشرين



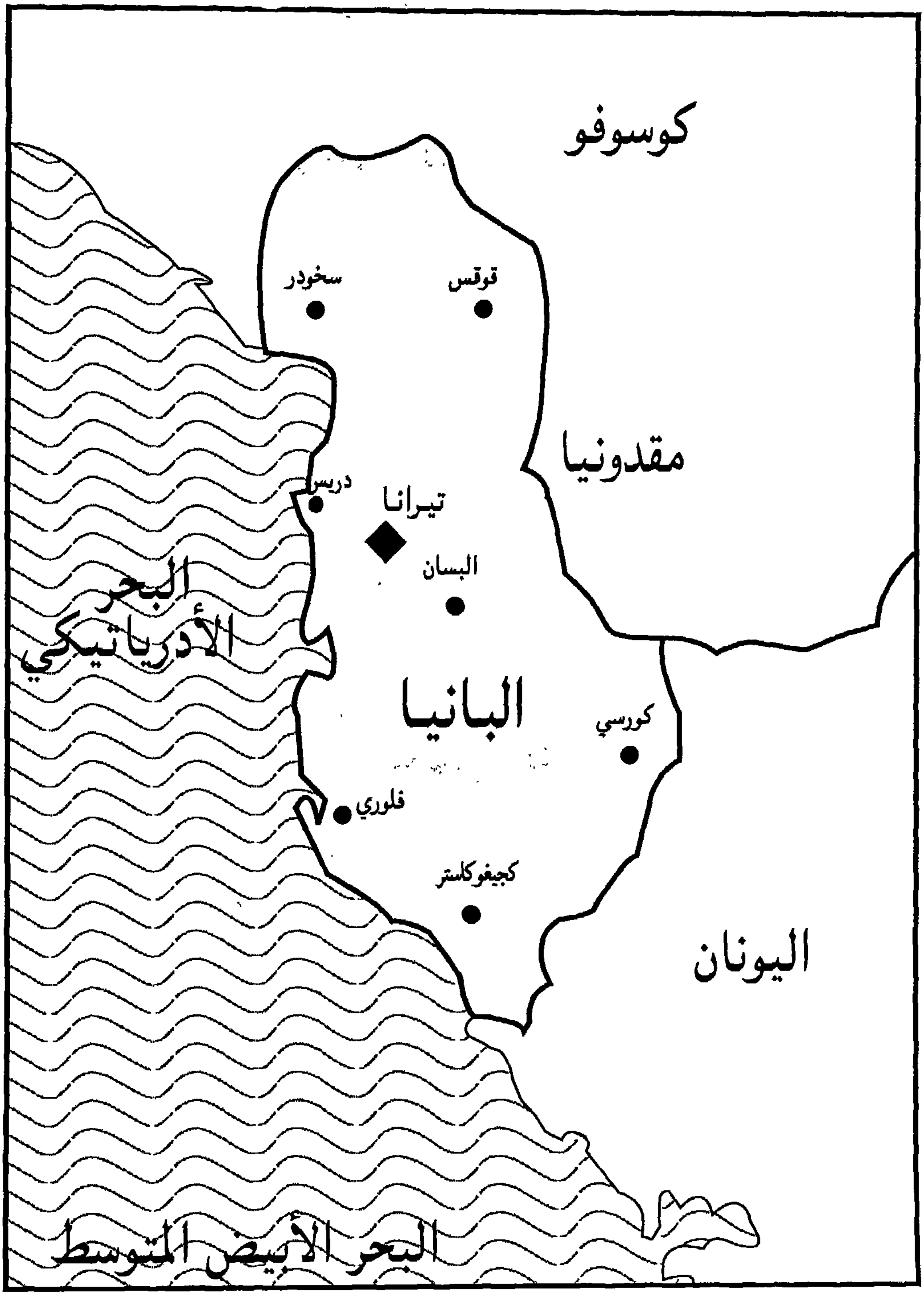
منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

البانيا عبر القرن العشرين

تأليف

الدكتور محمود علي التائب

رقم الإيداع 722
لدار الكتب الوطنية - بنغازي


كوسوفو
سخودر
قوقس
مقدونيا
دريس
تيرانا
البسان
البحر
الأدرياتيكي
البانيا
كورسي
فلوري
كجيغوكاستر
اليونان
البحر الأبيض المتوسط

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الاول

مقدمة :

صعوبات جمة تواجه المؤرخ عندما يكتب عن شخصية عاصرها وتفاعلت أحاسيسه بالصراع بين مؤيدي تلك الشخصية ومعارضيها والتناقض الشديد بين رأيي الطرفين ، وصعوبة استخلاص مايقارب الحقيقة عنه ، فإذا إقترن كل ذلك بصعوبة الحيدة الكاملة من قبل المؤرخ عندما يكتب في جو مازال يعبق بما يطلق الأنصار من ثناء وإعجاب وتفوح منه في نفس الوقت روائح غاية في العفونة من الصور التي يصوره فيها أعداؤه ومنافسوه وأقارب ضحايا سياسته ، يضاف إليها مخالفوه في معتقداته السياسية ، أما إذا تحدت تلك الشخصية المعتقدات الدينية لفريق ما ، أو لجميع الأديان كما حدث لشخصية زعيم ألبانيا التي يتناولها هذا الكتاب ، فإن أمر تحرى الحقائق يزداد وعورة ويجعل تطبيق أصول البحث التاريخي وقواعده مهمة خطرة زلقة مغضبة للمؤيد وللمعارض على السواء .

ولقد وضعت نصب عيني عند التصدي لكتابة كتاب عن الإسلام في ألبانيا (وفي البلقان) أن لا ألتفت لما يغضب أولما يرضى ، حتى أتمكن من تركيز كل إهتمامي في البحث عن الحقائق . وهي حقائق ندرت مراجعها بل

إنعدمت من المكتبات العربية ، ومايوجد منها حررها مؤيد محب فلم ير إلا الحسنات أو معارض مبغض فلم يبصر إلا السيئات وكلاهما لايصلح كمرجع تاريخي .

إني لا أترجم لحياة أنور خوجة ولا لحياة تيتو ولا لحياة غيرهما من الشخصيات التاريخية التي حكمت البلقان عقب الحرب العالمية الثانية ، ولكنني مضطر إلى كتابة تاريخ حياة خوجة بالذات لأن تاريخ حياته إتسع لتاريخ ألبانيا كلها وتجاوز تأثيره حدود ألبانيا إلى ماجاورها من البلاد ووصل إلى موسكو وإلى بكين ووارسو ولكن كان تأثيره في تلك العواصم تأثيراً محدوداً جداً يكاد يقتصر على صلة تلك العواصم بالبلقان ، ولولا قضية قاعدة الغواصات الروسية في البحر الأدرياتي .. وقضية إنسحاب خوجة من حلف وارسو وسوق الكوميكون (١) لجاز إهمال تأثير خوجة خارج البلقان ، وحيث إنه لاتاريخ بلا وثائق فقدت إجتهدت في تجميع الوثائق وترجمتها وإسقترائها وفقاً لعاملي "المؤثرات " و"الوعي الحاضر" واجتهدت في الوصل بين الوثائق وهو الدور الحقيقي للمؤرخ الذي هو أشق المراحل لإقتضائه من المؤرخ إستعمال موازين علمية ثابتة في موضوع رجراج ،إذ الوثائق المتيسرة كتبها خصم أو ولى ، وكلاهما لايؤخذ قوله على علاته .أي أن على المؤرخ أن يكون قاضياً يفصل في الآراء التي يستعرضها ليتستنبط منها أحكاماً صائبة أو أقرب ماتكون إلى الصواب ، فإن لم يفعل ذلك تحول إلى مرتجل للتاريخ .

ومامن مؤرخ لم يراوده التساؤل عن كيفية الوصول إلى تدقيق الخبر

١- السوق المشتركة الخاصة بروسيا و حلفائها .

التاريخي المكتوب والمروى إذا لم يعرف بيئة الراوي أو الكاتب ومكانته في تلك البيئة ومنزلة تلك المكانة ليحكم هل هي مكانة تمكن مثله من الإطلاع على الخبر الذي رواه وعلى الإحاطة بدقائقه ، أو أنه من عشاق الشائعات فيرويها ولايصح من حديثه عنها إلا العنوان .أما التفاصيل والإطار فمن إرتجاله هو ويكون قد ابتعد تماماً عن فلسفة التاريخ الحاضر الذي يعيش الماضي .

وإذا كان حرياً بالمؤرخ أن يعرض نتائج بحثه الذي ترتكز فلسفته على ضوابط فنية يعتمدها معظم علماء التاريخ ، فبالأحرى أن يعرض الطريقة الخاصة التي تسنى بها اصطناع هذه النتائج لهذا فقد استقرأت ماتيسر لي من مراجع قديمها وحديثها ، وبذلت قصارى جهدي في التحرر من إسار سلبياتها ، كما حرصت على عدم السقوط تحت إغراء إيجابياتها لأبرز الحقيقة التاريخية التي غلب على ظني صدقها ، مما جعلني أهمل تدوين الكثير من القضايا التاريخية اتقاء للاجتهادات الخاطئة ، وبخاصة عند العجز عن تحقيق النص الذي يريبني أمره لكثرة مايشوبه من عناصر الشك واقوم قدر جهدي بتصور جو مشابه للجو الذي نمت فيه الاحداث واعرضه على المنهج الاكاديمي والاخباري فان واءمها اخذت به في تحفظ شديد ، وان وجدته قلقا أهملته ، غير أنني لم أجد مندوحة قط من ملازمة التاريخ السردي عندما يتعذر على اعطاء المنهج العلمي للتاريخ مقوماته اللازمة لتمحيص المادة المشكوك في نصها أو المشكوك في نزاهة راويها .

ولقد لحقني رهق شديد عند محاولتي شرح مذاهب حياة أنور خوجة الغامضة ، فعلى الرغم من اطلاعي على كثير مما ترجم من كتاباته الى الايطالية فانني لم أعثر له على أية اضافة لمجمل الفكر الشيوعي أو أي

تفسير جديد ذي شأن يوضح غامضا من غوامض ذلك الفكر ، فتيقنت من تجرده من أي معتقد ديني أو سياسي ، وكانت الفكرة التي استقرت في اعماقي عنه ، أنه انسان لايؤمن بشيء . وأرى أنه لامصدر لكل مايقول وكل ما يفعل إلا ولعه الشديد بابهار القارئ أو السامع أو المشاهد ، وقد رسخت هذه الفكرة عندي بعد أن صنفته في قمة من يستجيبون للخاطر السياسي الوثاب " فقد سجلت عند استقرائي لتاريخ حياته استجابته لست عشرة حالة لخاطر سياسي يفجأه ، فيقدم على تبنيه دون دراسة متأنية مبنية لمدى تساوقه مع سياساته السابقة . واعترف بأن أنور خوجة ظاهرة تشكل " وحدة تاريخية " يحتاج اجلاء صورتها الى جهود كبيرة قادّرة على تبين الحقيقة التاريخية الكاملة عنه .

شكراً وافراً للاصدقاء الذين صوبوا خطأ أو أعاروا وثيقة أو قدموا خبراً أو أعانوا على كتابة .

وأسأل العفو عن القصور وعلى الله قصد السبيل .

د . محمود علي التائب

طرابلس في 1-8-1991

تمهيد

منذ سنة ١٩٨٠ إجتاحت الدول البلقانية الأربع : بلغاريا ورومانيا ويوغسلافيا وألبانيا أزمة إقتصادية أشد حدة من تلك التي تضرب اليونان في جنوب جزيرة البلقان . أو تلك التي تعصر أمعاء المجر صاحبة أعلى دخل للفرد الواحد في كل تلك المجموعة ، وهي دول - بإستثناء اليونان - واقعة جميعها في فلك روسيا على تفاوت في قوة الجذب وفي مرونة أمراسه ، فبلغاريا منجذبة في الظاهر سياسيا وعاطفيا إلى روسيا أكثر من إنجذاب رومانيا مع أن لرومانيا حدودا مشتركة مع الروس . بينما بلغاريا لاحدود لها مع روسيا ، ونجد ألبانيا ذات الصلات الوثيقة جداً في السابق بروسيا تنفصل عنها بحجة أن روسيا تخلت عن المبادئ الماركسية اللينينية كما فهمها ستالين ، بينما إعتنق تيتو ومن خلفه فكرة " التحريف (١)" للمبادئ الماركسية ، فأحدثوا مايمكن تسميته " بالشيوعية الليبرالية " كما نجد أن يوغسلافيا تخرج من حلف وارسو وتنفصل عن "الكوميكون"، ومانخال أن إنفصال ألبانيا ويوغسلافيا عن الحلف وعن السوق كان سيقبل بنفس السهولة لو كان لألبانيا وزن عسكري أو إقتصادي ، والحقيقة أنه ماكانت هناك خسارة حقيقية سوى فقدان روسيا لقاعدة الغواصات القابعة في مياه الأدرياتيكي الدافئة ، وكذلك خروج يوغسلافيا لم يسبب خسارة تذكر إذ ليست بالسوق المستهلكة ذات الخطر ولا بالسوق المصدرة ذات التأثير على الأسعار العالمية ولا بالقوة العسكرية التي يحسب حسابها . يضاف إلى

---

١) التحريف "REVISIONISM" هو إعادة النظر في مفهوم تلك المبادئ بكيفية تسمح بكثير من المرونة في تطبيقها بما يناسب حاجة البلد المطبق للتحريف

ذلك مستقبل الإتحاد اليوغسلافي الغامض الذي يشبه في غموضه مستقبل لبنان ، سوى أن الأعراق في يوغسلافيا أكثر عدداً وأشد تنافراً ، أما رومانيا فالشيوعي الصادق الوحيد فيها هو «شاوشيسكو» وستبقى رومانيا شيوعية لا – روسية – ما بقي شاوشيسكو في السلطة ، ولكنه لن يعيش إلى الأبد ، ولعل الأستاذ الطبيب " أوجين بروكا(١)" هو الوحيد الذي يعرف الداء الخفي الذي يفرى صحة الرئيس شاوشيسكو ، وليس في سماء رومانيا نجم واحد ظاهر للعيان يمكن أن يخلفه عندما يحين حينه ، لذلك فمستقبل رومانيا غامض وإختيار الخلفية يعد في الحالين من أصعب الأمور . وقد جعلت بوادر الأزمة الإقتصادية العالمية الكثير من مشاكل دول البلقان وما جاورها تطفو على السطح وتعرّض تناقضاتها للأضواء ، فالرومانيون يسيئون معاملة الأقلية المجرية بينهم ويحرمونهم من فرص العمل ، وما تتعرض له الأقلية الألبانية في يوغسلافيا وفي غيرها يشغل جانباً كبيراً في هذا الكتاب وتبقى مشكلة مقدونيا بين بلغاريا ويوغسلافيا فاغرة فاها وهناك من تسن أنيابها ، والصراع الخالد بين الصربيين والخرواتيين فتيله ينتظر أول شرارة ليشتعل . وولاية " فوئيفودنا" تتعلق أبصارها بإقليم كوسفو" وتتحفز للانفصال عن الإتحاد اليوغسلافي بمجرد خضوعه لمطالب الكوسفيين ، أما سكان الجبل الأسود الذين يحترفون الحرب فيتشوقون بقوة إلى إعلان إستقلالهم ، ولايشدهم إلى الإتحاد السياسي إلا مصالح إقتصادية ، فإن ضعفت تلك المصالح فلن يبقى ما يمسكهم في اللحمة اليوغسلافية . ولن نتكلم عن شبه جزيرة " إستريا" لأنها قنبلة موقوتة بين إيطاليا ويوغسلافيا ستنفجر في وقتها المناسب .

١) إختصاصي يتمتع بشهرة عالمية كنطاسي ماهر في علاج سرطان البروستاتا .

ومشكلة المليون مسلم في بلغاريا وإصرار حكومتها على أن يكونوا بلغاريين قبل كل إعتبار آخر . بينما يقول المسلمون كيف يمكن أن يعتبروا أنفسهم بلغاريين إذا كانت حكومة بلغاريا لاتساويهم بغيرهم من المواطنين البلغاريين ، وكلا حكومتي اليونان وبلغاريا تحاولان التغلب على مشكلة مواطنيهما من المسلمين بدمجهم في مجتمعيهما دمجاً كاملاً ، يتناول الأسماء والألقاب وأسلوب الحياة والعادات ، وهي أمور تجد مقاومة يتردد صداها في العالم بل وصارت تستغل سياسياً وإعلامياً . " ورامزعالية " زعيم ألبانيا الجديد يحاول أن يخرج بلاده من النفق المظلم الطويل الذي حشرها فيه سلفه " أنور خوجة " ، وعندما تعتاد أبصار الألبانيين على الأبصار في النور فسيرون طريقهم بوضوح ، ولاشك أنهم سيعودون إلى مكانهم بين شعوب العالم عناصر عطاء وخير . وعلى العموم فإن رياح إستقلال القوميات المختلفة ، أخذت تهب على بلغراد وبوخارست وبودابست في نفس الوقت الذي أخذت فيه الأزمة الإقتصادية العالمية تطل لا من الكوى الضيقة فقط ولكنها تقتحم الأبواب الواسعة ايضا ، تصحبها إطلالة من الإرهاب بوجهه الكالح ، وهذه الأمور كلها تضفي ضباباً كثيفا على مستقبل تلك البلاد وتحول بين المحلل السياسي لأوضاعها وبين الوصول إلى تقييم صحيح للمستقبل القريب والبعيد للبلقان وماجاورها . ومما يزيد في عدم وضوح الرؤية أمام المراقبين السياسيين لما يجرى في البلاد التي يتناولها هذا الكتاب ، إمساك صحافتها عن نشر أي شيء عن كل هذه الأمور الخطيرة مع أنها تمس حاضر شعوبها ومستقبلها كما أن المصطلحات الصناعية والإقتصادية التي شاع تضمينها لقرارات الزعماء وتوصيات المؤتمرات القومية كمصطلح " التسيير الذاتي " و" الإدارة الذاتية " بقيت على الورق رغم جمالها وجاذبيتها ، أما الزراعة المخطط لها أصلاً لتتجه نحو التصدير ، فإننا نجدها عاجزة عن توفير حاجة السكان المحليين ، أما

الترابط الإجتماعي والتوافق بين العامل ورب العمل الوحيد في تلك البلاد الذي هو الحكومة أي الحزب الحاكم الوحيد ، فقد تعرض لهزات أحدثت شقوقا في البناءالإجتماعي تزداد إتساعاً بإزدياد الأزمة الإقتصادية العالمية حدة ، وأخطر نتائجها حدوث اضطرابات بين عمال المناجم وإعتصامات في المصانع بين عمال الصناعة وذلك لأول مرة منذ الحرب العالمية الثانية.

والدارس لأسباب الصراعات بين الأعراق المختلفة في يوغسلافيا وبلغاريا ورومانيا وغيرها ، يجد أن الجوانب الإقتصادية عامل مهم في حدوث هذه الصراعات كلها ، ولكنه يجد أيضا أن الجوانب الإقتصادية للمشكلة ليست هي كل شيء، بل هناك عوامل أخرى يتعذر على الباحث المنصف إغفالها ، أخطرها الإختلاف في العقائد الدينية ونظرة الناس إلى من يخالفونهم في العقيدة . ويدعم ذلك التراث الموروث من أحقاد بسبب الاختلافات الدينية بين أفراد الشعب الواحد . ولنأخذ "الإسلام" مثلاً فإنه على الرغم من إقبال غير المسلمين على دراسة القرآن الكريم فإننا نجد بعض الزعماء في جميع طبقات المجتمعات مازالوا يجترون الأحقاد الموروثة منذ قرون ، مما يفسر الكثير من التصرفات الممقوتة التي تدل على جهل كبير بالإسلام،



١٩٤٤. فريق من الجنود المغاربة العاملين في الجيش الفرنسي يعسكرون في منطقة روما
1944, un reparto di marocchini accampato nella zona . Chiave di volta della Linea Gustav

دفعهم إلى إتخاد المواقف التي لا نرضاها منهم ولاتخدم التقارب الإنساني الذي نسعى جميعا الى أن يجمع بين أتباع الديانات المختلفة في إحترام متبادل من قبل كل منهم لعقيدة الآخر، ومن هذه المواقف التي تدل على أن تصرفات بعض أعراق الشعوب لا تتغير حيال نظرتهم إلى من يخالفونهم عقائدياً مهما تغيرت الأنماط السياسيةالتي تحكم البلاد ، ولننظر موقف دولة بلقانية معينة من معتنقي الإسلام . فلم يتغير عداؤها للمسلمين ، ولم يختلف موقفها منذ أن كانت دولة ملكية مسيحية عن موقفها من الإسلام عندما صارت نفس الدولة جمهورية علمانية شيوعية . إذ أنها سعت عندما كانت مملكة إلى صرف المسلمين من رعاياها عن الإسلام وسعت إلى نفس الغاية - بعد أن صارت جمهورية - بسلخهم عن الإسلام بحجة أن الشيوعية والإسلام لا يلتقيان ، وإننا نسأل عقلائهم هل من إجابة عن التساؤلات التالية تدل على أن دوافعها ليست هي ما يتبادر إلى الذهن عند التمعين في تصرفات تلك الفئة .

١- وقف الجنرال ألينبي القائد الإنجليزي للجيش واضعاً قدمه على قبر صلاح الدين الأيوبي في ساحة الأموي بدمشق وقال :

"لقد عدنا يا صلاح الدين وانتهت الحروب الصليبية (١).

٢- طلب البابا "بيوس الثاني عشر " من قادة الحلفاء عدم تمكين المغاربة المسلمين (٢) - المجندين في جيش فرنسا الحرة - المشاركة في تحرير روما من جيش ألمانياالمسيحية .

٣- طلب "فلهيلم الثاني " إمبراطور ألمانيا أن ينصب إبن عمه "وليام" أمير "فيد" المسيحي أميراً على ألبانيا المسلمة بالرغم من اعتناق الأكثرية

---

(١) الحروب الصليبية التي اعتبر نفسه هو آخر قوادها بدأت سنة ١٠٩٧م وانتهت بإنتصار المسلمين سنة ١٢٩٢ أما صلاح الدين فقد توفى سنة ١١٩٣.

(٢) كتاب "لابيلي" للكاتب الإيطالي كورسيومالابارتي . "Cursio Malaparte "La Pelle

المطلقة للاسلام ، وإلى أن يتحقق الطلب دفع أحدهم بالإسقف (1)" فان نولى " ليتولى رئاسة الوزراء الألبانية .

٤ – لماذا اختير توقيت زيارة البابا لفيينا ليوافق العيد المئوي الثالث لفك حصار المسلمين عن فيينا في صيف ١٦٨٣.

٥ – لماذا احتفل في المجر في أواخر سنة ١٩٨٢م بدفن آخر مجرى ولد مسلماً (٢) يتحدر من سلالة مجرية مسلمة ، ودفن معه هلال كرمز لدفن الإسلام معه ؟ .

٦ – هل يعتبرما يقوم به الصربيون والمقدونيون ضد الأقلية الألبانية المسلمة من نفس جنس ماتم التساؤل عنه ؟ أم أنه له طبيعة مختلفة ؟

٧ – لم يتم التعرض لما نسب للبابا " شنودة" مع أنه لايختلف عما ذكر ، ولم يتم التعرض لما قام به البطريارك الماروني " عريضة" في لبنان أيام رئاسة كميل شمعون ، وإلى ماقام ويقوم به خليفته البطريارك " خريش" فجميعهم لعبوا أدواراً صليبية أشبه بدور الراهب بطرس الأمياني (٣) .

٨ – تعرضت الأقلية التركية في قبرص سنة ١٩٦٤م إلى مذابح لم ترحم العجوز الفاني ولم تشفق على الرضيع البرئ فسفحت دماء الجميع فبعثت

---

(١) D. Kostich Dragos "The Land and the people of the Balkans".

(٢) رغم أن المجر دولة شيوعية لاتدين رسمياً بأي دين فإن الإحتفال قد تم تحت سمعها وبصرها .

(٣) إشتهر بالإريميتيَEREMITA وهم فرقة دينية كاتوليكية تعني منذ قرون بالمجذومين مقر رئاستها بمسجد باليرمو العتيق .

تركيا بإنذار في ١٣ مارس ١٩٦٤ م إلى الأسقف " مكاريوس " رئيس جمهورية قبرص طالبة بسط حمايته الشخصية على القبارصة الأتراك ، فلما لم يستطع أو لم يرد تحرك الجيش التركي . وإذا " بجونسون " رئيس الولايات المتحدة ينذر الرئيس التركي بأن تحريكه لأي طيارة أو سفينة تركية لتوجيهها إلى قبرص سيجعل قوات الناتو المرابطة في تركيا نفسها تطلق عليها النار ، حدث هذا الإنحياز الكامل من قبل رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ضد الأتراك القبارصة المسلمين تعصباً منه لمسيحيته ضد إسلامهم رغم مكانة وأهمية تركيا في حلف الناتو بالقياس إلى أهمية قبرص ومكانتها في ذلك الحلف .

٩ - ركب كاردينال باليرموسفينة لتنقله إلى طرابلس ليكون في وداع الجيش الايطالي الذاهب لغزو الحبشة ولما إقتربت السفينة من ميناء طرابلس وإتضح له مرأى الكتدرائية خلال أقواس الرواق الفاصل بين مبنيي الضمان الإجتماعي جئ للكاردينال بمقدار من ماء البحر فباركه ، ثم إتجه بوجهه إلى الساحل ونثر ماء المعمودية وصاح :

" TERRA RITORNI CRISTIANA COME ERI "

أيتها الأرض عودي مسيحية كما كنت .

وهكذا ، فعلى الرغم من التقدم العلمي الهائل الذي فتح بصائر الناس وأبصارهم على حقائق الحياة ، فمكن الدارسين منهم من تبين التحريف الذي أدخل على التوارة ، وهو تحريف للحقائق العلمية الثابتة إنتقلت عدواه من التوارة إلى الإنجيل ، بينما خلا القرآن خلوا تاماً من المآخذ التي يأخذها العلم على النصوص الحالية للتوارة والإنجيل ، فالتوارة مثلاً حدد

وجود الإنسان على وجه الأرض بـ ٥٧٤٤ سنة ، وهذه معلومة توراتية أثبت علم الانثروبولوجيا بطلانها ، إذ ثبت علميا أنه كان هناك مجتمعات بشرية منظمة تعيش منذ ٧٠٠٠٠٠ سنة لها صناعات فخارية وخشبية وقد عرفت إستغلال حرارة النار في استجلاب الدفئ وشي اللحم .

ويقول الإنجيل أن الله خلق الأرض مكسوة بالنبات الأخضر وفي اليوم الرابع خلق الشمس . والحقيقة العلمية التي تحكم تكوين اليخضور وتوقف وجوده على إمتصاص النبات لأشعة الشمس تتعارض مع المعلومة الإنجيلية المذكورة ؛ والقرآن لايوجد فيه نص واحد يتعارض مع العلوم الحديثة كلها مثلما تعارض ماجاء في الكتابين الآخرين .

والقرآن يتحدث عن جميع الأنبياء والرسل بإكبار وتقدير فاق فيهما كتابي التوراة والإنجيل . والقرآن وإن نفى أن في مريم وإبنها عنصراً إلهياً إلا أنه أنزل عيسى منزلة آدم بين الرسل ، وأنزل مريم منزلة سامية بين نساء العالمين .

ونحن لانسعى إلى المقارنة بين الكتب السماوية الثلاثة ، وما ذكرناه من فقرات إنما اقتبسناها عن دارسين مسيحيين أوردوها في مؤلفاتهم وبحوثهم التي أشرنا إلى كل منها في الهامش المتعلق بها ، وقد استشهدنا بها لتأكيد ما ذهبنا إليه ، ولم نقصد إبراز عيوبهما بقدر ما أبرزنا ما طرأ على التوراة والإنجيل من تحريفات خلا منها القرآن بشهادة العلم الحديث . فلا يرنون إلينا أحد بعين الإتهام بالتعصب الديني ونحن منه براء ، كما أننا لم ندون تلك الفقرات إلا لإثبات بعض رواسب الحقد الديني الذي لازال يرين على قلوب بعض الناس فيدفعهم إلى ممارسات خاطئة ، وإلى إبداء الرأي في

الإسلام مع جهل بالإسلام مطبق مقيم ، سببه - بالنسبة إلى الكاثوليك على الأقل - أن القرآن كان على رأس قائمة «الإنديكس» ، وهي قائمة أقرت في أوائل القرن السابع الميلادي تتضمن الكتب المحرم على الكاثوليك قراءتها ، ولم تلغ هذه القائمة إلا بقرار المجلس المسكوني الذي دعى إليه البابا « يوحنا الثالث والعشرون » ، وعقد اجتماعاته في أوائل الستينات من القرن العشرين . وقد مكن إلغاء تلك القائمة من رفع الحرج على المتمسكين بتوجيهات الكنيسة . ومن شواهد ذلك إقبال الناس على شراء ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الإيطالية التي صارت تباع في مكتبات شوارع روما بعد أن رفع الحرج عن باعتها .

١١ - عندما سمح " عدنان مندريس" رئيس مجلس الوزراء التركي في عهد " جلال بايار بالأذان والإقامة باللغة العربية . وسمح بتلاوة القرآن في الإذاعة ثلاث مرات في الأسبوع . قامت قيامة السياسيين الأوربيين ، وشنوا حملة شعواء على رئيس الوزراء وعلى الحكومة التركية يتهمونها بالتعصب الديني ، وطالبوا حكوماتهم ودولهم بفرض حصار إقتصادي وسياسي على تركيا لأنها أصبحت تشكل خطراً حضارياً ، وأن أوربا تتنبأ بعودة الشعب التركي إلى التغني بصيحات الجهاد على أنغام طبول الغزو والفتح ، ولكنهم بعد تلك الحملة العنيفة تقبلوا مندريس وحكومته على علاّته عندما ضم تركيا إلى حلف الناتو ، وغفروا له ماكان من جرائم ملصقة به . ولكن اليهود لم يغفروا له ولم يهدأوا حتى رأوه في أرجوحة الموت (١).

---

(١) شنق مندريس في ١٧ سبتمبر ١٩٦١م وشنق معه وزير الخارجية ووزير المالية في حكومته . ص ٢٠٨ من كتاب " أتاترك وحلفاؤه" .

١٢ - عندما أعلن رئيس جمهورية السودان المخلوع تطبيق الشريعة الإسلامية في البلاد وألزم المحاكم بقصد تبييض صفحته عند الشعب - بإقامة الحدود الشرعية أعلن رئيس الولايات المتحدة الأمريكية " ريجن" أن الحدود الإسلامية تتصف بقسوة لاتتفق مع الإنسانية ، وفي تطبيقها إعتداء صارخ على حقوق الإنسان ، وأنه بصفته ملتزم بتمكين الإنسانية من الإستمتاع بحقوقها فلايسعه إلا مطالبة حكومة السودان ورئيس الجمهورية السودانية بالغاء قرارها القاضي بإعمال الشريعة الإسلامية كقانون يوقف الجاني عند حده . وهدد السودان بإلغاء برامج المعونة المتفق عليه ، ولمحت أبواقه إلى تخلي أمريكا عن الرئيس نميري (١) ما لم يلغ قراره .

١٣ - صرحت كنيسة الإصلاح الهولندية بأن الإسلام دين " زائف (٢) " .

(١) لم يلبث الشعب السوداني أن قام بثورة ألقت بنميري خارج السودان وخارج المعترك السياسي .

(٢) قالت الاذاعات العالمية صباح ١-١١-١٩٨٦ أن مظاهرات قام بها مسلمو جنوب أفريقيا إحتجاجاً على ما صرحت به كنيسة الإصلاح الهولندية في جوهانسربورج أن الإسلام دين زائف ، وقد سقط بعض المتظاهرين برصاص الشرطة .

الفصل الثاني

ألبـانيـا

التسمية: عرفت في التاريخ بإسم "إليريا" (١) حتى سنة ١٠٨٢ م ومنذ ذلك التاريخ شاعت تسميتها بإسم ألبانيا.

الأرض : شريط ضيق يمتد على ساحل البحر الأدرياتيكي مقابل كعب الحذاء الإيطالي ، ويفصل بينهما مضيق تارانتو، وطول ساحتلها يصل إلى ٣٠٠ ميل بعمق يتراوح بين ٥٠ـ ٨٠ ميلا من الساحل .

المساحة : ٢٨٥٦٥ كيلو متراً مربعاً . بعضها سهل زراعي خصب وأكثرها جبال وشعاب وليست هذه المساحة هي كل أرض ألبانيا فقد بترت منها أجزاء كثيرة أهمها :

١- مقاطعة كوسفو KOSSOVO التي ضمت إلى يوغسلافيا سنة ١٩١٩م (سنخصص لها بحثاً خاصاً بها عند الحديث عن ألبانيا ويوغسلافيا)

٢- مقاطعات في غرب مقدونيا في شمال اليونان .

٣- شريط ضيق جداً متعرج ضم إلى بلغاريا وكان جزءاً من المقاطعة التي ضمت إلى اليونان .

٤- جزء من المقاطعة الجنوبية لألبانيا ضمت إلى اليونان .

---

(١) Encyclopedia Britannica Volume P.

الحدود : في الشمال الشرقي يوغسلافيا وفي الجنوب الشرقي اليونان وفي الغرب البحر الأدرياتيكي .

السكان : الألبانيون الأصلاء هم من إنحدروا من سلالة الإليريين الذين سكنوا أرض إلّيريا منذ العصر البرونزى الذي بدأ قبل ميلاد المسيح بـ ٢٧٠٠ سنة تقريباً واحتل الرومان بلادهم في القرن الثالث قبل الميلاد . ولم تتوقف ثوراتهم ضد الرومان الغزاة طوال قرنين ونصف ، ومع أن الرومان إحتلوا إلّيريا حقاً إلا أنهم لم يستطيعوا قط أن يهزموا روح الشعب الألباني وبخاصة سكان المناطق الجبلية وهم الكثرة الغالبة في السكان ، وفي القرن الرابع الميلادي إنقسمت الإمبراطورية الرومانية إلى إمبراطورتين شرقية وغربية ، فكانت ألبانيا من نصيب الإمبراطورية الشرقية (بيزنطة) . وسكنت إليريا أعراق كثيرة بإعتبارها جزءاً من إمبراطورية شاسعة الأراضي تضم سلالات بشرية مختلفة ، وشارك في تعدد أعراق شعب إلّيريا غزوات قامت بها قبائل الهون والقوط والأفاريين والسلافيين ، ومن مجموع هذه السلالات كانت التركيبة الرئيسية الديموغرافية لسكان إليريا ، يضاف إليها سلالات القبائل التركية قبل الفتح العثماني وبعده والقبائل العربية (١) التي دخلت إليريا بإعتبارها من رعايا الروم وهم قبيلة الغساسنة وبعض حلفائهم وجماع كل هذه السلالات هو مانسميه اليوم الشعب الألباني .

وقد اختلط دم الإغريق بدماء معظم هذه السلالات بحكم الجوار والإتصال الوثيق بين الشعبين زمن السلم عن طريق المصاهرة ، وزمن الحرب عن طريق الأسر والإسترقاق .

---

(١) اتصل المسلمون بالألّيريين خلال الفتح الإسلامي لصقلية الذي استمر من ٨٢٤ - ١٠٧٢ م (المؤلف)

وإحتلها الصربيون والخرواتيون بين سنتي ٦٠٠ و٦٥٠ م ثم إنقسمت إلّيريا إلى قسمين فالأجزاء الشمالية منها حملت إسم صربيا واسم خرواتيا وإقتصر إسم ألبانيا على الجزء الجنوبي منها الممتد إلى حدود اليونان ويبلغ عدد السكان وفق إحصاء ١٩٧٥م ٢٧٥٢٣٠٠ نسمة (١) .

اللغة : تنتمي اللغة الألبانية إلى أسرة اللغات الهند/ أوربية واتخذت صيغة مستقلة متحدرة من اللغة الإلّيرية التراقية (٢) وتتفرع إلى لهجتين رئيسيتين ، " الغيغو" وهي لهجة سكان شمال ألبانيا ، ولهجة " توسكو" وهي لهجة أهل الجنوب . وهذه اللهجة تغلب على الناطقين باللغة الألبانية من سكان جنوب إيطاليا ، والحد الفاصل بين المنطقتين اللتين تشيع فيهما اللهجتان هو نهر شكومبى ، والمتحدثون بإحدى اللهجتين أو كليهما يبلغون في ألبانيا ٢٧٥٢٣٠٠ نسمة . يضاف إليهم مليون ونصف ممن يتحدثون بها في إتحاد الجمهوريات اليوغسلافية ، ٧٠٪ منهم يتجمعون في مقاطعة كوسفو ويتحدث بها في اليونان ٣٠٠ ألف ، و١٥٠,٠٠٠ في مقدونيا ، و٧٠,٠٠٠ في تركيا و١/٢ مليون في إيطاليا يعيش معظمهم في القرى المبعثرة في مقاطعات "ابروتزي "و"بوليبزي "و"بازيليكاتا "و"أبوليا" و"كالابريا" و"صقلية" و الجزر المحيطة بها وهي شائعة أيضا في الجزر اليونانية الجنوبية بأعداد غير معروفة ، لإنها وإن كانت لغة قومية ثانية إلا أنها لا تحظى بالإعتراف الرسمي ، ويتلكم بها مجتمعات صغيرة في كل من بلغاريا وباسارابيا و"أوكرانيا"وإن لم يعرف تاريخ دخول اللغةالألبانية إلى روسيا.

---

(١) National Geographic Magazine N°4 Volume 158 P.52

(٢) HISTORIA N°313 Milano P.3 أمة تراقيا كانت تقطن المناطق الواقعة بين الدانوب و البحر الأسود وبحر مرمرة

امه تراقيا حانت تقطن المناطق الواقعة بين الدانوب والبحر الأسود وبحر مرمره

وفي أمريكا يتكلم بالألبانية عدد من المهاجرين من أبنائها يقدرون بمائتي ألف، أما في استراليا فالألبانيون يتجاوزون الستين ألف،أما البلاد العربية ففيها أعداد في كل بلاد منها ، بعضهم اكتسب جنسية البلد الذي يعيش فيه وتأقلم باكتساب عادات البلد ولغته وبعضهم إنقطعت صلته بألبانيا ولم يعديتذكر شيئا عنها أو عن لغتها.

الدين (١) :ذكر تقرير الإحصاء لسنة ١٩٤٥ م أن الإسلام هو دين الأغلبية المطلقة ويصل أتباعه إلى ٦٥٪ من الشعب ، يليه أتباع العقيدة الأرثذوكسية وهم ٢٠٪ ، وتبين أن في ألبانيا مائتي يهودي و مائة بروتيستانتي ،وعندما ألغيت الديانات سنة ١٩٦٧م كانت توزيعات أتباعها كما يلي:

ـ ٨٠٪ من المسلمين(٢) و١٢٪ ارثودكس ، فيما نجد أن ٩٥٪من المسلمين من السنة و٣٪ ينتسبون إلى فرق اسلامية مختلفة وحوالي ١٪ علويون ،ونجد فرقةالبكتاشية تزيد قليلا عن : ١٪ من مجموع المسلمين وهي فرقة تنتسب الى الاسلام أصلها طريقة تركية إنحرف بها القرمطي علي الأعلى قبل أن ينتسب الى ألبانيا بزمن طويل . واتباعها الالبانيون شديدوا التمسك بها ويقدمونها على ما عداها من الفرق الإسلامية المنحرفة منها والصحيح على السواء. وتتخذ مشيخة البكتاشية من تيرانا مقراً دولياً لها وانتقل نشاطها من العلن الى السرية عقب الاعلان عن إلغاء الاديان.



مريد بكتاشي ألباني

(١)أعلن أنور خوجة سنة ١٩٦٨م أن ألبانيا دولة ملحدة وحرم جميع الأديان ، وأعلن بالخصوص أن لادين في ألبانيا إلا"الألبانيزم" تفصيلات هذا الإعلان في فصل لاحق (المؤلف).

(٢)منذ إعلان الإلحاد لم تصدر دولة البانيا أي إحصاء رسمي يتضمن نسب معتنقي الديانات. والنسب المذكورة إما سابقة لذلك الاعلان وإما هي تقديرية .

ويقول المستشرق اليوغسلافي الاستاد محمد موكافو (١) في بحثه المنشور في العدد ٢٢٠ من مجلة العربي الكويتية:

"قامت البكتاشية بتفسير العبادات والتكاليف الشرعية على طريقتها الخاصة فقد أحلت العضو من تأدية التكاليف الشرعية من صلاة وصوم وغيرهما كما حللت له شرب الخمر وغيره من المحرمات وفي مقابل هذا أقامت البكتاشية تكاليفها ومؤسستها الخاصة بها "التكية"، التي خلت من القبله، فاجتماعات الذكر والتذكر للمراتب المختلفة التي تنوب عن الصلاة كانت تتخذ شكل الدائرة بحيث يقابل كل إنسان وجه إنسان أخر وفي هذا يحتج البكتاشيون على الاتجاه الى قبلة معينة إذ ليس لك أفضل من أن تقابل أو توجه ذاتك نحو إنسان أخر.

وعلى ما يبدو شجعت عذه الأمور - بالإضافة الى مناداة البكتاشية الى وحدة الوجود - على قطاع من المسلمين ذلك الذي بقيت فيه رواسب المسيحية حيث وجد في البكتاشية حلاً نوعياً يمكنهم من الجمع بين مسيحيتهم السابقة وإسلامهم المعلن ويضيف في فقرة أخرى من البحث :

"وعلى نطاق أخر تمكنت البكتاشية من أن تزيد درجة نفودها بعد قيامها بالتعاون مع حركة"تركيا الفتاة" في إتجاه قلب السلطان عبد الحميد الثاني وقد كان هذا

وعن البكتاشية يقول الباحث روبرتوفوروتسيروكا في صفحة ٣٧ من كتابه شعب ودين في ألبانيا البكتاشية تكون طريقة إسلامية تعتنق أفكاراً ومبادئ مخالفة لما يشيع غالباً بين مسلمي بلاد البلقان الخاضعة للإمبراطورية العثمانية ، وتعتبر ألبانيا تاريخياً وطن البكتاشية الثاني التالي الإقليم الاناضول و تتأرجح أعدادهم بين الخمسين ألف والمئتين ألف. ويقول صالح نيازي ديدي "شيخ البكتاشية" أن عددهم في ألبانيا يبلغ سنة ١٩٣٣م مائتى ألف. "المؤلف"

(١) الاستاد محمد موكافو يشغل رئيس قسم الاستشراق بجامعة بريشتنا عاصمة ولاية كوسفو

التعاون مرشحاً لبروز التقارب بين الحركتين ولاسيما أن بعض زعماء تركيا الفتاة (طلعت باشا واحمد رضا) كانوا ينتمون الى "البكتاشية" .

ويقول الأستاد موكافو في بداية بحثه :
"...........أن البكتاشية عند مؤرخ تركي هي أكبر الطرائق المشغولة بإضلال المسلمين ، كذلك فإن البكتاشية ليست شيعية بل مشركة ولما لم تستطع إضلال اليهود والنصارى اشتغلت بإضلال المسلمين " .

وقد أشار الاستاذ ج . كايتانو (١) في كتابه تاريخ الحركات الدينية في البلقان أن البكتاشية مثلها مثل الحركات الدينية قامت في شكل أحزاب معارضة للحكم العثماني وتعاونت فيما بينها وأقتبست كل واحدة من مبادئ الأخرى وكان التعاون عميقاً بين البكتاشية والجمعية اليهودية السبتائية" جمعية الدونما " .

مصادر الثروة :

يعتمد الاقتصاد الالباني على الزراعة بنسبة ٩٠ ٪ ، ٩٩٪ من الأراضي (٢) الزراعية تدار جماعياً ، و٤٠ ٪ من من مجموع الأراضي تكسوها غابات . ويصلح للزراعة الموسمية للحبوب ١٣٪ ، و٢٩٪ منها مراعي والباقي غير مستغل ، ومازالت الصناعة تخطو خطواتها الأولى ، وتشمل النفط والقطران وتعدين (الكروم) وصناعة الأخشاب وتعليب السمك كما تستغل

---

(١) ج . كايتانو : أستاد لتاريخ الأديان والعقائد بجامعة بيزاوهو من تلاميذ المستشرق الكبير الأمير كاتياني صاحب كتاب حوليات الإسلام .
(٢) National Geographic Vol : 168 P. 18

مساقط المياه ومسيلاتها في إنتاج الكهرباء التي تسد حاجة البلاد بنسبة ٦٠٪ ، وتأتي الـ ٤٠٪ الباقية من المولدات الحرارية ومازاد عن حاجة البلاد يصدر الى يوغسلافيا ومن أهم مصادر الثروة تربية الحيوانات التي تصدر لحومها وتدبغ جلودها ، وهناك صناعة (١) صغيرة تقوم على عصر الأعناب ، وتمليح الزيتون وصناعة التبغ .

المواصلات :

١- سكك الحديد : في ألبانيا ٣٠٠ كم من السكك الحديدية لا تتصل (٢) بأي خط حديدي خارج الحدود . ورصد في الخطة الخمسية السابعة مبلغ لمضاعفة طول الخطوط مع الإستفادة من قوى الطلبة المتطوعين كجزء من مجهودهم الذاتي .

٢ – الطرق :

ويبلغ طولها ٣٤٠٠ كم لاتتصل بأي طريق خارج الحدود وتشمل الخطة الخمسية السابعة مشروعاً لمضاعفة طولها .

إحصاءات :

تضاعف عدد الشعب الألباني منذ سنة ١٩٢٣ ، وزاد منذ سنة ١٩٤٠ بنسبة ٧٠٪ كما إتضح من آخر إحصاء تم تحليله وهو الذي أجرى سنة ١٩٧٢ ، أما إحصاء ١٩٨٣ فلم يصدر عنه إلا تحليل مبدأى مجمل جداً ، وقد ظهر منه أن الزيادة السكانية تراوح بين ٤،٢٪ في المدن ، و٢،٣٪ في المناطق الريفية وهذه الزيادة ظاهرة في المواليد بسبب تحسن مستوى الصحة الذي أدى إلى إرتفاع متوسط الأعمار إلى ٦٥ سنة ، بينما كان هذا

---

(١) Year Book 1983

(٢) في خريف ١٩٨٦ ربطت الخطوط الألبانية بالخطوط اليوغسلافية بأمر من الرئيس عليه(المؤلف)

المتوسط في سنة ١٩٣٨ أي السنة السابقة للإحتلال الإيطالي وللحرب العالمية الثانية هو ٣٨ سنة ، كما أظهر التحليل المذكور أن أكثر من ٤٥٪ من الشعب هم دون سنة ١٤ سنة ، ويشير التحليل إلى أن إرتفاع الوعي الصحي وتحسن أساليب التوليد ورعاية الطفولة والأمومة منذ الحمل إلى قبيل الفطام هي من الأسباب التي أعطت هذه النتائج الطبية .

التعليم :

في سنة ١٩٤٠ كانت الأمية بين أفراد الشعب الألباني قد بلغت ٨٠٪ ، أما الآن فقد إختفت بين الأطفال ذكوراً وإناثاً القادرين على التعليم ممن هم في سن التعليم الإلزامي ، كما تناقصت بين البالغين حتى تراوحت بين ٢٠و٣٠٪ إلى سن الخمسين ، ويلاحظ التدريج في تناقص الأمية كلما قربت إلى من هم في العشرين من العمر ثم تأخذ في التزايد حتى تصل ٣٠٪ أو فوقها بتحليل لمن هم في العقد الخامس من أعمارهم . أما من جاوزت أعمارهم الخمسين وبخاصة الإناث فنسبة الأمية بينهم عالية . وإن لم يذكرها التحليل على وجه التحديد ، أما فترة التعليم الإلزامي فهي ٨ سنوات ، يلتزم ذوو الطفل بقيده في المدرسة ، وتلتزم السلطة بتوفير الدراسة ومستلزماتها إبتداء من الحضانة لمن هم في الثالثة من أعمارهم إلى الرابعة ، ثم رياض الأطفال للسنتين الرابعة والخامسة ، فإذا بلغ أول السادسة الحق بالسنة الأولى من التعليم الإلزامي الذي يستمر ٨ سنوات ويقبل منهم المتفوقون جداً في المدارس الثانوية التي تعدهم للمرحلة الجامعية ، والمبرزون منهم في ختام الدراسة الجامعية يمكنون من التعليم العالي أما الذين ينجحون في المرحلة الإلزامية ويحصلون على درجات متوسطة فينقلون إلى معاهد ثانوية عالية ، أما طبقة التلاميذ التي تليهم من حيث الإمكانات العقلية أو بسبب الميول إلى الجانب العملي فتسجل في معاهد فنية سنائتي

على تفاصيلها في فصل لاحق .

أما الجامعة ففيها كليات سبع هي الهندسة والعلوم السياسية والجيولوجيا والتاريخ والإقتصاد والطب والعلوم الطبيعية ولاوجود لكلية الشريعة أو كلية للاهوت بسبب إلغاء الأديان ، كما لم تنشأ كلية للحقوق لعدم الحاجة إليها ، إذ أن التقاضي محدود جداً ، أما القضايا السياسية وقضايا الحق العام فهي قليلة إلى الحد الذي لايحوج إلى إنشاء كلية لتخريج محامين أو وكلاء نيابة أو قضاة ، وتوجد شعب صغيرة جداً لتخريج حاجة البلاد من هذه الفئات في الكليات العسكرية كما تدرس بعض القوانين التجارية ونصوص الإتفاقيات التجارية في كلية الإقتصاد دون أن تنشأ لها شعب تحمل أية تسمية.

التعليم العام :

كان في البلاد – حتى قيام الحرب العالمية الأولى – أقل من ستة آلاف تلميذ أما طلبة المرحلة الجامعية فقد بلغ عددهم ١٦٠٠ طالب يدرس معظمهم في جامعات أوربا ويدرس القليل منهم في معهد على مستوى جامعي عرف باسم المدرسة العليا مقره مدينة تيرانا تحول فيما بعد إلى جامعة تيرانا . ويذكر تقرير عن إحصاء ١٩٧٠ . أن ٣/٤ مليون من الألبانيين لهم صلة بالعملية التربوية منهم ٧٢٥،٠٠٠ (١) تلميذ وطالب ، ومايقرب من ٢٤،٠٠٠ مدرس ومحاضر ، ومن بين الـ ٧٢٥ ،٠٠٠ تلميذ وطالب يوجد ٥٠،٠٠٠ طفل في مرحلة ماقبل المدرسة ثلثهم في دور الحضانة والباقي في الرياض (٢) والرياض والحضانات معممة في جميع

(١) Tomorrow you Die P.40

(٢) Tomorrow you Die P.41

أنحاء البلاد ولاتخلو منها أقصى القرى الريفية والجبلية ولها هدفان أولاهما الرعاية الصحية من حيث التحصين في مواعيده وخاصة ضد الأمراض السارية وضد أمراض الرضع ، وضد شلل الأطفال ، والرعاية الطبية والإعداد الذهني والنفسي والعضوي لتلقى العلوم في المدرسة في أوانها ، والهدف الثاني هو إتاحة الفرص للأمهات للمشاركة في الإنتاج وفي النشاط الإجتماعي ، كما أنها تتيح الفرص لخبراء التربية العقائدية لزرع المبادئ السياسية في عقول الأطفال الغصة بأسلوب مدروس من قبل خبراء في علم النفس التربوي ، كما يتعلمون أولى خطواتهم العسكرية مع بداية دخولهم للروضة وتدفع الأسرة ٤٠٪ من تكاليف العناية بأطفالهم في دور الحضانة وفي الرياض وتتحمل الدولة الباقي .

تعليم الكبار :

إن متوسط فترة تعليم الكبار يبلغ ٨ سنوات دراسية أي أنه مساو لفترة مرحلة التعليم الإلزامي ، ويختلف عنه قليلاً في المنهج وفي خطة الدراسة ، و١/٧ الملتحقين بهذا النوع من التعليم يحصلون على دراسة ثانوية تنقلهم إلى معاهد فنية عليا ، منها كليات جامعة تيرانا والمعهد الأعلى للزراعة والمعهد العالي للفنون ومعهد إعداد المعلمين وغيرها من المعاهد العليا التي بلغت سنة ١٩٧٢ ٢٥ مركزاً ومعهداً مخصصة جميعها للبحوث في علوم الإجتماع والتكنولوجيا والطبيعة وغيرها من الميادين التي تدعو إليها الحاجة غير أن الدراسة في الميادين الثلاثة التي ذكرناها هي دراسة مستمرة . أما المعاهد الأخرى فتفتح إذا دعت الضرورة لفتحها ،ويؤم هذه المعاهد ٢٨،٠٠٠ طالب ، ٦٠٪ منهم عمال يمارسون تعليمهم في ساعات تتخلل فترة العمل الرسمية ، وفي السنوات الأخيرة أعطيت الأولوية لتدريب العمال من هذه الفئة للتخصص في الزراعة وفي تهجين الحيوان . أما منذ سنة ١٩٧٩

. فقد تم التركيز على صناعة التعدين واستخراج المواد الأولية من مناجم النحاس والكروم والحديد والنيكل والفحم الحجري والفوفسفات والملح الحجري والرخام والأسباستوس ، مع العلم بأن ألبانيا تنتج ١/٨ نحاس العالم وبها مكامن بترولية وإن لم يعرف بعد هل بها كميات يمكن أن تستغل تجارياً أم لا ، من أهم صناعاتها إنتاج المخصبات الزراعية الكيماوية التي تنتج منها ٣٣٠،٠٠٠ طن (١) سنويا ، ويشرف على هذا الإنتاج خريجو أقسام المعاهد المذكورة .

شذرات من تاريخ ألبانيا :

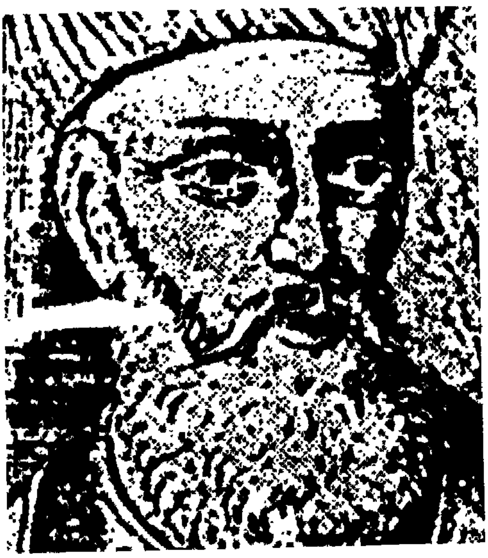
كانت ألبانيا تشكل الجزء الجنوبي من إلّيريا(٢) وهو إسم كان يطلق على مجموعة من الأراضي تمتد من إمارة دلماتيا في المنطقة الجبلية الواقعة في جنوب النمسا والشمال الشرقي لإيطاليا ، والشمال الغربي ليوغسلافيا وتمتد جنوباً حتى حدود اليونان ، وتشمل شبه جزيرة إستريا وكل يوغسلافيا وألبانيا ومقدونيا ، وإستمرت هذه الأراضي متحدة حتى نهاية الحكم الصربي في النصف الثاني من القرن السابع الميلادي ، حيث اقتصر هذا الاسم (ألبانيا) على أراضي ألبانيا بحدودها أنذاك المشتملة على جزء كبير من جمهورية الجبل الأسود الحالي ، وعلى معظم مقدونيا ، وقد تعاقب عليها الغزاة ومن بينهم الدلماتيون وفي سنة ٤٤٦م حكمها الصربيون والكرواتيون وتتابع عليها الغزاة حتى أخضعتها بيزنطة لحكمها في القرن الحادي عشر ، وفي مستهل القرن الرابع عشر إستولت عليها امبراطورية الصرب مرة أخرى ، وفي عام ١٣٨٥م إحتلتها الجيوش العثمانية ، وتمكن كبار القادة العثمانيين من إكتساب ولاء الألبانيين المسلمين

---

(١) Tomorrow you Die P.42

(٢) DIZIONARIO DI COGNIZIONI UTILI -TORINO 3 Volume. P. 86

حتى قربهم السلاطين العثمانيون ووثقوا بهم وولوهم أعلى المناصب في تركيا نفسها بما في ذلك الصدارة العظمى (رئاسة الوزارة)، ومن أشهر من تولى رئاسة الوزارة العثمانية "محمد باشا كوبرولو" الألباني وذلك سنة ١٦٥٦م .





وفي سنة ١٦٦١ توفى السلطان وجلس إبنه محمد الرابع على العرش ، وكان حدثا صغيراً فتولى محمد كوبرولو (١) الوصاية على السلطان الصغير ، وتقديراً لخدماته منح لقب نبيل مع حق أسرته في وراثة اللقب ، وعقب تخليه عن الصدارة العظمى تولاها ابنه "فاضل زاده أحمد كوبرولو" مع ملاحظة أن الوصاية على السلطان الصغير والصدارة العظمى هما أعلى منصبين في الدولة بعد السلطنة . وتلاهما مصطفى فاضل كوبرولو ، فتولى الصدارة العظمى بعد وفاة والده . وقد إعتمد العثمانيون إعتماداً كبيراً على العنصر الألباني فعينوا قواد الجيش وأمراء البحار من بينهم ، وعينوا منهم حكام الولايات ومن أشهر هؤلاء الحكام محمد على مؤسس الأسرة التي حكمت مصر منذ سنة ١٨٠٥ حتى أسقطت ثورة ٢٣ يوليه آخر ملوك هذه الأسرة الألبانية أحمد فؤاد ابن فاروق ، وذلك سنة ١٩٥٣.

---

(١) قائمة التراجم الايطالية صفحة ٤٨٤ الملحقة بمجلة Storia Illustrata

تسمية ألبانيا بهذا الإسم وأسبابه

كانت سنة ١٠٨٢م . نقطة تحول مهمة في تاريخ ألبانيا ففي هذه السنة سقط ميناء "دورازو"في أيدي النورمانديين القادمين من جنوب إيطاليا وبخاصة من صقلية ، وتخليداً للمقاومة الباسلة التي جوبه بها الغزو النورماندي – والتي حمل عبئها الأكبر قبائل الألبانيين – إستعمل اسم ألبانا لكل أراضيها بحدودها التي تضم أراضي ألبانيا الحالية والأجزاء التي بترت منها وسبق ذكرها آنفا ، ولم تمض عقود قليلة من السنين حتى نسى الناس إسم " إلّيريا" .

وكان لألبانيا تاريخ حافل في مقاومة الغزو الأجنبي والإحتفاظ بوحدة أراضيها حيث شاء حظها أن تكون مدخلاً لشبه جزيرة البلقان وممرا لجيوش الغزاة صعوداً وهبوطاً ، ولم تستقر السلم فيها طيلة تاريخها، فهي دائماً في حروب داخلية أو مقاومة غزو ، ومن أشهر معاركها المعركة التي خاضتها بقيادة "اسكندر بيرج" أشهر قوادها العسكريين فهو الذي هزم الجيوش التركية في عهد السلطان العثماني مراد الثاني، غير أن تلك الهزيمة حفزت السلطان العثماني محمود الثاني إلى شن حملة سنة ١٤٦٧م أخضعت ألبانيا خضوعاً كاملاً لسلطان الأتـراك . وإذا إستثنينا هجوم جيش جمهورية البندقية واحتلالها لميناء دولازو ، فإن ألبانيا قد خلصت للعثمانيين ثانية منذ في سنة ١٥٠١ تاريخ سحق العثمانيين لجيش جمهورية البندقية ، ومنذ ذلك التاريخ استقر الحكم العثماني في البانيا جميعها دون انقطاع حتى سنة ١٩١٢.

دولة البانيا

اضعافا للمسلمين حيثما هم سعت قوى كثيرة الى تشجيع شعوب البلقان على الانفصال عن الامبراطورية التركية واعدة إياها بأن تقدم لها الدول الأوربية المال والسلاح والمتطوعين والاعتراف الفوري باستقلالها حال انفصالها عن تركيا . ولوحت لها بالأمل القريب في أن تصبح دولا مستقلة منسجمة مع بقية الدول الاوربية التي كانت ممالك دستورية سنة ١٨٧٠ ليس بها سوى جمهورية الاتحاد السويسري وجمهورية سان مارينو ، وتعداد سكان هذه الأخيرة ١٥،٠٠٠ نسمة وأخذت تلك الشعوب تنفصل بالفعل عن تركيا واحدة بعد أخرى ، واستقل أولها وهو شعب اليونان سنة ١٨٢٩ . وتتابعت بقية الشعوب في الانفصال عن تركيا حتى لم يبق منها إلا الشعب الالباني . واختارت شعوب البلقان المستقلة في القرن التاسع عشر النظام الملكي الدستوري وبحثت عن ملوك يتسنمون عروشها من بين امراء الأسر المالكة في أوربا ، وهي أسر تجمع بينها روابط الدم والمصاهرة ، ولم يشذ عنها سوى مملكة الصرب وامارة الجبل الأسود ، إذ اختارت الصرب ملكا من اسرة صربية شهيرة واختار الجبل الأسود أحد حفدة أسقف من الجبل الأسود بالغ النفوذ على شعبه ليكون أميراً على امارة الجبل ، ولكن ذلك الأمير لم يلبث أن أعلن نفسه ملكا ، غير أنه كان لسوء حظه أول ملك على الجبل الأسود وآخر ملك له . أما القوى التي سعت لاضعاف المسلمين فقد جاهر بعضها برأيه بتنصيب أمير مسيحي على البانيا (١) والبعض

---

(١) في أثناء إحدى ثورات المسيحيين ضد الحكم العثماني عرض الثوار عرش ألبانيا على الأمير كارلو عمانويل من أسرة سافويا ولم يتم تتويجه حتى قضى العثمانيون على الثورة سنة ١٥٨٢م بعد أن دامت عدة أشهر .

عن كتاب La Politica dell' Italia in Albania P . 13

الآخر قدم دعماً ماليا وسياسيا واعلاميا وعلى رأس ذلك البعض أسرة . باتشيلي . وهي أسرة ذات نفوذ عظيم في دنيا الدين والمال والسياسة في ايطاليا وأوربا ، ومن أشهر ابنائها البابا « بيوس الثاني عشر» وتدخل بعض القوى في مغامرة تعيين أمير مسيحي علناً تحدياً منه لقوى المسلمين وبخاصة البلاد الاسلامية التي رشحت الأمير عمر طوسون ليكون أميراً على البانيا مستندة في ترشيحه الى أنه ابن عم خديوى مصر عباس حلمي الثاني والى أنه ينحدر من أسرة محمد على الالبانية التي تحكم مصر آنئذ ، وأصلها من مدينة قولة الالبانية ، والمحت القوى الأوربية سراً وعلانية بأنها لن تمكن الشعب الالباني من العيش مستقلا إلا إذا قبل تنصيب أمير مسيحي ليحكمه ، وان تنحصر وراثة عرش البانيا في عقبه من الذكور .

وزيادة في ارباك الامبراطورية العثمانية ، نجحت القوى المعادية لها في تحريض شعوب البلقان على محاربة تركيا . ومن غرائب التاريخ أن أول من أعلن الحرب على تركيا هي امارة الجبل الأسود . التي يقل تعداد شعبها آنئذ عن عشر الجيش التركي .

كشفت حرب البلقان ضعف تركيا وخاصة بعد انحسار الحكم العثماني عن كل أراضيها في أوربا . إذ لم يبق لها إلا سلطة اسمية على اسطنبول وقطعة ضيقة من الأرض تحيط بتلك المدينة المتصلة بالاناضول عند القرن الذهبي. أما الشعب الالباني المسلم في غالبيته فكان الشعب الوحيد من بين شعوب البلقان الذي ظل على ولائه لحكامه من الالبانيين الذين حكموه باسم العثمانيين منذ فتح الاتراك البانيا سنة ١٤١٥, وباستثناء الحركة التي قادها المرتد " اسكندربيرج" سنة ١٤٦١ ، لم تقم أية حركة انفصال جادة ، ولم تتمكن الدول الأوربية والهيئات العاملة في خدمتها من دونمية وماسونية

ومافي حكمهما من نشر الفتن بين الالبانيين والاتراك إلا في سنة ١٩٠٣ ، عندما تمكنت من العثور على من بعثوا حركة تنادي باستقلال البانيا عن تركيا ، انتهت في خريف سنة ١٩١٢ إلى تمكن اسماعيل بك كمال فلورا أحد قادة المنادين بالانفصال عن تركيا من جمع الاحزاب السياسية الالبانية في هيئة واحدة عرفت باسم " الرابطة الالبانية " وكان أول أعمالها هو صدور إعلان في مدينة فالونا يشهر استقلال ألبانيا وتكوين دولتها ....وسرعان مابلغ صوتها ندوة السفراء الأوربيين المنعقدة آنئذ في لندن ، فاصدرت من جانبها بلاغا نصه إن البانيا أصبحت دولة مستقلة عن تركيا مؤكدة بذلك إعلان إستقلال البانيا الذي أذاعه إسماعيل بك باسم الرابطة الالبانية قبل ٢٦ يوماً من إذاعة بلاغ ندون السفراء ، إذ اقتضت تدابير الثوار الالبانيين المتوافقة مع تدابير الدول الغربية استغلال انشغال الجيش التركي في حربه ضد جيوش ايطاليا المهاجمة لليبيا في خريف سنة ١٩١١ اضافة الى انشغاله في مدافعة جيوش شعوب البلقان المتحدة ضد تركيا ، وهي شعوب البلغار والصرب واليونان والجبل الأسود و كان أمير اللواء انور باشا الارناؤوطي قائد الجيش التركي في جبهة الجبل الأسود قد اضطر إلى الاستسلام في ظروف لاتدعو لذلك الاستسلام أدى إلى اعفائه من قيادة ذلك الجيش ، مما جعله ينضم الى "الرابطة الالبانية " التي اختارته رئيسا للدولة الالبانية الجديدة ، غير أن عيون المصممين على الاّ يحكم البانيا إلا عاهل مسيحي لم يكن ليحول أي شيء بينها وبين الوصول الى غايتهما ، إذ لم يلبث أنور باشا الارناؤوطي الرئيس الالباني الجديد أن اغتيل في باريس ، ولم يمكث في الرئاسة إلا أشهرا معدودات .

ودخلت " الرابطة الالبانية " في حوار سري مع القوى الأوربية وبخاصة الامبراطورية البريطانية والامبراطورية النمساوية المجرية التي سبق لها أن أعلنت حمايتها للكاثوليك من الالبان وانتهى تآمر الجميع باصدار قرار

اتخذته القوى الأوربية يوم ١٩١٣/١٢/٢١ نصه " البانيا هي إمارة ذات سيادة يحكمها عاهل مسيحي" .

أمير البانيا المسيحى

كما أشرنا اعلنت الرابطة الالبانية استقلال البانيا في ١٩١٢/١١/٢٤ واختارت أنور باشا الأرناؤوطي رئيساً للدولة الالبانية ، ولكنه اغتيل بعد أشهر قليلة من توليه سدة الرئاسة ، فاضطرت الرابطة الالبانية الى الدخول في حوار سري مع القوى الأوربية وبخاصة مع الامبراطورية البريطانية والامبراطورية النمساوية وانتهى حوارهما باصدار تلك القوى الأوربية الكبرى القرار الذي سبق ذكره . ووقع اختيارها على الأمير " غليوم" وليام دي فيد من اقارب امبراطور المانيا ليكون أميراً على البانيا .

ومن نافلة القول أن نقول ، أن الشعب الالباني لم يكن يعرف من هو وليام هذا بل أنه لا يعرف أن ترشيح هذا الأمير برز في أثناء المباحثات الدبلوماسية في ندوة سفراء الدول الأوربية التي أشرنا إليها ، وأن الشعب الالباني قد أغفل رأيه عمداً في اختيار ذلك الأمير ، ومن الناحية العملية يبدو أن لا أحد من الأمراء ذوي المكانة يرغب في أن ينفي نفسه في البانيا حيث يكون من السهل أن يتلقى رصاصة تذهب به وبإمارته ، وحيث لايوجد أي أثر لأي نوع من الحياة الغربية .

ففي السادس من فبراير ١٩١٤ قبل الأمير وليام تاج ولقب صاحب السمو وليام الأول امير البانيا ً متسلماً سلطة الدولة يوم السابع من مارس التالي ، وفي الخامس من سبتمبر في نفس عام ١٩١٤ غادر الأمير وليام

ألبانيا ومعه زوجه الأميرة صوفيا وولداهما ماريا وكارلو فيتوريو الأراضي الالبانية بعد أن حكمهما ٢٠٤ أيام . وهكذا عاد الأمير وليام الى بلاده خائبا وماتت فكرة تنصيب أمير مسيحي على شعب غالبيته العظمى مسلمة ، كما ماتت فكرة تنصيب الأمير عمر طوسون لعجز الدول الاسلامية آنذاك على ايصاله الى عرش إمارة البانيا . ولم يعد الأمير وليام إلى البانيا قط غير أنه لم يتنازل عن عرش امارتها وإستمر طيلة حياته يطالب بذلك العرش . حتى وفاته سنة ١٩٤٥ ، في مدينة سينايا برومانيا .

بقيت " الرابطة الالبانية" تدير شئون البلاد على وجه ما ، وعند إعلان النمسا للحرب على مملكة الصرب في نهاية يوليو سنة ١٩١٤ بقيت البانيا على الحياد حتى اضطر جيش الصرب ومعه عدد كبير من المدنيين الصربيين الى التراجع عبر الأراضي الالبانية أمام جيش النمسا الذي واصل تتبع الصربيين المنهزمين غير مراع لحياد البانيا بل بسط سلطانه على معظمها طيلة السنتين الأوليين للحرب العالمية الأولى و في نفس الوقت احتل جيش اليونان الاقليم الجنوبي من البانيا بينما احتفظت ايطاليا برأس جسر بطول الساحل الالباني ، سوى أنه ما أن انتهت الحرب العالمية ، وفرضت الدول المنتصرة شروطها على النمسا المهزومة حتى استعادت البانيا استقلالها بحدودها سنة ١٩١٣ (١) ومع ذلك فان البانيا وإن استعادت استقلالها واراضيها فقد بقيت تعمها الفوضى التي انتشرت في ارجائها منذ بداية حكم الأمير وليام ، إذ لم تقم فيها أية حكومة وطنية قوية بل قامت حكومة البانية بدعم من يوغوسلافيا وايطاليا ، واتخذت من مدينة ميناء دورازو مقراً لها ، فلم تحظ بأي تأييد قومي ، وانهارت بعد أشهر قليلة ولمس الناس

(١) D.D. KOSTICH. P. 80

خلالها عجزها عن رعاية مصالح البلاد والعباد ، وتنادي القادة السياسيون القبليون والرجال البارزون في الهيئات الدينية ، وعقدوا مؤتمراً وطنيا في بلدة لوشنو اجتمع رأي المشاركين فيه على تشكيل أول حكومة البانية عصرية ، باشرت واجباتها في يناير سنة ١٩٢٠(١) واتخذت بلدة تيرانا مقراً لها ، وكان أول قراراتها اعتبار " تيرانا عاصمة مملكة البانيا " [سبق للرابطة الالبانية أن أقرت أن النظام في البانيا هو نظام ملكي دستوري وان لم يكن لالبانيا ملك بعد] واختارت أحد شيوخها البارزين وصيا على العرش الى أن يتم اختيار الملك .

توالى اعتراف الدول بالحكومة الجديدة ثم قبلت عضواً في عصبة الأمم (٢) وبرز في تلك الفترة تياران سياسيان قويان تجاذبا النفوذ السياسي في البلاد ، أولهما يمثل طبقة البكوات الذين يستمدون نفوذهم من القبائل التي يقودنها ، ويعارض أولئك البكوات أي تحديث لالبانيا يؤدي الى تفتيت الأراضي الى ملكيات صغيرة ، كما يعارضون أي تحديث لألبانيا عن طريق التطوير الثقافي والاقتصادي . وثاني التيارين واصغرهما حجماً هو حزب الشعب وينتسب اليه الارثوذوكس والكثير من غربيي الثقافة ، غربيي التفكير الذين يرون أن سلامة البانيا ورخائها ينحصران في انسياقها وراء الغرب ، ومن آبرز زعمائه الاسقف الارثوذوكسي " فان نولى" أول رئيس وزارة ألباني تولى الرئاسة لفترة قصيرة قبل وصول الأمير وليام ، فلما جاء تعاون معه تعاوناً وثيقاً ، وكان يفخر بصداقته للولايات المتحدة ، ويزاحمه على زعامة حزب الشعب شاب سياسي ضابط سابق بالجيش بعد أن لعب ادواراً سياسية وعسكرية زمن الحرب العالمية يدعى أحمد زوغولّى "بك" .

(١) I.B.D P.83

(٢) IBD

أحمد زوغو بك (١): سيد البانيا طيلة عقدين من السنين

ولد احمد زوغولي (١) بك سنة ١٨٩٥ لأب أسرة غنية من كبار ملاك الاراضي والمتزعم لقبيلة عظمى من القبائل الجبلية المعروفة باسم قبائل " ماتي" تخرج من المدرسة الحربية باسطنبول وخدم بضع سنوات ضابطاً في الجيش التركي . كان زوغوبك رهينة منذ حداثته في العاصمة التركية ضماناً لاستمرار ولاء والده للباب العالي " اجاد التركية والالمانية بجانب الالبانية وتدرب في تلك العاصمة الكبيرة على الاساليب السياسية السائدة بين طبقة النخبة التركية كما أحاط بطرق وأساليب تحديث الدولة لكثرة ما استمع اليه من أحاديث ومحاضرات دوام على القائها اعضاء جمعية الاتحاد والترقي وأعضاء جمعية تركيا الفتاة ، ويقول مؤرخو سيرته أنه أتقن ألاعيب السياسة الأوربية وبراعتها في الدس والكيد ، وقضى زوغو بك العشرين شهراً الأولى من الحرب العالمية يعد كتائب البانية من شباب قبائل ماتي الجبليين استعداداً لتحرير ألبانيا من محتليها ، سواء أكانوا بقايا المتعاونين مع الأمير وليام أم ممن أحتل اراضيها من قوات أجنبية من صرب ونمساويين ومجريين وايطاليين ويونانيين ، ودرج على مصادقة أي جانب من المتحاربين يظهر استعداداً للاعتراف باستقلال البانيا ، وقد حاولت النمسا ضمه الى جانبهنا فلما يئست من اخلاصه لها احتالت على نقله الى فيينا . ولما وصل العاصمة النمساوية في أوائل سنة ١٩١٧ وجد نفسه في ضيافة جبرية عند حكومتهما استمرت حتى نهاية الحرب ، وهكذا قضى السنتين

---

(١) " زوغولّى " تعني المحلق أو المرتفع حولها محبوه من اتباعه الى زوغو وتعني الطير وحولها هو بدوره بعد توليه الملك الى زوغ ومن معانيها " النسر" المؤلف .

الاخيرتين من سني الحرب العالمية في العاصمة " النمساوية " (١) غير أنه لم يضع تلك السنتين هباء بل التحق بالمدرسة الحربية في فيينا واستكمل تكوينه العسكري والسياسي ، وتدرب على الحياة الاجتماعية الأوربية . أما طباعة الشخصية فقد كيفها عاملان أولهما نشأته في بيئة اسلامية وثانيهما ثقافة شرقية تركية البانية يخالطها الكثير من الثقافة الالمانية والتربية العسكرية النمساوية الصادقة ، وهي طباع تدفع صاحبها الى المثابرة على تحقيق أهدافه المرسومة في شجاعة المؤمن بالقضاء والقدر الآخذ بالاسباب العليم بالطرق الموصلة الى الغاية مع علم مبين بما تحت يده من قدرات حقيقية وتقدير لما يحيط به من ظروف . هذا هو أحمد زوغو بك الرجل الذي القى القدر بين يديه مقدرات البانيا منذ نهاية الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٩ .

لقد تسلق أحمد زوغو بك سلم السلطة في بلاده منذ أن اختاره مؤتمر زعماء القبائل الالبانية المنعقد في مدينة لوتشينى سنة ١٩٢٠ وزيراً للداخلية في أول حكومة عصرية لالبانيا ، ولكنه لم يلبث أن صار رئيسا لتلك الوزارة في ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٢٢ ، واستمر في الرئاسة حتى يونيه سنة ١٩٢٤ ، وفي تلك السنة عانى هزيمة انتخابية نتيجة مؤامرات الاسقف فانتولى منافسه على السلطة . و عقب محاولة انقلاب مخفقة اضطر زوغو بك إلى اللجوء الى يوغوسلافيا ، وفي اثناء اقامته في بلغراد ظهرت مواهبه غير العادية في التنظيم وكانت لاتقل عن مواهبه السياسية ، ففي فترة قصيرة للغاية أعد تنظيم تدخل عسكري يقوم به رجاله الجبليون بعد أن سلحهم بأسلحة يوغوسلافية ، وضم اليهم بقية الجيش الالباني الذي سرح بعد نهاية الحرب ، وعاد على رأس هؤلاء الى البانيا يوم ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٢٤ .

---

(١) NAZIONE E RELIGIONE IN ALBANIA P.10

واستعاد السلطة من حكومة الاسقف الارثوذكسي في بضعة أيام ومارس الحكم في البانيا باعتباره رئيسا للجمهورية وقائداً عاماً للجيش ، وواصل حكمه حتى سنة ١٩٢٨ . واصدر خلال تلك السنوات دستوراً حول البانيا الى دولة شديدة المركزية موحدة الشعب بعد أن قضى على الخصومات القبلية والتحزب الديني وفي نفس سنة ١٩٢٨ نادى به البرلمان ملكا على الالبانيين وليس ملكا على البانيا بحدودها الدولية آنذاك توطئة منه لاستعادة مقدونيا وكوسفو والاقليم الجنوبي الذي اغتصبته اليونان ، إذ كان زوغو بك يخطط لتوسيع مساحة البانيا في ذات الوقت الذي كانت فيه حليفته ايطاليا تستعد لالتهام البانيا كلها .

لم يصل زوغوبك الى قمة السلطة في بلاده بسهولة ، كما لم يكن خاملا متواكلا بل كان ذكيا مقداماً في حذر ، متسامحاً مع من لايعد التسامح ضعفاً ، ذا ارادة صلبة ، كما أنه لم يصل الى المكانة العالية التي وصلها إلا بعد ان استطاع أن يتغلب على عقبات كأداء أخطرها : عدم يأس دول أوربية من تنفيذ قرارها بتنصيب أمير مسيحي على البانيا ، ومن نتيجة سعيها المتواصل للحؤول دون فرصة قيام الدولة الاسلامية الوحيدة في أوربا . ومن تلك العقبات الظروف الدولية غير الملائمة ومؤامرات جيران البانيا الطامعين في اقتطاع اجزاء أخرى من أراضيها ، ومن أخطر ما واجهه من صعاب مؤامرات كمال اتاتورك الخفية ضده وقطعه للعلاقات السياسية معه ، وحرمان الشباب الالباني من الانتساب الى الجامعات التركية ، كل ذلك انتقاماً منه لتزويجه أخته سنيه زوغو من الأمير محمد عابد ابن السلطان عبد الحميد خان الثاني ، وذلك سنة ١٩٣٦(١) . أما ايطاليا التي اغرقت

(١) NAZIONE E RELIGIONE IN ALBANIA P.107

زوغو في الديون باقراضها له ملايين الليرات الذهبية فكانت تمد له شباكها حتى حان الحين ، ونضجت خطتها فاستولت على البانيا دون أن تسيل من جيشها نقطة دم واحدة وان لم تهنأ باحتلالها لالبانيا إلا مدة تقل عن السنتين .

ألبانيا الإسلامية

عندما إرتد جبلة بن الأيهم عن الإسلام أيام الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفرّ للاحتماء في دمشق ، فر معه قومه مسلمهم ومشركهم إستجابة للعصبية القبلية وحافظ المسلمون على عقيدتهم رغم اخفائهم لها.

وبعد هلاك جبلة إنتشر الغساسنة في أنحاء الإمبراطورية البيزنطية ولسبب لم يتضح تاريخياً استقر عدد منهم في ألبانيا التي كانت جزءاً من الإمبراطورية البيزنطية في ذلك الوقت ، ونشروا الإسلام بين جيرانهم من الألبانيين ، ويذكر كتاب تاريخ (١) العلويين أن الناطقين بلغة " توسكو" هم من ذرية أولئك العرب الرواد الذين استقروا في ألبانيا مسلمهم ومشركهم ، أما النسبة القليلة من العلويين التي لاتجاوز ٢٪ من مجموع المسلمين فالمعتقد أن بعض العلويين المقيمين في سوريا نقلوا مبادئ هذه الفرقة إلى ألبانيا في أوائل عهد الحكم العثماني ، وعلى الرغم أنه ليس بين الأتراك من علويين . فالمعروف أن بين ألبانيي ألبانيا الحالية وألبانيي كوسفو نسبة ضئيلة من العلويين ، وكما ذكرنا فقد تم اخضاع ألبانيا للحكم العثماني منذ القرن الخامس عشر حتى نهاية العقد الأول من القرن العشرين عندما ثارت ألبانيا ضد الحكم العثماني بتحريض من اليونان والألمان البروتستانتيين " ورومانيا والنمسا الكاثوليكيين والكنائس الكالفينية في سويسرا ، واضطرت تركيا المشغولة في حرب مع إيطاليا عند غزوها لليبيا ، فضلاً عن مكافحة الإضطرابات التي شاعت في أراضيها في البلقان واليمن وغيرها إلى الإسراع بالإعتراف باستقلال الشعب الألباني ، قامت على إثر إعلانه

(١) محمد غالب الطويل تاريخ العلويين ، دار الأندلس بيروت ص 101

حكومة (١) متعثرة لم تتمكن من الإستمتاع بالإستقرار إلا بعد إنتهاء الحرب العالمية الأولى سنة ١٩٢٠م ، تولى رئاسة الوزارة لتلك الحكومة ضابط كبير في الجيش يدعى أحمد زوغو تمكن من إيجاد وحدة بين مختلف طوائف الشعب ، وفوت على جيران ألبانيا أطماعهم فيها ولكنه أغرقها في قروض من الدول ، وخاصة تلك الدول الطامعة في الهيمنة على ألبانيا وعلى رأسها إيطاليا التي أقرضت ألبانيا ٥٠ مليون ليرة ذهبية . وفي سنة ١٩٢٨م أعلن أحمد زوغو نفسه ملكاً عليها واستمر متربعاً على عرشها الى يوم أن غزتها إيطاليا في ١ أبريل ١٩٣٩م وطردت زوغو عن عرشها ونودي بملك إيطاليا " فكتور عمانويل الثالث ملكاً على ألبانيا وحمل لقب ملك إيطاليا وألبانيا وإمبراطور الحبشة . أثناء الحكم التركي كانت القومية مرتبطة بالمعتقد الديني ، فالمسلم تعنى التركي والألباني المسلمين وجميع رعايا الخلافة المسلمين إن وجدوا في ألبانيا ، واليوناني تعني أتباع الكنيسة الأرثوذكسية يستوي في ذلك المسيحي الألباني وغيره من رعايا الخلافة من أتباع تلك الكنيسة ، والرومي تعني أتباع الكنيسة الرومية الكاثوليكية ، الألبانيين وغيرهم ممن يدينون بالكثلكة ، وكان كل منهم يكتب بالخط السائد بين أتباع ملته ، غير أن الصراع بين هذه الطوائف كان على أ شده بين مؤيدي الأبجدية العربية المستعملة آنئذ في كتابة اللغة التركية واللغة الألبانية بشطريها (غيغو وتوسكو) من قبل الألبانيين المسلمين وبين مؤيدي الأبجدية اليونانية التي يناصر الكتابة بها أتباع الكنيسة الأرثوذكسية ومؤيدوهم ، وهم يعارضون الكتابة بالحروف العربية والحروف اللاتينية التي ينادي بإستعمالها أتباع الكنيسة الرومية الكاثوليكية . وفي النهاية إنتصر

KOSTICH, THE LAND AND PEOPLE OF THE BALKANS P : 84 (١)

الرأي المؤيد لإستعمال الأبجدية اللاتينية سنة ١٩٠٨م في كتابة شطري اللغة الألبانية بفعل التأييد من عامة المسيحيين الكاثوليك . عملاً منهم بموقفهم الساعي إلى فصل الألبانيين عن غيرهم من المسلمين من عرب وعجم توطئة لإلتهامهم كما سيأتي في الصفحات اللاحقة . ومنذ إعلان كمال أتاترك (١) فصل الدين عن الدولة إتجه الألبانيون إلى الدراسات الدينية (٢) في المعاهد الإسلامية في سوريا ومصر (٣) وتونس والمغرب والجزائر على تفاوت شديد بين أعداد الوافدين إلى كل بلد من البلاد المذكورة ، وإشتهرت ألبانيا برسوخ الإسلام في قلوب مواطنيها ،فبالرغم من حملات التنصير وحملات الإغراء لم يتحول الألباني عن الإسلام إلا فيما ندر ومن هذه الحالات النادرة إعتناق إسكندر بيرج للمسيحية بعد إسلام ، وشرحنا الدوافع السياسية والعسكرية لذلك التحول ، وإذا كان أنور خوجة قد ألحد وقرر أن يحول ألبانيا والألبانيين إلى الكفر بعد الإيمان فهو مخفق لا محالة وقد إعترف هو بهذا الإخفاق عندما قال أن المعركة مع الدين ستكون طويلة وشاقة ومعقدة ، ومما يؤكد إخفاقه في واقع أمره رغم خداع المظاهر القصة التالية التي رواها لي أحد زعماء المهاجرين المقيمين في باري ... قال المهاجر نظم قسم الثقافة الحزبية سلسلة محاضرات مستمرة تشرح خطأ التدين وتبين أن الشيوعي المخلص لمبادئه يجب عليه أن ينفر من حوله من التدين ليتحرر من قيود الدين وكان أنور خوجة يلقى بنفسه بعض هذه المحاضرات كلما سنحت

(١) يقول أسامة العيتاني الأديب اللبناني أن في اسطنبول جماعة من المسلمين الأتراك أصلهم من اليهود اعتنقوا الإسلام ظاهرياً وبقوا متمسكين بيهوديتهم الهدامة يعرفون بالدونما ، ومقرهم الأساسي في سلانيك يعتزون كثيراً بكمال أتاترك ويعتقدون أنه منهم وحجتهم أن أتاترك أسفر عن نياته ضدالإسلام منذ أن تولى الحكم ورسخت أقدامه فيه .

(٢) قرر أتاترك ورفاقه التخلص من القيود الدينية فأوقفوا الدراسات الدينية مما جعل الطلبة الألبانيين يتجهون إلى البلاد العربية لتحصيل العلوم الدينية .

(٣) عاصر المؤلف الطلبة (الوافدين) إلى الأزهر بالقاهرة سنة ١٩٣٧م وقد جاوز عددهم المائة .

الفرصة ، وفي أحد لقاءاته بالشباب الجامعي الذين استقبلوه بالهتاف والتصفيق سمح لهم بالجلوس واستعد لإلقاء كلمته وفي ذلك السكون الذي يسبق كلمة زعيم خطير كأنور خوجة إرتفع صوت أحد الحاضرين ممزقاً الصمت بالهتاف الخالد " وحدوا الله " فانطلقت الحناجر بما إعتادت أن تجيب به على ذلك الهتاف مجيبة في صوت واحد .

لا إله إلا الله محمد رسول الله

لم تتخذ السلطة أي إجراء خلافاً لما يتوقع الإنسان في مثل هذه الحالات ، ويظهر أن خوجة خشى أن أي إجراء قد يزيد الموضوع إنتشاراً ويشجع الأغلبية الصامتة على الجهر بالمعارضة فألقى محاضرته وخرج وتوقف الأمر عند هذا الحد .

ولاجرم في أن تخفق كل محاولات تكفير الألبانيين فمنذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً عرف الألبانيون الإسلام وإن لم ينتشر فيها إلا بعد سنة ٨٤٠م عندما أخذت السفن الإسلامية تجوب البحر الأدرياتيكي وتحرر موانئه من سيطرة البيزنطنين عندما كانت ألبانيا مازالت هي ويوغسلافيا جزءاً من إلّيريا .

ومنها إنتشرت الثقافة العربية الإسلامية في جميع أرجاء جزيرة البلقان ووصلت إلى شواطئ بلغاريا على البحر الأسود وشاعت الكتب الإسلامية في جميع أرجاء البلقان ، فلما تنصر حاكم بلغاريا وصار أول حاكم مسيحي لها كتب إلى البابا نقولا الأول رأس الكنيسة البيزنطية يسأله الرأي فيما

يجب فعله بالكتب العربية الإسلامية الكثيرة العدد التي تنتشر بين أفراد شعبه فتلقى منه الرد التالي :

" أنتم تسألونني عن الكتب السارشينية (العربية) المنتشرة بينكم . وأنا أوقول لكم . لا تحافظوا عليها لأنها تسبب لكم الفساد في الدين ، وحيث أنها ضارة بدينكم ودنياكم فألقوا بها في النار " (١)

ونصيحة البابا هذه دليل قاطع على مدى إنتشار الكتب العربية في البلقان إلى الحد الذي استشعرت بيزنطة خطرها على عقول عامة رعاياها . ولعلمنا بمدى بطء إنتشار الحركة الثقافية في ذلك الزمان الذي لم يعرف المطابع ولاوسائل النشر الحديث ، فضلاً عن قلة عدد من يقرأ ويكتب بالنسبة لعامة السكان ، فلا يمكن عقلاً أن تنتشر تلك الكتب ذلك الإنتشار الذي شعر(٢) به رأس الكنيسة البيزنطية إلا إذا كان قد مر زمن طويل على إتصال شعوب البلقان بالثقافة العربية الإسلامية ولنقل قرنين من الزمان أو تزيد وهي نفس الفترة التي انقضت منذ أن تبعثر الغساسنة ومن معهم من عرب في أرجاء الإمبراطورية البيزنطية .

---

(١) جريدة الدعوة الإسلامية الصادرة في ٣٠ أكتوبر ١٩٨٥م

(٢) جريدة الدعوة الإسلامية الصادرة في ٣٠ أكتوبر ١٩٨٥ .

الإسلام في ألبانيا اليوم

في سنة ١٩٦٧م أعلن أنور خوجة إعتناق ألبانيا الإلحاد رسميا وحرم الإسلام وهو دين أكثرية السكان كما حرم الديانات الأخرى وهي المسيحية بمختلف مذاهبها ، واليهودية مع قلة عدد أتباعها ، وحطمت الصلبان كما حطمت شعارات الكنائس والجوامع كافة وكذلك المعابد الأثرية . وحولت أمكنة العبادة على إختلاف عقائد أصحابها إلى دور ترفيه أو دور للثقافة الحزبية أو دور للخيالة والرياضة أما زوايا الصوفية والتكايا وأضرحة الأولياء فحولت إلى مساكن أو أماكن للتدريب على الحرف بعد تغيير مظهرها الخارجي بإزالة الأهلة والكتابات والزخارف المميزة لمثل هذه المباني ، فإن تعذر محو مظهر المبنى الديني سواء أكان رباطاً أم تكية أم زاوية أم مسجداً أم جامعاً أم كنيسة أم معبداً أم ضريحاً واستمر يرمز لفكرة التعبد لأي دين أحرق المبنى أو قوض دون النظر إلى الإعتبارات الأثرية أو الدراسات العلمية أو التاريخية إلا ماندر ، وهكذا إختفى أكثر من ألفي مسجد وكنيسة ومعبد ، وأهلك عدد كبير من أئمة المساجد ومشايخ العلم وعدد أكبر من المتصوفة ومن الرهبان والمطارنة وبعض كهنة الغجر ومن تبقى من كل هؤلاء إنتهى في معسكرات العمل الإجباري ، أو معسكرات الإعتقال ، ثم وحد المقابر " فموتى المنطقة الواحدة يدفنون في مقبرة موحدة دون إعتبار لمعتقداتهم الدينية أو لصلاة أو لتقاليد " وهذا التوحيد شيء طبيعي بعد أن زالت الفروق الدينية بين الموتى ، بإلغائها (١) .

وترص القبور في صفوف ذات أشكال هندسية ودون زخارف أولوحات

(١) من كلمة أنور خوجة التي أعلن فيها توحيد المقابر سنة ١٩٦٧م .

رخامية أو شارات دينية ، ويتم الدفن على نفقة البلدية بأيدي عمالها مجاناً دون حضور أحد سوى الأقارب الأدنين ، ولايتم الدفن في ساعات العمل الرسمية لأن ألبانيا أولى بذلك الزمن بدلا من قضائه في المجاملات ، وذلك طاعة لشعار الحزب القائل " العمل والإجتهاد والتفاني " والسير في الجنائز يتنافى مع التفاني في طاعة الحزب في سبيل ألبانيا .

ومنذ أن أعلن خوجة أن دين الشعب الوحيد يجب أن يكون " الألبانيزم " (١) أي لامعبود إلا ألبانيا ، تحول عقب هذا الإعلان ألفا مسجد اسلامي وكنيسة كاثوليكية وأرثوذكسية وبعض المعابد الأخرى إلى أماكن مهجورة مقفلة حولت فيما بعد إلى ملاعب رياضية ودور تسلية وأحرق مالم يتغير معالمه . ولو أن عشر إنتاج ألبانيا من الإسمنت خصص لبناء البيوت والمكاتب لما إضطر خوجة إلى تحويل المعابد إلى ملاهي ودور للثقافة السياسية الحزبية وهي الحجة التي تحجج بها في تحويل المعابد إلى دور لهو أو مخازن أو غير ذلك من الأغراض غير الدينية ، لأن إنتاج الإ سمنت مخصص كله لبناء المخابئ الحربية إذالحزب في خوف دائم من غزو الجيران سواء في الشمال والجنوب أو في الشرق والغرب ، ويعتقد زعيم الحزب الشيوعي الألباني أن هؤلاء الجيران يدعمهم تشجيع من جشع الغرب الرأسمالي ومن نهم الشرق الشيوعي الإمبريالي " ، مع أن الألباني العادي يقول أن شدة طمع جيراننا جميعاً يغنيهم عن أي حث خارجي للعمل على إحتلال ألبانيا ، وهم يرون أن تحويل ألبانيا إلى دولة لا دينية لايلغى رغبة الدول المجاورة في إحتلالها حتى التي يغلب فيها أتباع الدين المسيحي كاليونان وكذلك تلك التي يكثر فيها المسلمون كيوغسلافيا ويودون جميعاً

(١) من خطاب ألقاه أنور خوجة في ديسمبر ١٩٦٧م في الجمعية التشريعية الوطنية شرح فيه أسباب قراره بإلغاء العقائد الدينية .

بجدع الأنف أن تزول الدولة الوحيدة في أوربا التي توصف بأنها دولة مسلمة ، وعلى الرغم من أن أنور خوجة وأعوانه هم الوحيدون في العالم الذين يفخرون بأنهم أنشأوا دولة ملحدةً ، " وستظل ملحدة حتى ولو تغيرت السلطة الشيوعية " ، فهم يعتقدون أنهم زرعوا (الإلحاد) في قلوب الأجيال القادمة بأسلوب ماركسي لينيني أصيل " ستعجز جميع الآلهة عن إقتلاعه من تلك القلوب الطاهرة " ؟ واتبع هذا القرار بالتشدد في محاربة الشعائر الدينية لأي دين ولم يسمح فإقامتها حتى في المنازل . والقلة من الشيوخ الذين يمارسون أي شعائر دينية يمارسونها في خفاء شامل كما أن غياب المساجد والمعابد الأخرى وإنقطاع الأذان وأجراس الكنائس حرم أصحاب العقائد مما يذكرهم بموعد العبادة ، كما أن وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة لاتشير إلى أي دين إلا في موقع الذم والتسفيه والتحقير، وكذلك الخيالة لايمكن أن تعرض فلما أو شريطاً يحوي أي مظهر من مظاهر الإحترام لدين ما ، وفي المرات القليلة التي استقبل خوجة بعض رجال الدين كالبطريارك ديمتروف(١) أسقف إسطنبول ، فقد استقبل بإعتباره شخصية كبيرة من شخصيات الدولة التركية . وكذلك عندما زارها كاردينال مبعوث من البابا ستقبل بإعتباره ممثلاً للفاتيكان لا باعتباره كاردينالاً من كبار الكرادله . ومازال طلب من مشيخة الأزهر للسماح ببعثه أزهرية رسمية بزيادة ألبانيا ينتظر البت فيه من قبل السلطات الألبانية .

وقد بدأ أنصاره الحملة ضد زعماء جميع العقائد والأديان في فبراير ١٩٦٧م عقب خطبة له ، واعتدوا خلالها على الكنائس والمساجد والمعابد الأخرى في طول البلاد وعرضها . وحول أكثرها إلى أغراض " أكثر جدوى

(١) ديمتروف الأول أسقف اسطنبول في الكنيسة الأرثوذكسية .

للمجتمع " فلعب الشباب الكرة الطائرة تحت قبة كاتدرائية مدينة سكودرا ، أما الدير التابع لها فصار مقراً للشرطة السرية . وفي نفس السنة ألغى القانون المنظم لشؤون الديانات والمرافق الدينية والأوقاف ، وتم تحريم القيام بأي عبادة مهما كان نوعها وأصدرت الأوامر للمسيحيين بحرق أناجيلهم وللمسلمين بحرق مصاحفهم ، ثم أعلن أنور خوجة أن ألبانيا هي أول شعب ملحد على وجه الأرض . وفي سبتمبر ١٩٦٨م سمعت إذاعة تيرانا تنشر على الملأ أن المسيحين مازالوا يجمتعون سراً ، وأضاف المذيع أن أمرهم سيسوي ، وبعد فترة أذاعت نفس الإذاعة أنه مازال من المسيحيين المتطرفين عدد قليل من الفرانشيسكان بلغ بهم التعصب حد مقاومة التعليمات الجديدة . وقد وضع هؤلاء المتعصبون في براميل مغلقة ودحرجت من المرتفع لتستقر في قاع البحر(1) . وأعلن أنور خوجة أمام مؤتمر الجبهة الوطنية الديمقراطية أن المعركة ضد التقاليد والديانات المتبعة التي استقرت جذورها في ضمائر أفراد الشعب ، هذه المعركة لن تنتهي إلا بعد إجتثاث هذه الجذور" وسيذكر التاريخ أن ألبانيا هي أول دولة في تاريخ البشرية ينكر المسؤلون فيها بصراحة وجود الإله ، ويعملون بقسوة شديدة على محق أي رمز أو تعبير عن أي عقيدة دينية ، وبالغ في هذا الأمر حتى وصل إلى اللغة الألبانية فطهرها من المصطلحات الدينية غير المرغوب ، فيها وفي ٢٦ نوفمبر ١٩٦٨ شرع في تصفية الرهبان الكاثوليك الأجانب بحجة أنهم كانوا طليعة الإحتلال الفاشي ، ثم أتبع الرهبان بزعماء الكاثوليك الألبان ، ومن لم يقتل منهم وعجز عن الفرار أعتقل أو سخر للخدمة

---

(١) دخل رهبان الروم الكاثوليك من طائفة الفرنشيسكان ألبانيا سنة ١٢٥٠م،كتاب "غداً ستموتين" "TOMORROW YOU DIE".

انصب تطهير اللغة على جميع المصطلحات الدينية بحذفها من القواميس وتحريم ذكرها إلا مصحوبة بالذم والتحقير (المؤلف) .

الإجبارية .

وفي ٤ مارس ١٩٧٦م أذاعت تيرانا أن ألبانيا قد وافقت على تعديل دستوري نصه :" كل والد يتعين عليه تنشئة أبنائه دون أية عقيدة دينية " والأحوال الشخصية ستكون وفق الصالح العام " .

وهو نص دستوري أضفى شرعية على القوانين واللوائح التي صدرت من قبل التعديل الدستوري المذكور والمطبقة بالفعل منذ ١٩٦٧م رغم أن الدستور كان يتضمن مادة نصها :" جميع المواطنين متساوون بقطع النظر عن سلالتهم أو عقيدتهم ". وقال أنور خوجة لتبرير هذا التعديل الدستوري أن الدين لم يزل يزاول في المسجد والكنيسة والمعبد . إذن فالمعركة ضد العادات والتقاليد والمؤسسات الدينية والتي لها جذور عميقة في ضمائر شعبنا ، لم تات نهايتها بعد . إن معركتنا معها ستكون معركة قاسية ، طويلة .معقدة ، غير أن الشباب ضعيف الإحساس بالدين وهذا مما يقوي آمالنا في الإنتصار" . ونشرت جريدة " ديلي تلغراف" يوم ٢٥ أبريل ١٩٦٤م بلاغاً أصدره الفاتيكان حول إعدام الراهب الكاثوليكي الأب " أسكورتي" مع فريق من أهالي أبرشيته كانوا قد فروا إلى يوغسلافيا طلباً للنجاة من الملاحقة ولكن الحكومة اليوغسلافية سلمتهم إلى حكومة أنور خوجة فنفذت فيهم حكم الإعدام في ٢٦ نوفمبر ١٩٦٨م ، ومما شجع أنور خوجة على تبني العنف الذي لايعرف حدوداً ضد معارضيه وضد من لا يرى رأيه ، عصف ستالين بخصومه مثلما فعل بتروتسكي عندما أرسل إليه من هشم جمجمته بمطرقة حديدية ، وكما فعل بخمسة ملايين روسي في القرم لم يكونوا يستسيغون سياسته فرحلهم إلى بقعة تبعد أميالاً كثيرة جداً عن موطنهم الأصلي ، كما أن حملات التطهير الشهيرة التي أودت بحياة مئات الآلاف

من الرؤوس التي تخالف ستالين في فهمه لتعاليم ماركس ، وقتل خمسة ملايين أوستة ملامبين روسي خلال حكمه الذي إمتد من يناير ١٩٢٤م إلى ١٩٥٣م ، ولما كان ستالين هو القدوة العظمى لأنور خوجة فقد ترسم خطاه في نفى معارضيه وتعذيبهم وقتلهم إذا خشى خطرهم كما فعل برئيس وزرائه شيخو ، ووزير دفاعه بكر بالوكو ، ووزيرة الشؤون الإجتماعية ليرى جاغا ، وعدد من زهرة ضباط الجيش الذين شك في ولائهم لشخصه ، ومن نافلة القول : الحديث عن إفنائه للعلماء والمشايخ والمتصوفين والرهبان والقسيسين والنساك والراهبات وكهنة الغجر وجميع من تمسك بعقيدته الدينية .

أنور خوجة وحزبه يجاهران بالإنسلاخ من الإسلام

من أهم أسباب " علمنة" كمال أتاترك لتركيا بعد إستيلائه على السلطة إعتقاده ، أن أكثر ماينقم الأوربيون على تركيا هو تمسكها بالإسلام ، ووجود الخلافة في عاصمتها إسطنبول ، التي كانت عاصمة للمسيحية لقرون طويلة ، فالغاها كعاصمة وإتخذ من قرية صغيرة في شمال الاناضول تدعى أنقرة ، عاصمة جديدة . ولم يلبث أن ألغى الخلافة ، ثم فصل الدين عن الدولة ، ثم فصل الأتراك عن ماضيهم عندما إستبدل بالأبجدية العربية التي كانت تكتب بها اللغة التركية الأبجدية اللاتينية ، وبهذا التدبير لم يعد أتاترك مضطراً لإحراق الكتب التركية مهما كانت موضوعاتها متعارضة مع سياسته ، فما إن انقرض الجيل القادر على قراءة وكتابة اللغة التركية بالحروف العربية حتى تحقق الفصل بين التركي المحدث وتاريخ ماضيه

وثقافة أجداده وخلق حاجزاً بينه وبين القرآن (١) الكريم . وهو الهدف الأساسي في كل هذه العملية الصعبة . فكمال أتاترك يعتقد أن الأتراك إذا إنسلخوا من الإسلام فستزول أسباب حقد الغربيين عليهم فهل زال حقاً ؟ وأحس أنور خوجة بنفس الإحساس فكان أجرأ على الإسلام من أتاترك ، فلم يقتصر على فصل الألباني عن الإسلام كما فعل كمال ولكنه أعلنه إلحادا فاجراً صريحاً ، ولم يتعظ بالإخفاق الذي واجه خطة كمال . ولا بالإخفاق الذي تجرع مرارته أنور باشا وزملاؤه من أعضاء جمعية الإتحاد والترقي الذين رأوا سعيا منهم لتخفيف حدة كراهية أوربا لتركيا أن يطيحوا بالنظام الذي توهموا أن أوربا تركز كرهها فيه (٢) فقاموا بحركتهم التي أدت إلى إرغام السلطان عبد الحميد على منح الدستور وتكوين برلمان ثم إنتهوا إلى عزل عبد الحميد سنة ١٩٠٨م (٣) ، غير أن الدول لم يكن هدفها النهائي هو عبد الحميد ونظامه ، ولكن هدفها الحقيقي كان القضاء على تركيا وإقتسام أراضيها نفسها لا إقتسام أملاكها فحسب ، فبعد أن حقق أنور ورفاقه هدف تلك الدول في إذلال السلطان عبد الحميد ثم عزله ، تظافرت ضد أنور ونورى وكاراباكير وغيرهم من أساطين جمعية الإتحاد والترقي . وإستغلت النمسا ضعف تركيا المزمن والحالة الدولية المضطربة ، فبسطت سلطانها الكامل على ولايتى " البوسنة" و"الهرسك" كما وجدت إيطاليا في ذلك الوضع المضطرب ذريعة للإستيلاء على ولاية طرابلس في شمال أفريقيا

---

(١) سعى الى إحلال الفاظ طورانية في اللغة التركية محل الالفاظ العربية التي شاعت فيها عقب دخول الترك في الإسلام واشتط في ذلك حتى غير لفظ الجلالة [الله] بحيث لا تذكر لا في الشهادتين ولا في غيرهما وإنما على التركي أن يستعمل لفظ "تانري" TANRI بدلا عن لفظ الجلالة "الله" ، أي المعبود أو الاله (المؤلف)

(٢) جمعية الإتحاد والترقي والسلطان عبد الحميد رمضان صيام حميد أباوص ٢٦ ص ١٠٢ .

(٣) L . SALVEMINO La Fine del Sultano Rosso Pavia.

. وقام رجل اليونان القوي "فـيـنـزيـلـوس" بتشكيل رابطة البلقان التي إستهدفت إخراج العثمانيين من البلقان جميعه ، وبالتالي إقصاءها عن أوربا ففي سنة ١٩١٢م وجد العثمانيون أنفسهم مجبرين على مقارعة إتحاد قوى مكون من دول اليونان وصربيا وبلغاريا ومملكة الجبل الأسود الذين وجدوا مقاومة ضعيفة من تركيا . وقد تقدم المنتصرون حتى أدرنه" وعند إحتلالها بدأ الصراع فيما بينهم وكانت النتيجة حرباً بلقانية ثانية في سنة ١٩١٣م وكانت الحرب هذه المرة بين اليونان والصرب والجبل الأسود ورومانيا في جانب وبلغاريا في الجانب المقابل . ولاشك أن هذه الحرب قد أنقذت وضع تركيا في أوربا . فاستردت تركيا أدِرْنَة " ثم وقعت مع الدول التي تحاربها معاهدة الصلح في " بوخارست وقد أرغمت تركيا على أن تتخلى عن مقدونيا التي قسمت بين اليونان والصرب وبلغاريا . كما أبدت موافقتها على إستقلال ألبانيا فقد احتفظت بالقسطنطينة ومساحة صغيرة في الجانب الأوربي بما في ذلك أدرنه .

وعداء أوربا لتركيا ولمسلمى شبه جزيرة البلقان وماحولها يرجع إلى ماقبل الحروب الصليبية ومازال هذا العداء يعشش في قلوب بعض ضيقي الأفق من المسيحيين ، كما أنه مازال وسيلة سمسرة يلجأ إليها بعض محترفي السياسة عندما يريدون إستثارة دهماء العوام ليحققوا من وراء هيجانهم أغراضاً لاصلة لها بالدين ولابالسبب الظاهر الذي استغلوه في تحريك عواطف العامة ، ومنذ إضطرار بايزيد باشاكره مصطفى لرفع حصاره عن فيينا سنة ١٦٨٣م إستمر المتعصبون من مسيحي أوربا يحاربون المسلمين بكل الوسائل التي تقع عليها أيديهم حتى تمكنوا من إحتلال ٩٠٪ من أراضي المسلمين ، بما في ذلك تركيا نفسها ، وإن لم يدم إحتلالهم لها إلا أشهرا معدودة ، وقد أخذ الحكام المسلمون يفكرون في

كيفية التخفيف من حقد الغرب على الإسلام ، ولعل أسوء ما خطر لأحدهم هو الخاطر الذي دفع أنور خوجة إلى إعلان إلحاد ألبانيا ، لعل في إنسلاخها من الإسلام مايخفف نقمة الأوربيين عليها ، ولكن خاب ظن أنور خوجة فقد خسر دينه ، وضل هو وأرغم جميع الألبانيين على الضلال ، وإن لم يضل إلا قلة منهم . لكنه لم يربح رضا أوربا ، ولارضا المسيحيين المتعصبين .

إذن لم تنجح خطة خوجة بالإنسلاخ من الدين في تهدئة مخاوف من يحيط به من مسيحيين ، وضارع إخفاقها إخفاق خطة مصطفى كمال أتاترك الذي رأى في تخلي تركيا عن الدين الإسلامي سبباً مقنعاً لأوربا لتنسى حقدها على الإسلام والمسلمين ، ولقد ألحد أنور خوجة كما أوقف كمال أتاترك العمل بتعاليم الإسلام من قبله ، ومع ذلك فلم يؤد هذا إلى أي نتيجة مما كان قد تصوره الزعيمان " المتأوربان" ولم يعتبرا بما حدث للزعيم الهندي سير ميرزا غلام أحمد الذي اعتقد أن التقرب من المستعمر الأوربي وتحوير معاني الاسلام بما يرضي المستعمر ينسيه الحقد ، وبالغ في ذلك حتى أصدر فتوى بتحريم الجهاد ضد الانجليز بالهند . ومع تأييد الانجليز السياسي لغلام أحمد والاغداق المادي عليه ، فقد بقى دائماً ذلك الهندي المستعمر الذي لايمكن أن يرتفع مهما علا شأنه الى مستوى الانجليزي الأصيل ، وكذلك أنور خوجة لم يفده انسلاخه من الاسلام بل جمع عليه ازدراء اوربا واحتقار المسلمين .

كما أن خوجة لم يتعظ بتاريخ البانيا منذ استقلالها الى أن تزعمها هو ، ولم ينتبه الى أن الحقد الديني بقى يوجه سياسة أوربا ضد الاسلام

والمسلمين ، والى أن هذا الحقد نفسه هو الذي دفع زميله في مقاومة احتلال دولتي المحور ليوغسلافيا وهو العقيد " دراجا ميخايلوفيتش" وميليشيته أن ينتهز فرصة انشغال الجيش الالماني في معارك الحدود ليهجم على المزارع والقرى الاسلامية في البوسنا والهرسك بعامة وفي خرواتيا بخاصة فعاثت عصاباته في مواطنيهم المسلمين اليوغسلافيين غصباً وسلباً وقتلاً وتشريداً. فهلك بنيران وأسلحة ميخايلوفيتش وعصابته مائتا الف شهيد ويقدر الهلكي من المرض والجوع والبرد بمائتي الف نسمة أخرى ، ولولا تدخل مفتي فلسطين (١) في ذلك الوقت لدى السلطات الالمانية والايطالية بخاصة في المساعدة على تكوين فرق دفاع من الشباب اليوغسلافي المسلم ليعمل على حماية المسلمين اليوغسلافيين لاستأصلت عصابات ميخايلوفيتش كل مسلم في المقاطعات الثلاث ، وما إن نزل جيش الدفاع الاسلامي (مائة الف مسلم (٢)حتى فرميخايلوفيتش وجنوده الى مخابئهم في الجبال . ولم يلبث تيتو أن استغل جرائم ميخايلوفيتش التي أرتكبها ضد المسلمين العزل واستثمرها في إستصدار الحكم بإعدامه ، فأعدم كما سيتضح في فصل لاحق . أن خوجة يعرف أن انحسار الحكم العثماني سنة ١٩١٣ عن معظم اراضي تركيا الأوروبية وضعفها الشديد مكن الدول الأوروبية من إعادة رسم خريطة دول البلقان بعد أن اعلنت كل من المانيا والنمسا وبريطانيا وفرنسا استقلال البانيا عندما تأكدت من إخفاق مساعيها السرية المكثفة للحيلولة دون قيام دولة مسلمة في أوربا ، ومع ذلك فقد أضطرت أوروبا للاعتراف بقيام البانيا المسلمة بعد أن سارعت تركيا الى منحها استقلالها ، ولكن الحقد المسيحي لم ييأس فسعى لمسخ اسلامها بتشجيعه لحزب سياسي يقوده اسقف ارثوذكسي نجح في حكم البانيا مدة تقارب سنوات

(١) محمد الغزالي. مع الله. دراسات في الدعوة والدعاة . ص ٢
(٢) نفس المصدر

أربع ولكن أى حكم !!! .

وأشتد الصراع الخفي فإيطاليا الطموح ترى أن البانيا هي جزء من نصيبها المشروع في اشلاء تركة الامبراطورية العثمانية المحتضرة ، وترى اليونان جارة البانيا أن الجارة أحق بالشفعة ، وترى صربيا وحلفاؤها الصقالبة انهم هم المنتصرون حقاً في حربهم ضد العثمانيين ، وبالتالي فهم أولى بهذه الغنيمة ليلحقوها بما سبق أن أقتسموه من أرض تركية ، خاصة وان روسيا تبالغ في تأييد صربيا ، أما المانيا زعيمة الحلف الثلاثي فلا تتفق معهم إلا فيما يتعلق بحربهم ضد العقيدة الاسلامية (١)، ورشح فلهيلم الثاني امبراطور المانيا ابن عم له لينصب أميراً على البانيا . ولم تجاوز مدة حكمه ٢٠٤ أيام لان ايطاليا الطامعة في بسط نفودها على البانيا عملت على تأخير تسلمه للسلطة حتى قامت الحرب العالمية الأولى فأضطر الأمير الى العودة الى بلده خائباً . وماتت مؤامرة تنصيب ملك مسيحي على شعب مسلم ، وإن لم تمت الفكرة نفسها فقد طبقت في السنغال (٢) وهاهي تطبق في الكاميرون كما سبق أن طبقت في بلد عربي منذ سنة ١٩٤٣م، ولما عجزت أوروبا المتعصبة عن تنصيب ملك مسيحي لم تلبث أن صنعت ملكا لألبانيا لينفذ سياستها ويوافق على مخططاتها ، كما أوضحنا عند الكلام على أحمد زوغو ، والذي لم يخيب أمل من صنعوه وخاصة عندما تزوج أميرة مجرية مسيحية لتنجب للعرش الالباني ولياً للعهد تربيه أم مسيحية،

(١) عند دخول الجنرال الانجليزي " اللمبي " القدس سنة ١٩١٩م قامت الافراح في المانيا حليفة تركيا بإعتبار إنتصاره على تركيا المسلمه هو نصر للمسيحية يجب على المانيا أن تشارك فيه مع أنها مشاركة في حرب ضروس ضد بريطانيا كتاب . محمد الغزالي . مع الله . دراسات في الدعوة والدعاه . ص ٤١٥

(٢)تولى " ليوبولد ستغور" حكم السنغال منذ استقلاله حتى عام ١٩٨٤م وهو ابن لأسرة مسلمة تنصر على يد البعثة التبشيرية التي تعلم على يدها . المؤلف .



الجنرال اللنبي لدى دخوله مع قواته الى القدس

عرفت بتعصبها ، في حجر أب نصيبه من الاسلا م الحقيقي اسم وشهادة ميلاد ، تشهد أنه ولد لأبويه مسلمين ، ولكن ميلاد ولي العهد المرتقب كان شؤما على والده أحمد زوغو وأمه الملكة "جيرالدين" إذ لم يكد يولد حتى قامت إيطاليا بعزل والده .

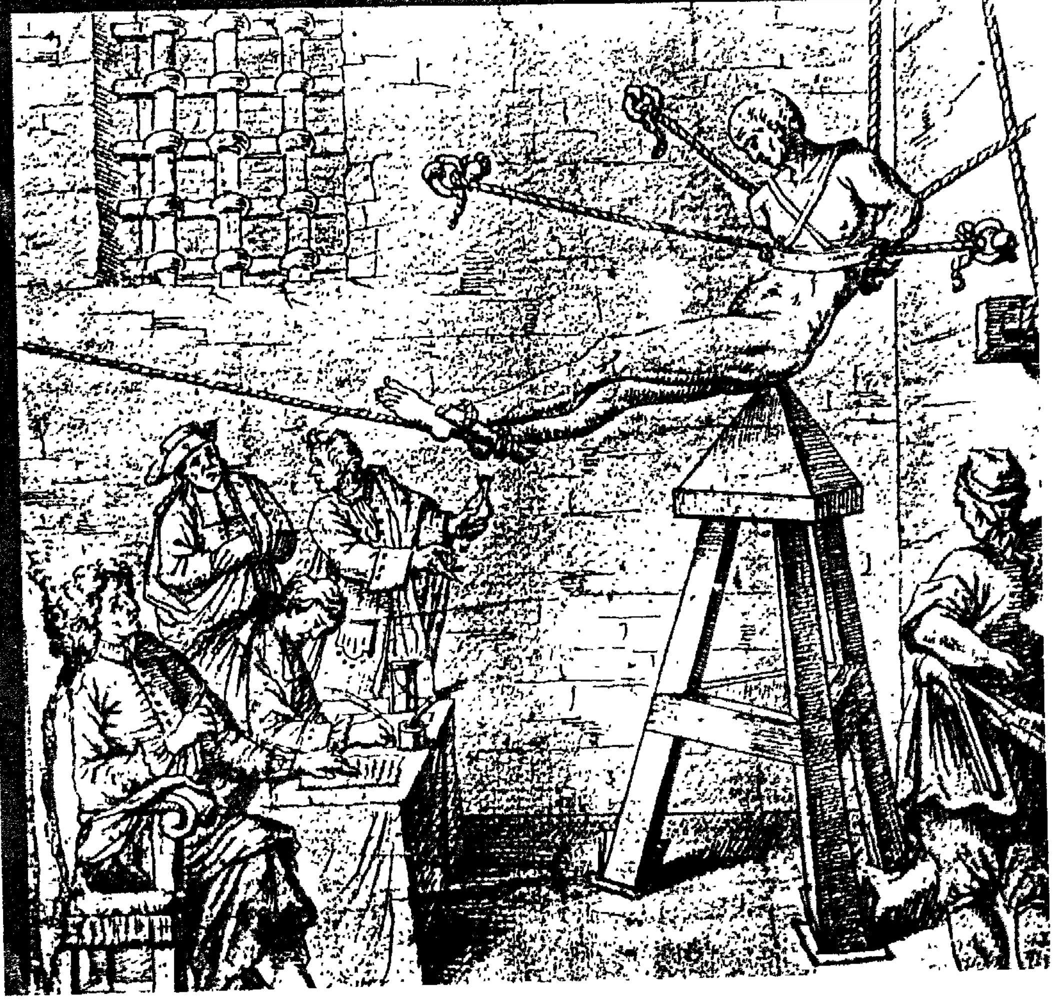
والأمير زوغو المطالب بعرش البانيا يعيش الآن في أوروبا ترقبه عيون أنور خوجة وتحصى عليه أنفاسه .

جمعية الدونما اليهودية

إنتهت الدولة الاسلامية في الاندلس سنة ١٤٩٢م ففقد اليهود بإنتهائها حماتهم . ولم تلبث إيزابيلا ملكة اسبانيا أن ألوت بهم وطردت منهم عشرات الالاف بعد أن صادرت أموالهم . وبقى من اليهود عشرات الالاف من المستضعفين وهمل الناس ، وتعرض هؤلاء للتنصير ، وللاسترقاق ، ولم تلبث الكنيسة المسيحية في اسبانيا أن استحدثث نظام محاكم التفتيش، وهي محاكم انشئت خصيصاً لمراقبة وتقويم عقائد الناس ، ولم يحُل بينها وبين أداء مهمتها ما أتفق عليه علماء الأصول في مختلف الأديان عندما قرروا أن العقائد من أفعال القلوب ، وأنه لايعرف ما في القلوب إلا خالق القلوب ، لكن الكنيسة لم تكن تتفق مع أولئك الأصوليين في هذا الرآي ، فرأت أن تكشف عما في قلوب الناس للتأكد من صحة عقيدتهم ، فأنشأت محاكم للتفتيش لاتخضع للقوانين المدنية في اسبانيا ، وكان من بين ضحاياها مابقى في تلك البلاد من يهود ، وتفنن محققوا تلك المحاكم في تعذيب اليهود لاستخلاص " الحقائق " ، وعذبوهم تعذيباً قاسياً بلغ حداً صيّر الموت أمنية يتمناه من يقع في أ يدي زبانية التحقيق التابعين لمحاكم التفتيش ، مع أن الموت الذي صار آمنية يتم حرقاً أو بإجلاس المحكوم عليه

IL QUATTROCENTO: L'EUROPA NELLA MORSA DELL'INQUISIZIONE

Per salvare l'anima si strazia il corpo



على خازوق يهتك مستقيمه . لكنه لا يميت ضحيته إلا بعد عذاب يدوم ساعات طوالا.

وقد أدى فقدان اليهود لما كانو يتمتعون به من حماية إسلامية ، وفقدانهم للعدل في المعاملة في البلاد المسيحية التي هاجروا إليها من أسبانيا ،وهي بلدان تموج بإضطرابات سياسية وعقائدية بعد أن بلبلت أفكارهم مبادئ مارتن لوثر واضع مذهب البروتيستانتية ،كل هذا جعلهم يتطلعون إلى معجزات سماوية لتنقدهم من البلاء الذى حل بهم ، وهو تطلع أرهف حسهم حيال المسيح المنتظر (١) ، وهكذا تمكن أحد اليهود من أن يدعي أنه المسيح الذي ينتظره اليهود . فصدقه كل من غلبته أمانيه على عقله ، وتكونت فرقة الدونما سنة ١٦٤٨، ممن آمن بهذا المسيح الدعى ، فما هي هذه الفرقة؟ .


سبتاي بن زفي

الدونما كلمة تركية تعني العودة ، وهي مشتقة من المصدر "دونمك "وتعني العودة أو الرجوع ، ويقابلها بالعربية ، المصطلح الإسلامي "الردة " وعلى هذا الايضاح يكون وصف المنتمي لفرقة الدونما ،هو " مرتد" واستعملت كلمة دونما في اللغة التركية خلال القرنين الأخيرين . في معنى التحول(٢) من دين إلى آخر ، كما أطلقت على فرقة يهودية متميزة مستقلة،لها طقوس دينية وعادات خاصة بها ، حافظت عليها و على سريتها وتمكنت من صونها عن غير إتباعها ، حتى أن العالم لم يعرف عن مبادئ تلك الفرقة شيأ إلا في سنة ١٩٣٥ ومؤسس هذه الفرقة هو اليهودي سبتاي بن زفي المولود في أزمير سنة ١٦٢٦ ، نشأ بها ذكياً ، مكباً على التعلم ، فلما

(١)هو مسيح بشرت به كتبهم، يرسله الله لإنقاد اليهود وينشئ لهم مملكة ويقودهم لسيادة العالم وإلى السعادة والرفاهية (من كتاب يهود الدونما ـ للدكتورمحمد عمر) والمعنى الخاص لكلمة المسيح هو النبي أوالمخلص.
(٢) مجلة العربي الكويتية ـ العدد ٣٢٥، صفحة ٤٢ .

ركبته روح شعبه في عصره ، انصرف إلى التعمق في دراسة العقيدة اليهودية والتصوف اليهودي ، وهي دراسة تتسق مع الأزمة العقدية التي تصطرع في صدور اليهود في تلك الفترة التي تفوربإعادة النظر في المسلمات الدينية لدى المسيحيين واليهود ، وحتى عند المسلمين . وقد تمحورت أفكار اليهود بعامة ، حول الفكرة القائلة بأن اليهود – وهم شعب الله المختار وهو إلاههم دون غيرهم – فما باله يتخلى عنهم ويتركهم " للقوييم" يسومونهم سوء العذاب ، وماباله لايرسل إليهم مسيحهم الذي ينتظرون ؟ وقد رأى سبتاي أنه يملك الاشارات التي ذكرتها النبوءات المبشرة يقرب ظهور المسيح مما دعاه إلى التساؤل لما لا يكون سبتاي هو المسيح الذي ينتظره اليهود المطحونون ؟ ومافتئ أن أعلن أنه المسيح الذي ينتظره اليهود وفرض على الذين إتبعوه ، وصايا ثماني عشرة ، بدلا من وصايا الكليم موسى العشر (١) ، ويهمنا منها في السياق الوصية السادسة عشر (٢) ونصها :

" يجب مراعاة عادات الأتراك ، ذراً للرماد في عيونهم ، ويجب عدم إظهار الضيق بصوم رمضان ، وعند تقديم الأضحية ، وتجب المحافظة على جميع المظاهر " .

والوصية السبعة عشر ونصها

" يمنع الزواج من المسلمين "

كما فرض عليهم الإلتزام بالمزاوجة في جميع مناحي حياتهم

(١) قالت مجموعة أبناء الرب أن الخوف من الزنا لم يعد له مكان وأن عمليتي اللواط والسحاق مباحتان في شريعتهم

مجلة " المسلمون " لندن عدد شهر نوفمبر ، ١٩٨٦

(٢) الدكتور / محمد عمر . يهود الدونما بيروت ص ٣ .

الشخصية ، وهو يوصي من يواليه بالإلتزام بإعتناق عقيدة أصحاب السلطة حيث يقيم مع إخفاء معتقده الأصلي أي أن يكون مسلماً في الظاهر إن كان يعيش في بلاد المسلمين مع إحتفاظه بعقيدته اليهودية المحورة وفق مبادئ فرقة الدونما كمعتقد أصيل لايحول عنه ، وأجازلهم الإباحية وتبادل الزوجات وهما أمران أديا إلى رفض قبول فرقة الدونما ضمن اتباع العقيدة اليهودية ، لأن هذه الفرقة في نظر اليهود ، ولد أفرادها من والدين لم تقم بينهما علاقة شرعية التزما فيها بشروط الديانة اليهودية ، ويرى اليهود أن أشد مظاهر شذوذ هذه الطائفه هو تجرؤها على التلفظ باسم " يهوه" (١) المحرم على اليهودي التلفظ به ، وهي جرءة عرضت طائفة الدونما إلى العزل والإضطهاد ، وعرضت زعيمها سبتاى إلى المطاردة من قبل حاخامات الطوائف اليهودية الأخرى ، وهجر أزمير واستقر فترة في سالونيك " حيث وجد أنصاراً زرع مبادئه في تربتهم الخصبة فترعرعت فيها وازدهرت حتى بعد أن طرد الحاخامات سبتاى من تلك المدنية ، لكن طرده لم يحل دون إزدهار مبادئ الدونما وأن تعيش رغما عن غرابتها ومحاربة الديانات الكتابية لها ، حتى يومنا هذا . تجذر مبادئ الدونما في تلك المدينة ومنطقة السلانيك كلها صارت قبلة لاتباع تلك الطائفة فاتخذوها مركزاً رئيسياً لهم واكتسبت نوعاً من القداسة عندهم -

(ومدينة السالونيك هي المدينة التي نشأ فيها . مصطفى كمال أتتاترك) - ومنها إمتد نفوذهم إلى جميع مناطق تركيا ثم صار لهم إتصال وثيق بالجهات العليا في حكومة الإتحاد والترقي التي حلت محل السلطان المخلوع عبد الحميد الثاني .

---

(١) " يهوه كلمة عبرية تعطى معنى لفظ الجلالة " الله" غير أن لليهودى أن يستعمل أي كلمة بأي لغة غير عبريّه تفيد معنى لفظ الجلالة ، والغالب أن يستعمل اليهود ، لفظ " آدوناني" العبرية وتعنى السيد (المؤلف) .

ويدور لغط كثير حول زعماء الإتحاد والترقي وبخاصة حول تسهيلهم لمؤسس الصهيونية " هرتسل" مقابلة السلطان العثماني عبد الحميد ... وسنعرض لما دار فى تلك المقابلة في أسطر لاحقة ، أما الأمر المؤكد فهو الدور الذي لعبه فريق الدونما في إنشاء " منظمة تشكيلاتي مخصوص السرية" التي تزعمها أنور وجمال وطلعت رؤوس جمعية الاتحاد والترقي ، الذين تأكد انتماؤهم إلى الماسونية وتحيط بهم شبهات قوية حول انتماءهم لفرقة الدونما وتصعب تبرئتهم منها . ومن الزعماء المعاصرين الكبار الذين وصموا باعتناق مبادئ الماسونية : عصمت إينونو ثاني رئيس للجمهورية التركية ومنهم أنور خوجة زعيم ألبانيا الذي يجمع معارضوه على أنه ماسوني ودونمى عريق واستدلوا على ذالك بأدلة كثيرة أهمها هو إصرار خوجة على محاربة جميع الديانات والعقائد في نفس الوقت الذي يرأف فيه باليهود الرأفة كلها . ومن أتباع الماسونية المعروفين ، مفكر القومية التركية وفيلسوفها ضياء كوك ألب تلميذ المفكر اليهودي دوركايم وكذلك الصحفي الملحد عبد الله جودة الذي كان مكتبه في رئاسة تحرير جريدة " حريت" ملتقى الشباب التركي الذي اخذته " صرعة" الانتماء للدونما والصحفية الأدبية اليهودية خالدة أديب ، التي تعتبر من أكبر اعلام الأدب التركي الكمالي . والفارق بين الدونمية والماسونية فارق ديني محض ، أما من حيث الأهداف والوسائل فلا فارق بينهما، بل يدفعهما وحدة الهدف إلى تناسى الفارق الديني ليتمكنوا من تحقيق الأهداف التي رسمها الجدود . أما كمال أتاترك فقد يكون الفضول الطبيعي في الشباب قد دفعه إلى تقصى مبادئ الماسونية والدونمية ولكن يظهر أن طبيعته الحذرة حالت بينه وبين الاندفاع نحو أي منهما فنجا من السقوط من حبائلهما إذ لايتفق تحمسه المفرط للدعوة للقومية الطورانية وما تتطلبه الماسونية من ولاء مطلق لمبادئها وهو ولاء يتطلب التخلى عن أي مبدأ لا يتفق مع مبادئها التي تنبذ الوطنية و

الاقليمية والعقيدة الدينية . صحيح أن أتاترك كان من أنصار التتريك دون اعتبار للعقائد الدينية أو الشرائح العرقية وصحيح أن أتاترك سعى إلى الاستفادة من كل القوى الموجودة في الساحة التركية في تنفيذ سياسته ، كما إنه لاجدال في أن الماسونية في تركيا كانت قوة سياسة ومالية وعقائدية كبرى إلا أنها من طبيعتها أن تحصل دائما على مقابل كبير قبل أن تقدم هي أي عون .

ولم يلبث أتاترك عندما استولى على السلطة أن فصل الدين عن الدولة وألغى الخلافة واستبعد من حكومته كل من لمس فيه تمسكا بالدين وتحمساً له ولقد حاول زعماء الماسونية وزعماء الدونما إستمالة أتاترك لينفذوا من خلاله سياساتهم الهدامة في تركيا إلا أن كمال لم يرض أن تكون في تركيا سلطة غير سلطته وأعلن لكل من ألقى السمع أنه لايقبل أن يكون له شركاء في إدارة سياسة تركيا . فلما يئس زعماء الدونما والماسونية من السيطرة على أتاترك " وكان اشد أولئك الزعماء يأساً محمد جاويد وكان أنئذ رئيساً خفيا لجمعية الدونما وهو يأس دفع الجمعيتين الماسونية والدونمية إلى التآمر على حياة أتاترك مستعينتين في تآمرهما يفلول جمعية الاتحاد والترقي (١) ، ولكن أتاترك الذي عركته التجارب السياسية كان للمتآمرين بالمرصاد فاعتقلهم جميعاً قبيل الشروع في تنفيذ خطتهم وحاكم صغارهم وشنق من أدين منهم في الساحة العامة بإزمير ، أما زعماء المؤامرة فحوكموا في أنقرة وصادق أتاترك على الاحكام الصادرة ضدهم بالشنق ، بما فيهم صديقه القديم مصطفى عارف وسعيد خورشيد ورأفت ورؤوف وعلى فؤاد وكاظم كره بكير وعدنان زوج خالدة أديب . وأول من شنق منهم كان محمد

(١) مصطفى الزين أتاترك وحلفاؤه صفحة ٢٠٨

جاويد (١) كما أوضحنا في فصل آخر . ولم يعف من الشنق الا اربعة شفع فيهم ماضيهم العسكري المشرف من بينهم كره باكير وأقام اتاترك ليلة شنقهم حفل راقص أهرق فيه خمر كثير وانفض مع الفجر عندما ابلغه مدير الشرطة بالفراغ من شنق آخر متآمر (٢)

دور الدونما في اسقاط السلطان عبد الحميد الثاني

لنرجع قليلا الى العقد الأخير(٣) من القرن الماضي ، والعقد الأول من هذا القرن لنستعرض الدونما ، وربائبهم في خدمة الصهيونية العالمية وفي محاربة الاسلام والمسلمين ، وتخطيطهم لعزل أو تصفية من يقف في طريقهم من حكام المسلمين ، وفي تمكين من ربوه واعدوه نفسيا وخلقيا لكي يتولى أمر المسلمين ليسكت كل صوت يعارض سياستهم وليكافئ بالمال والجاه والمناصب والالقاب والنياشين كل مخلص مطيع في خدمتهم ، يشركونه في تنفيذ مخططهم الرهيب في غفلة من المسلمين الذين يحيط بهم جهل مطبق بما يبيت لهم ، وابتدأوا بمحاولة ترويض الخليفة العثماني آنذاك عبد الحميد الثاني ، وجندوا جميع اعوانهم من اليهود عقيدة ، واليهود عملا حتى يسروا لهرتزل (٤) لقاء السلطان عبد الحميد ليعرض عليه ، استعداد المجلس اليهودي العالمي لتسديد جميع ديون تركيا فورا ودعم الاقتصاد التركي

---

(١) امعانا في التخفي للتمكن من خداع المسلمين سمى هذا اليهودي الدونمي باسم "محمد" وقد ثبت لدى المحكمة أنه يهودي اشكنازي ، ولعل هدف أبيه عند تسميته هو نفس هدف الشاعر الماروني اللبناني سعيد عقل اعدى اعداء العروبة والاسلام عندما سمي ابنه محمداً .(المؤلف).

(٢) د . جعفر هادي حسن : فرقة الدونما بين اليهودية والاسلام.

(٣) وضعت مخطاطات لتنفيذ مقرارات مؤتمر برلين الذي انعقد سنة ١٨٧٨ ، لتقسيم ممتلكات الخلافة العثمانية وسمى بمؤتمر " المسألة الشرقية " .

(٤) صحفي يهودي اشتهر بأنه مؤسس الصهيونية .(المؤلف)

المنهار ، بقروض طويلة الأجل دون فوائد مقابل أن يوافق على منح عدد محدود من اليهود حق الإقامة في فلسطين وأن يمكنهم من شراء حاجتهم من الأراضي البور ليعيشوا عليها في سلام ، ولكن السلطان رفض هذا العرض المغري - اذا ما راعينا ظروف تركيا الاقتصادية آنذاك - والتي لا تزال تركيا تعاني من اثارها حتى اليوم، وكان رفض السلطان باتا عندما قال : "ليست فلسطين ملكي ولاملكا لتركيا ، ولكنها ملك لأهلها وللمسلمين ، فكيف اعطيكم مالا املك؟.



وعاد هرتزل من القسطنطينية وقد تضاعف حقده على السلطان الذي جرؤ على رفض مطلبه الذي هو مطلب "شعب الله المختار " وازداد حقده على الحكومة التركية التي لم ينجح انصار الصهيونية المنبثين في كل ركن منها في اقناع السلطان بأهمية العائد الاقتصادي من وراء الاقتراح اليهودي ، وازداد غليان مراجل حقده على عرب فلسطين الذين رأى السلطان أنهم أصحاب الأرض .وهكذا رسخ في ضمير هذا اليهودي المتعصب ان الفلسطينيين هم العقبة الكؤود . التي تحجج بها السلطان عند رفضه لمطلبه وانطلاقا من هذا الحقد الأسود، رتب هيرتزل أولويات الحركة الصهيونية على الوجه التالي :

١- ضرورة إزالة العقبة الأولى ، وهي السلطان عبد الحميد .

٢- شغل تركيا بإغراقها في مشاكل سياسية واقتصادية واجتماعية باشعال نار الفتن في أراضيها المترامية ، وخاصة في البلقان والمناطق التي تفور بالفتن، ودفع الدول التي لها مطامع في اراضي خاضعة للخلافة الى اقتطاع تلك الأراضي، وحث المصارف - وخاصة المملوكة لممولين يهود -

على تضييق الخناق على الخزانة العثمانية بعدم تسهيل دفع ديونها وبعدم اقراضها إلا بشروط مجحفة تجعل القرض نفسه عبئا جديدا على الخزانة . لاجرعة شافية لإقتصاد تركيا العليل ، وجند لتحقيق هذه الاهداف جميع اسلحته مهما كانت غير مشروعة ولا اخلاقية ، وفي مقدمتها الخبث الشيلوكي (١) المشهور . كما جند البيوت المصرفية وعلى رأسها اسرة روتشيلد ، كما جند فاسدى الضمائر في بريطانيا وسويسرا وايطاليا وفرنسا . وركز جهده في فاسدى الضمائر في تركيا بالذات وعلى رأس هؤلاء حقي باشا (٢) سفير تركيا في روما . الذي صار صدرا ـأعظم (رئيس وزراء) ، في حكومة الاتحاد والترقي عند غزو ايطاليا لليبيا سنة ١٩١١م واخيرا تحريك الطابور الخامس (٣) المكون من الجواسيس والمخربين وان كان اعتماد هيرتزل الأكبر ، كان مركزا على طائفة الدونما ، وقد كانت هذه الطائفة عند حسن ظنه فلم يخسر مقامرته عليها وتمكنت بشطريها : اليهود ، واعوانهم من الساسة الاتراك ، من تنفيذ مخططه للتخلص من عدوه الأول عبد الحميد الثاني . ولم يترك هيرتزل سبيلا ظن أنه يساعده على تحقيق اغراضه إلا اتبعه فاشترى ذمم ضباط في الجيش في مختلف اسلحته وأعضاء في مجلس المبعوثان وصحافين وكتّاب ، وسيلته اليهم أعضاء طائفة الدونما الذين يتصيدون ضحاياهم في أوساط من ملّوا ظلم السلاطين العثمانيين وخاصة ظلم السلطان عبد الحميد الثاني ، ونحن

(١) مرابي يهودي شهر به شكسبير في تمثيليته " تاجر البندقية" .

(٢) لعب دورا خطيرا في التمهيد لاحتلال ايطاليا لليبيا لم يكشف بعد ، واشهر ادلة خيانته هي اضعافه للحامية العثمانية في ليبيا ، بحجة تقوية الحامية العثمانية في اليمن (المؤلف) .

(٣) مصطلح شاع استعماله اثناء الحرب العالمية الثانية ، ومنشأه مقولة لاحد أمراء الأولوية الذي كان يقود حصارا على مدريد أثناء الحرب الاهلية الاسبانية ، أجاب بها على سؤال وجهه اليه القائد العام الذي لمس قلة عدد طوابيره ، سائلا كم طابورا لديك فأجاب أمير اللواء لدى أربعة طوابير هنا ، وعندي طابور خامس في مدريد ، ويقصد اعوانه من الجواسيس والمخربين الذين بثهم داخل مدريد . (المؤلف)

لو تجاوزنا الدعايات الظالمة التي بثها اليهود والانجليز وغيرهم من اعداء الخلافة ، فإن الكثير من تصرفات عبد الحميد تجعل التأمر ضده عملا وطنيا لكن جرائم السلاطين جميعها لايمكن أن تغفر التعاون مع الصهيونية والاستعمار واعداء الاسلام والمسلمين . صحيح أن كلما ما ارتكبه حكام المسلمين ، في تلك الفترة من اخطاء صار في ذمة التاريخ غير اننا لازلنا تعاني من شرور آثار اخطائهم وجهلهم وتجاهلهم للشعب الاسلامي على مختلف اعراقه من عرب وغير عرب وصقالبه واكراد ، فقد عانوا جميعا من الظلم والجور مما عمل على تأخير نهضتهم العلمية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، ولو لم ينحدروا الى ذلك الحضيض لما جرؤ الاعداء على تفتيت صف المسلمين في جميع مناحي الحياة ، الأمر الذي مكن يهودي خبيث كهرتزل وأعوانه أن يفتكوا بالأمة الاسلامية بعامة وبالأمة العربية بخاصة وهم السبب في كل مانعانيه وبما ستعانيه الاجيال المعاصرة والاجيال القادمة و بخاصة نكبتنا في فلسطين ، والتي لن يخرج منها اليهود إلا إذا إتحد العرب واخلصوا النية في استردادها حكاماً وشعوبا ، ولكي يستحقوا دعم المسلمين ويحصلوا عليه ، ودعم أنصار الحرية في شعوب العالم . فلا مفر لهم من الاتحاد وتحصين الشباب المسلم بالعلم وبالاخلاق الاسلامية ، اذ لن يعرف كيف يحارب الدونما ، ويحارب من رضعوا من أثدائها السامة فكانوا حربا على أمتهم وعلى دينهم وعلى أنفسهم ، فخسروا كل شيء الدين والدنيا والآخرة ، ولم يربحوا حتى احترام من اقدموا على الخيانة استرضاء لهم ، نقول هذا لمن خدموا اليهودي الدونمى " عدس" في العراق والذي لم تنتبه السلطة العراقية إلى ما ألحقه بالعراق ، إلا في اللحظات الأخيرة فشنقته ، لكن شنقه – وإن حد من اضراره – فإنه لم يرمم ماسبق إن أتلفه " عدس" وهاهو ربيبه " زلخا" يهرب من العراق بالكثير من اموال " عدس"

إلى بيروت ليفتح فيها مصرفا اشتهر بمصرف زلخا للقروض ، ونهب ماستطاع نهبه ليفر بما نهب الى بريطانيا ، ليؤسس فيها متجرا لتجارة ملابس الاطفال ، وكان أكبر عملائه في بيروت ولندن من العرب وانتهى ببيعه بملايين الجنيهات اشترى بها شركة نفط أمريكية تسمى "تاورن بيتروليوم" اقتعد فيها كرسي رئيس مجلس الإدارة ليواصل امتصاص أموال العرب من خلال تجارة النفط. فمتى ينتبه العرب والمسلمون الى افاعيل اليهود مهما تعددت المظلات التي يستظلون بها من جمعيات دينية وانسانية ومن شركات يتسترون وراءها ، ولو استعرضنا مشاهير من عاش بيننا من اليهود الذين استغلوا طيبتنا وسداجتنا وجهلنا أمثال المليونير كوريل (١) مؤسس الشيوعية الجديدة ، في مصر ، وعدس ، وابن زايون ، وشملا الذين سيطرو على جانب كبير من التجارة في مصر ، وأمثال كوهين جاسوس اسرائيل في سوريا على عهد أمين الحافظ وغيرهم من أساطين الدونما في العالم ، لوجدناهم لايشاركوننا في شيء من عواطفنا . بل كانوا حربا علينا وعلى ديننا ، وسنذكر مثالين منهما عاشا ينفثان سمومها في حاشية السلطان عبد الحميد . وقد اجلنا الحديث عن رأسي الأفعى السامين وهما " كراسا" و "جاويد" لانهما أول من جاهرا بالعداء ضد الاسلام والأمة العربية في أوائل هذا القرن ، وهو عداء لم يتوقف منذ أن بدأه ذانك اليهوديان بتوجيهات من المجلس اليهودي العالمي ورئيسيه هيرتزل ، وهما أهم من نفذ خطة الانتقام من العثمانيين ومن الاتراك ومن الأمة العربية بتخويل من المجلس اليهودي العالمي والبيوتات المالية اليهودية الشهيرة ، كبيت روتشيلد في كل من فرنسا وبريطانيا



Papst Plus X. "Jerusalem nicht für die Juden"

(١)أسس أول حزب شيوعي مصري سنة ١٩٢٠ واعترفت به الشيوعية الأممية سنة ١٩٢٢ (المؤلف)

والمانيا ، وقد افردنا لهما فصلا خاصا بهما في هذا الكتاب بإعتبارهما مؤسسي حركة الكيد للعرب ، وطليعة الجيش الخلفي للصهيونية الذي وضع أسس تنفيذ إنشاء اسرائيل على أرض عربية مسكونة بقسم من أمة العرب .

اليهوديان كراسا(١) وجاويد(٢)



Giorgio Voghera

ليست اليهودية دينا ، ولاهي جنسا بشريا ولا هي ثقافة متميزة ، ولكن اليهودية مصيبة كبيرة يجب عل اليهودي تحملها بكل شجاعة"

جورجيو فوجيرا (٣)

كراسا وجاويد رأسان لأفعى واحدة إسمها "المكابى" السبتائية أو "الدونما "أو"الماسونية " أو "الصهيونية" أو "الروتاري" أو "اللاينز" أو ما يستجد من أسماء تراها الأفعى مناسبة للفترة التي تباشر فيها مهامها الخبيثة في المجتمعات ، وحقيقتها أنها هيئة يهودية نشأت في ظلمات التاريخ اليهودي ، يعيد بعض المؤرخين نشأتها الى أيام تدمير هيكل سليمان ، ويعيدها بعضهم إلى فترة ما قبل داود ، ويصر فريق ثالث على أنها قامت عقب اضطهاد الأروبيين لليهود في زمن "فردينند" والملكة " ايزابيلا" الاسبانيين وماتلاهما من الهيئات والحكام الذين اضطهدوا اليهود كمحاكم التفتيش ، والكنيسة في بعض عهودها ، وقيصر روسيا "نيقولا الأول" ومن تلاه من قياصرة حتى قيام الثورة الشيوعية ، وفي هذا القرن اشتهرت المانيا .

---

(١)عمانويل كراسا وقع اتفاقية الصلح مع ايطاليا ممثلا للحكومة التركية ، سنة ١٩١٢ .

(٢)محمد جاويد ، استاذ جامعي . هذان الهامشان عن كتاب "فرقة الدونما بين اليهودية والاسلام "د. جعفر ابادي حسن .

(٣) كاتب ايطالي له منزلة عالية في الأدب المعاصر ، يقرأ له شباب اليوم . في مختلف أنحاء اوربا وأمريكا . يهودي الأصل (المؤلف) عن مجلة "Panorama"عدد ١٠٢٢ .

النازية والدول التي دارت في فلكها باضطهاد اليهود ، وبقطع النظر عن الدعاية المبالغ فيها عن عدد ضحايا النازية واتباعها من اليهود الذي ترفعه الدعاية الصهيونية الى ستة ملايين ضحية ، بينما عدد الضحايا الحقيقي لايمكن أن يجاوز المليون إذا ما احتكمنا الى قواعد الاحصاء العلمية الصادقة ، فعدد اليهود قبل قيام النازية معروف ، ونسبة الزيادة الديموغرافية بينهم معروفة ، وعدد اليهود اليوم معروف . فلو كان عدد الذين افناهم الالمان وغيرهم ست ملايين حقيقة لما زاد عدد اليهود الاحياء اليوم عن ثمانية ملايين ، وبينما هم يجاوزون خمسة عشر مليونا . ومع عدم اقرارنا بجواز قتل يهودي واحد ظلما ، وبقطع النظر عن عدد من قتلوا من اليهود ظلما أو عدلا فقمة الظلم أن نقوم نحن العرب بالتكفير عن جرائم يقر اليهود أنفسهم بإن مرتكبيها هم من ابتكروا قوانين حماية العنصر في كل من المانيا وإيطاليا ، وحاربوا السامية في كل من روسيا وفرنسا وقضية النقيب " دريفوس(١) " مشهورة ودفاع الأديب " أميل زولا(٢) " عنه يعرفه كل من له المام بتاريخ فرنسا في نهاية القرن الماضي . ومهما كان الصحيح من النظريات حول نشأة هذه الهيئة اليهودية ومهما كان الاسم الذي تتسمى به . فإن الحقيقة التاريخية الثابتة هي أنه وجد دائما فريق كبير من اليهود يجد نفسه مرغما بقوة نفسية يعجز عن مقاومتها تسوقه نحو إلحاق الأذى " بالقوييم" أي غير اليهود مهما كان عرقهم أو معتقدهم ، وفي سبيل تحقيق ذلك تستحل تلك الهيئة الارهاب والخيانة والاضرار والكذب والسرقة والغصب وشهادة الزور والفتنة وغيرها من الصفات الذميمة التي اتفقت البشرية منذ فجر التاريخ على استهجانها ونبذها ، ولامفر لنا من أن نذكر

---

(١) ضابط فرنسي يهودي الأصل اتهم بالتجسس لصالح المانيا .

(٢) أديب فرنسي قاد حملة صحافية لتبرئة دريفوس ، متهما قيادة الجيش الفرنسي بالتعصب ضد المتهم بسبب عرقه اليهودي .

أن فريقا من الناس يلتمسون لليهود المنضويين تحت هذه الهيئة العذر ، فهم في نظر – من يعذرونهم – انما يقدمون على تلك الأفعال الذميمة اطاعة لقوة لايملكون لها دفعا ، وكلمة الأديب التي صدرنا بها هذا الفصل خير تعبير عن الفكرة التي حاولنا طرحها . ولنعد الى رأسي الأفعى كراسا وجاويد ، فكراسا هذا هو رئيس المحفل الماسوني في مدينة آزمير ، وهو أيضا عضو مهم من أعضاء الاخطبوط اليهودي المحيط بالحكومة العثمانية ، ونظرا لماله من صلات برجال حاشية السلطان عبد الحميد ونفوذ قوي لديها تمكن من اقناع السلطان باستقبال " هيرتزل" واصطحبه(١) هيرتزل عند لقائه بالسلطان وكان شاهدا على اخفاق هيرتزل في مهمته ، فغلى في صدره من الحقد ماغلى في صدر هيرتزل منه . وبذلك صار افضل منفذ لخطط الانتقام من السلطان ومن الحكومة العثمانية لرفضها المطالب اليهودية ، فلما كلف بتنفيذ قرار المجلس اليهودي العالمي بالإطاحة بعبد الحميد ، بادر باصدار تعليماته إلى جميع المحافل الماسونية التابعة له في اسطنبول بخاصة ، وفي بقية أراضي الدولة العثمانية بعامة ، بالعمل على اجتذاب الضباط الاتراك الناقمين من عبد الحميد ، وتمكن من ضم عدد كبير منهم ، ذكر جاويد منهم في أثناء التحقيق معه أسماء كل من نوري و أنور و جمال وطلعت وفتحي (٢) ونيازي(٣) واغدق عليهم اليهودي المال ثم عمل على خلق خلية لابتكار الشائعات وبثها تشويها لسمعة السلطان وحكومته ولاحداث ذبذبات شديدة في الأسواق المالية لايتحملها الاقتصاد العثماني الهش ، واستأجر كراسا

---

(١) اصطحب هيرتزل كراسا أثناء مقابلته للسلطان عبد الحميد الثاني ، لمكانته الكبيرة بين رجال حاشية السلطان . اتاترك وخلفاؤه . ص . ,٢٩

(٢) زعماء جمعية الاتحاد والترقي (عن كتاب فرقة الدونما بين اليهودية والاسلام) د. جعفر الهادي حسن

(٣) أول من نقل مبادئ جمعية الدونما اليهودية الى البانيا بعد عزل السلطان . عبد الحميد و كان أحد زعماء جمعية الاتحاد والترقي الذي ابعد الى البانيا عندما شتت اسطنبول زعماء الجمعية ، وكان له ثلة من أعضاء الدونما : منهم فائق ، ومصطفى عارف واسماعيل جم أبكاجى رئيس تحرير " مليت " (المؤلف) .

اقلاما صورت عبد الحميد في صورة طاغية والغ في الدماء حتى أنه لقب بالسلطان الأحمر ، ولتعمل تلك الأقلام أيضا على تضخيم الاخطاء وهي كثيرة وعلى اخفاء الحسنات وهي قليلة ، فأنتشر التذمر ومايصحبه من مؤامرات بعضها لها خطرها ،وبعضها عبث صبيان ومع ذلك فلا تستطيع حكومة ما ، التغافل عنها ، فعوقب البريء والمذنب على السواء وافلت مذنبون لوجود من يحذرهم في الوقت المناسب أو يضفي حمايته عليهم ، وساعدت كل الظروف التي اصطنعها الاعداء وضمنتها خيانة الاصدقاء على أن تسير الأمور وفق مادبره كراسا واعوانه . فكان ماكان من عزل عبد الحميد وتولى جمعية الاتحاد والترقي السلطة في تركيا ، وهي حكومة ترأسها أنور فأختار اليهودي جاويد ليكون وزيراً لماليته (١) مكافأة له على ما اغدقه على جمعيتهم من أموال ثم ماخصصه – بصفته وزيراً للمالية – من مال من خزانة الدولة لإنفاق على الجمعية التركية السرية التي اطلقوا عليها اسم " تشكيلات مخصوص (٢)" وهي ذات طابع مخابرات وتجسس . وما درى أنور ورفاقه أن جاويد ماكان ليخصص " بارة(٣) " واحدة لو لم يضمن استخدامها لصالح الصهيونية ، ولقد تسرب الشك في جاويد وأهدافه

– التي يخفيها اخفاء شديدا الى وجدان كمال أتاترك ، منذ أن كان ملحقا عسكريا في بلغاريا ، عندما أكتشف أن جاويد كان يعطل تقاريره التي يطالب فيها بتقوية الجيش العثماني بعد أن توالت نذر الحرب في السياسة الأروبية ، ومن أجدر من كمال بالشك في نوايا جاويد وهو الذي خبره عن قرب عندما كان أمينا لصندوق جمعية الاتحاد والترقي و كان من أعضائها وان لم يكن من زعمائها الكبار . وتأكدت لدى كمال جرائم جاويد عندما

(١) اتاترك وخلفاؤه . ص ٢٠٦ .

(٢) نفس المصدر .

(٣) اصغر وحدة عملة عثمانية في ذلك الوقت (المؤلف)

وقف في مجلس الوزراء – بصفته وزيراً للمالية – ضد تخصيص الأموال الكافية لتحسين أسلحة الجيش العثماني ولمعارضته شراء اسلحة جديدة لتحديث الجيش التركي ، وكانت أسلحة يحتاجها الجيش احتياجا شديدا واكتشف كمال ألاعيب جاويد في قضية الطرادتين اللتين أوصت البحرية التركية على صنعهما في بريطانيا ، وهي ألاعيب أدت الى عدم تسلم البحرية العثمانية الطرادتين حتى دخلت تركيا الحرب ضد بريطانيا ، فأعتبرت بريطانيا الطرادتين ضمن غنائمها الحربية من تركيا ، ولعل حادثة الطرادتين وامثالها هي التي فتحت عيني اتاتورك على خطر جاويد على تركيا ، فما أن تولى أتاترك مقاليد الامور في تركيا كلها حتى وضع جاويد تحت المراقبة الشديدة وبخاصة بعد أن خلف كراسا في الرئاسة العليا للمحافل الماسونية (١) في تركيا كلها . وادرك جاويد أن اتاترك قد ينجح في الحد من تدمير اليهود للشعب التركي كما بدأ هو يفقد الأمل في الاستحواذ على كمال اتاترك وحكومته كما كان مستحوذا في الماضي على أعضاء جمعية الاتحاد والترقي . وعندما يئس من تسيير كمال أتاترك لاختلافه عن زعماء الاتحاد والترقي ، جمع حوله مجموعة من فلول تلك الجمعية وخاصة اصدقاء أتاترك الطموحين المستائين من انفراده بالسلطة وميله الواضح الى الدكتاتورية ، من أمثال عارف وهو صديق شخصي قديم لأتاترك ورأفت وعلى فؤاد وكاظم قره، باكير وعدنان زوج الأديبة خالدة وسعيد خورشيد وجميعهم أعضاء في الجمعية الوطنية(مجلس النواب) ، ليتآمروا على اغتيال كمال أتاترك، ولكن عين اتاترك اليقظة تتابع حركاته ، فاعتقلوا جميعا واعترف النائب سعيد خورشيد بأن الرأس المدبر والممول للمؤامرة هو اليهودي جاويد . وأكدت المؤامرة شكوك أتاترك في جاويد فلما قدم وزملاؤه

---

(١) أتاترك وخلفاؤه ص . ٢٠٧ .

للمحاكمة قامت الصهيونية بحملات (١) اعلامية عالمية تطالب بالافراج عن جاويد دون محاكمة ، وانثال سيل من البرقيات على مكتب اتاترك من لندن ووشنطن وفينا وباريس وبرلين تطالب بإخلاء سبيل جاويد الذي صدر الحكم عليه بالشنق و تدخل رؤساء دول تلك العواصم(٢) شخصيا (لاستبدال عقوبة اخف بعقوبة الشنق القاسية) غير أن اتاترك – وقد أتضح لديه ما الحقه جاويد بتركيا من اضرار – لم يترد في التصديق على الحكم ، وآمر بأن يكون جاويد (٣) هو أول من يشنق من المجرمين الذين نفذ فيهم حكم الاعدام في فجر اليوم التالي للتصديق عليه .

أترى اليهودي جاويد يختلف كثيراً أو قليلا عن العزيز " هنري(٤) " ؟ ان جاويد لم يأت بجديد ، فقد سار على نهج اسلافه من أمثال اليهودي يعقوب بن كلس وزير المعز لدين الله الفاطمي ، وباغوص بك يهودي ارمنى كان المستشار والمتصرف المالي لمحمد على مؤسس الأسرة المالكة في مصر حتى سنة ١٩٥٣ ، والتاريخ العربي الاسلامي مملوء بأمثال من ذكرنا من الحكام واليهود . أما اليهود الانجليز فلهم لدغات في اجسام العرب قاتلة ، ولن نستطيع أن نحصيها وان كنا سنعرض قليلا لبعضها ، فمنذ اليهودي " ديزرائيلي " الذي تولى رئاسة الوزارة البريطانية سنة ١٨٧٤ حتى سنة ١٨٨٠ بصفته رئيسا لحزب المحافظين في عهد الملكة كتوريا والذي وطّأ اكناف السياسة البريطانية لتكون في خدمة اليهود ملبسا سياسته ثوبا

---

(١) اتاترك وخلفاؤه ص ٢٠٨ .

(٢) اتاترك وخلفاؤه ص ٢٠٩

(٣) نفس المصدر ص ٢٠٩ .

(٤) العزيز هنري تعبير اطلقه أنور السادات على وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية السابق خادم الصهيونية الأمين هينري كيسنجر (المؤلف) .

ظاهره الحفاظ على المصالح البريطانية ، وباطنه تلمس منفعة اليهود قبل كل شيء آخر ، اذ أنه هو الذي خطط لاحتلال بريطانيا لمصر سنة ١٨٨٢ . ومصر تقع على الحدود الغربية لفلسطين وهو الذي أرغم السلطان عبد الحميد الثاني على التخلي عن قبرص لبريطانيا في ١٢ يونيه ١٨٨٧ . . وشواطئ قبرص على مرمى حجر من فلسطين ، وقد زاول ديزرائيلي ضغطا شديدا على السلطان فلما لمس فيه عنادا ، القى خطابا في مجلس العموم هدد فيه " بتخلي بريطانيا عن تركيا وسلطانها اذا بقى السلطان متشددا في قضية قبرص " ، ولم يكن بلفور صاحب الوعد المشئوم إلا نتاج تربية ديزرائيلي . واحد صنائعه منذ ان كان موظفا صغيرا ، وكذلك " سائكس" شريك " بيكو" في مشروع تقسيم الوطن العربي بين المنتصرين عقب الحرب العالمية الأولى كان ربيبا لديزرائيلي ، ومثله " هربرت صموئيل " أول مندوب سام لبريطانيا في فلسطين الذي قيد ايدي الفلسطنين وارجلهم ، وأطلق شياطين اليهود يعربدون كما شاؤا . والاحياء من الليبيين يذكرون " بييوناحوم (١)" الذي تولى تصدير مخلفات الحرب الى أوربا ومنها الى اسرائيل . ولايتسع المقام الا لذكر عدد ضئيل من اليهود المعاصرين أو ممن رضعوا حليبا يهوديا وكانت لهم صلة ما بالعالم الاسلامي وبالحكام المسلمين في مختلف الاعصر، وفي أي ناحية من أنحاء العالم الاسلامي وخاصة أولئك النفر الذين إئتمنهم المسلمون على مصالحهم وأموالهم فقابلوا الأئتمان بالخيانة والفضل بالجحود منذ عصر الخلافة الأولى حتى اليوم انطلاقا من شاس وفنحاس الى الصحفي ماردوخ ورجل النفط هانس هامر مرورا بميمون القداح فيما بين النهرين الى ابن ميمون بالاندلس . أما في

(١) أثناء حكم الادارة المدنية البريطانية للمناطق الليبية الشرقية ، تحصل اليهودي ناحوم على امتياز تجميع مخلفات الحرب العالمية الثانية فجمع الاسلحة المختلفة من ميدان المعارك من دبابات ومحركات طائرات ومدافع وقنابل والغام وذخائر وصدرها الى أوربا كحديد خردة ومنها الى اسرائيل ، أما العرب فنصيبهم منها خراب الديار والموت وبتر الاطراف والتشوهات . " المؤلف" .

القـرن العشرين فسنذكر قلة ممن تولوا السلطة في بلادهم أو في الهيئات الدولية الذين كان لهم بحكم مناصبهم تأثير في السياسة تجاه العالم الاسلامي والعربي أمثال ليون بلوم رئيس وزراء فرنسا الى باروخ المستشار بالبيت الأبيض لستة من رؤساء الجمهورية بالولايات المتحدة الأمريكية ، وزوج اليهودية ويلسن رئيس وزراء بريطانيا السابق مرورا بإبن اليهودية تريجفالي أول أمين عام لهيئة الأمم المتحدة والذي في عهده قامت اسرائيل، الى ابن اليهودية الآخر الجنرال الكسندر هيج وزير خارجية الرئيس ريجن عند غزو اسرائيل للبنان، الى عضو الشيوخ موئنيهان ممثل الولايات المتحدة السابق في هيئة الأمم المتحدة الذي فاق جميع من سبقه من ممثلي أميركا تأييدا لأسرائيل ومحاربة للعرب وتفوق حتى على اليهودي آرثر بيرج ممثل الولايات المتحدة على أيام الرئيس جونسن . كل هؤلاء خانوا أماناتهم وباعوا ضمائرهم استجابة للمورثات اليهودية التي تخالط كروموز وماتهم .

ونحن لم نشر الى ابناء أو أزواج اليهوديات من أعضاء برلمانات بلادهم أو رؤساء الهيئات الدولية لأن معظمهم طالبوا أصوات أو أموال أو مناصب وقل فيهم من لهم ضمير حي.

الفصل الثالث

التمهيد للاستعمار الايطالي لألبانيا

لم يكن خافيا على أي سياسي تلهف ايطاليا على الانفراد بألبانيا ،غير أن وجودها ضمن أملاك العثمانيين حال دون تحقيق رغبتها ، وقد اهتبلت فرصة ضعف تركيا وانشغالها في حروب ١٩١١ ، ١٩١٢ ، ١٩١٣م فشجعت ألبانيا على الثورة ضد الخلافة فلما استقلت البانيا أطمأنت ايطاليا على أن الثمرة قد نضجت وان قطفها سيحين في قابل الأيام . وقد شاركت عوامل كثيرة في التهيئة لهذا الأمر ، اخطرها ضعف تركيا وانبعاث الحلف المقدس (١) المعقود سنة ١٧٨٤م بين مدريد وفارساي وجمهورية البندقية والنمسا مع الاحتفاظ بالحلف في سرية كاملة خوفاً من انبعاث الوحدة الاسلامية وعوامل أخرى متصلة بالسياسة الأوربية والاعيب بمسارك مستشار ألمانيا ودغدغته لعواطف الأوربيين ، ولعلمه بطمع ايطاليا في البانيا أعلن أثناء انعقاد مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨م أنه لا وجود لشعب الباني فقامت في وجهه ثورة عارمة ومقاومة سياسية ومعنوية عنيفة هددت مصالح ألمانيا في جميع أنحاء الخلافة العثمانية اجبرتاه على التراجع عن تصريحه ، واحجم بعدها زعماء الشعوب الطامعة في الاستحواذ على البانيا عن ترديد مثل هذا الهذر غير أنهم أضمروا للشعب الالباني الشر ، وسنحت الفرصة في نهاية الحرب العالمية الأولى ، فألحق ٤٠٪ من الشعب الالباني بيوغسلافيا وضمت أراض

---

(١) هو حلف تم بمباركة البابا بين اسبانيا والبندقية وجنوا ومالطا غايته محاربة القوة الاسلامية الكبرى أنئذ وهي قوة الدولة العثمانية (المؤلف) .

تجاوز ٥٠٪ من أراضي البانيا الى جاراتها : منها ٨٠٪ إلى يوغسلافيا و١٨٪ إلى اليونان و ٩٪ إلى بلغاريا .

ومنذ أن تم توحيد إيطاليا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر أخذت تتطلع إلى تكوين مستعمرات أسوة بالدول العظمى التي سبقتها في هذا المجال واحتلت اغنى المستعمرات بالمواد الأولية المعدنية أو الزراعية اللازمة لمصانعها ، والتي تحوى عددا الكبيرا من السكان يكونون سوقاً استهلاكيا لمنتجات مصانع الدول الاستعمارية ،

ومنذ مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨ وهو المؤتمر الذي سمى " بمؤتمر المسألة الشرقية " وهو في الحقيقة انما عقد لتقسيم املاك السلطنة العثمانية بين الدول الأوربية ، فيه انتزعت بلغاريا جزءا كبيزا من أراضي تركيا في اوروبا وفيه اتفق في الخفاء على خطة أوحى بها بسمارك رئيس وزراء المانيا بتقسيم " تركة الرجل المريض " الخلافة العثمانية ليشغل أوروبا بالخلافات بين دولها عن التفكير في مشاريعه لبناء المانيا الموحدة حديثا والتي شكلت بالفعل قوة قامت باعلان الحربين العظميين خلال أقل من ربع قرن وهما حربان كلفتا أوروبا الكثير من الضحايا البشرية والخسائر المادية ويكفي لتصوير بشاعتها أن الحرب العالمية الثانية اودت بحياة خمسة وخمسين مليون نسمة هلكوا بسبب الحرب ، إما في ميادين القتال أو بسبب الغارات الجوية أو معسكرات الاعتقال والأسر ، كل ذلك بسبب نجاح خطة بسمارك في شغل أوربا في التنافس على اقتناء المستعمرات بينما هو يبني المانيا في غفلة منها ، وصادفت دعوته هوى في نفس ايطاليا ، ومنذ ذلك الوقت قررت ايطاليا أن تكون حصتها في تركة الرجل المريض هي :

البانيا – ليبيا – الدوديكانيز – اليمن . وخططت لاستعمار هذه المناطق

الأربع خططا نجحت ثلاث منها خلال ٦١ سنة ، بدأت بليبيا سنة ١٩١١م فالدوديكانيز سنة ١٩١٩م فالبانيا سنة ١٩٣٩م فكوسفو سنة ١٩٤٠م بالاشتراك مع الألمان أما اليمن فلم يتسع لها الوقت لاحتلالها ، ولم يبق لها من هذه المستعمرات شيء بعد هزيمتها في الحرب العالمية الثانية ، وكما ذكرنا ، فان ايطاليا كانت عينها على البانيا منذ ١٨٧٨م وقد تمت مباركة بريطانيا لاستيلاء ايطاليا على البانيا ، بينما لم تسمح لها بأحتلال ليبيا الا بعد عشرين سنة وسجلت هذه الموافقة في رسالة من وزير خارجية بريطانيا اللورد ديربي سنة ١٨٩٨م أما جزر الدوديكانيز فلم توافق بريطانيا على تمكين ايطاليا من احتلالها الا كثمن لتخلي ايطاليا عن الحلف الثلاثي الذي يضم المانيا وامبراطورية النمسا / المجر وايطاليا ، والانضمام إلى الحلفاء في الحرب العالمية الأولى . وتخلت ايطاليا عن الحلف الثلاثي (١) ثم اعلنت الحرب على النمسا حليفتها حتى اسابيع قليلة قبل اعلان الحرب . وكان دورها بارزاً في اعداد وتشجيع الضابط الطموح أحمد زوغو على تولى السلطة كرئيس وزارة أولا ثم حاكما مطلقاً ثم ملكاً ودام حكمه لالبانيا منذ آعتراف ايطاليا ودول الحلفاء باستقلالها إلى أن عزلته ايطاليا عن العرش سنة ١٩٣٩م باستثناء فترة صغيرة سنة ١٩٢٤م اضطر فيها إلى اللجوء إلى يوغسلافيا ونرى ايطاليا تحذو حذو بريطانيا في صناعة الملوك فتصنع أحمد زوغو على عينها ، وتربية وترعاه ولتدعم حكمه تقرضه ٥٠(٢) مليون ليرة

(١) الحلف الثلاثي كان يضم الامبراطورية الالمانية و الامبراطورية النمساوية المجرية و مملكة ايطاليا . و قد تخلت ايطاليا عن حليفتها مستغلة مادة في معاهدة تكوين الحلف تنص على أنه على أي عضو أن يسارع إلى مساعدة أي عضو آخر يتعرض للهجوم . و لما كانت النمسا هي البادئة بمهاجمة صربيا فلم تر ايطاليا أنها ملزمة بالمحاربة مع حلفائهاو لم تلبث أن فعلت العكس (المؤلف) .

(٢) منحت ايطاليا أحمد زوغو رئيس الجمهورية آنئذ قرضا قدره خمسين مليون ليرة ذهبا ليكون رأسمال لمصرف البانيا المركزي الذي منح حق اصدار العملة الالبانية عن كتاب la Politica dell' Italia in Albania P.2.

ذهبية قرضا تعلم ايطاليا أنه سيعجزعن رده ، وتعلم أيضاً أن القرض سيخضع زوغو لنفوذها لتهيمين على البانيا ماشاءت ، وهذا ماحدث بالفعل طيلة العقدين الواقعين بين الحربين العالميتين ، حيث تولت تدريب جيش زوغو وتسليحه بينما تولت بريطانيا تدريب الشرطة الالبانية وتسليحها ، ووجهت ايطاليا سياسة البانيا الخارجية (١) وسياستها الاقتصادية وربط الليك الألباني بالليرة الايطالية .

(١) في خريف سنة ١٩٢٥ أرغمت ايطاليا أحمد زوغو رئيس جمهورية البانيا انذاك على توقيع ميثاق سرى احتوى مواد يمكن بعضها ايطاليا من إحكام هيمنتها على شؤون ألبانيا الاقتصادية والعسكرية وعلى سياستها الخارجية ولإغراء زوغو بتوقيع الميثاق قبلت ايطاليا أن يضمن الميثاق مادة " نصها تلتزم ايطاليا بأن تأخذ في اعتبارها مستقبل جميع الشعوب الناطقة باللغة الالبانية عند اجراء مفاوضات سلام تكون ايطاليا طرفا فيها [المقصود هم سكان مقاطعة كوسفو في جنوب يوغسلافيا] المصدر السابق ص ٣ .

(٢) في أول أبريل ١٩٣٩ ارسل موسوليني رسالة شخصية إلى الملك زوغو وضح له فيها ان التحالف بين بلديهما ينبغي تقويته بتوحيد شعبيهما ويربطهما بحيث يكون لهما قدر واحد ومصير واحد وأنه يحمله مسئولية عواقب رفض مقترحة . واتبع موسوليني خطابه ذاك بانذار نهائي قدم لزوغو عند العاشرة من صباح السادس من أبريل نفسه مع التشديد على أن لايتأخر الرد عليه عن الساعة الثانية عشرة من ظهر نفس اليوم .

نفس المصدر ص ٣٥٧ .

البانيا وايطاليا

في سنة ١٦٧ (١) قبل الميلاد احتل الرومان البانيا – الليريا كما كانت تسمى أنذاك – وتعاقب على حكمها غزاة كثر سنعرض لبعضهم في فصول لاحقة . أما ايطاليا المعاصرة فقد اقدمت على احتلال البانيا فجر يوم ٨ أبريل ١٩٣٩م قاطفة ثمار تمهيدها (٢) لهذا الغزو منذ مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨م مما يفسر احتفاظها بعلاقات متينة مع الشعب الالباني منذ اقدم العصور و على الاخص العلاقات التجارية والدينية والاجتماعية ، ولازالت تحتفظ بهذه العلاقات حتى يومنا هذا (مع ملاحظة أن العلاقات الدينية أختفت في الظاهر منذ سنة ١٩٦٧م) وكعربون لهذه الصداقة الشعبية المتواصلة جعلت ايطاليا أرضها ملجأ مريحا لكل الباني هاجر اليها منذ عصور الحروب القبلية والاقليمية الالبانية أو في أثناء الغزوات الاجنبية لألبانيا . ولجأ الكثيرون الى ايطاليا وخاصة جنوبها في مناسبات شتى أشهرها ما تم عقب كل من الغزو النورماندى والعثماني وعقب انتصار الشيوعيين على الجبهة الوطنية (باتى كوبيتار وحزب ليقاليتيتى) سنة ١٩٤٤م وآخرها – وان كانت باعداد قليلة – الهجرات التي حدثت عقب عمليات التطهير الاربع التي قام بها أنور خوجة في السنوات ١٩٤٨م و١٩٧٠و ١٩٧٥ و١٩٨٣ . ولقد حافظ الشعب الايطالي على هذه الصلات

(١) NATIONAL GEOGRAPHIC N.H VOL . 158,P.359

(٢) أوضح مظاهر هذا التمهيد كانت :

أ – رعاية زوغو . عندما كان رئيسا للوزارة ومده بالخبره والمال .

ب – الميثاق السري الذي وقعته معه سنة ١٩٢٥ .

ج – معاهدة صداقة وتأمين سلامة وقع بينها في ٢٦/١١/١٩٢٦م .

د – تحالف عسكري دفاعي وقع بينهما رفي ٢٢/١١/١٩٢٧م . (المؤلف)

عن . LA POLITICA DELL ITALIA IN ALBANIA P.22-23-356

حتى في الأزمنة التي كانت ايطاليا مقسمة الى دويلات متحاربة فيما بينها أو تابعة لدول عظمى كاسبانيا وفرنسا . ويقدر عدد اللاجئين الالبانيين منذ سنة ١٩٤٤م بمائة الف لاجئ ويجد الكاثوليك منهم ترحيبا من الكنيسة وتقدم لهم كافة التسهيلات ، وعلى العموم فالمهاجر الالباني بقطع النظر عن عقيدته لايتعرض للقيود التي يتعرض لها غيره من المهاجرين اذ يجد أبواب الجامعات الايطالية ومعاهدها حتى العسكرية مفتوحة أمامه .

ومن مظاهر العون الذي تقدمه ايطاليا نجد ان الأدوية والملابس والخيام والأغطية والأطعمة ارسلت سرا الى البانيا عندما ضربها زلزال في أبريل سنة ١٩٧٩ . وقد قبلت البانيا هذه المعونة دون غيرها من المعونات التي عرضتها الدول أو وكالات الأمم المتحدة لأن المساعدات الايطالية لم يصحبها ضجيج اعلامي .

سهل الالبانيين قرب باليرمو

قرب بالبرمو عاصمة صقلية يقع سهل الالبانيين ، وهو سهل بين قمم بعض المرتفعات يجاوره موقع يعرف بمورد الخيل (هو اسم عربي للموقع بقى على حاله في لغة الصقليين كما ورثوه عن العرب) وقد اتخده المهاجرون الالبانيون موطنا لهم عندما هاجروا في موجات متلاحقة بين سنتي ١٤٧٨و١٥٠١م وتكاثروا فيه حتى عرف باسمهم . واعتمدت التسمية جغرافيا في الخرائط الرسمية كما سبق أن اعتمد اسم مورد الخيل . وقد سألت أحد المعمرين الالبانيين المهاجرين عن سبب اختيار هذا الموقع بالذات من قبل المهاجرين الالبانيين . وانقل اليكم اجابته كما دونتها حرفيا في

مذكرتي :

" أثناء الحروب القبلية التي وقعت في منتصف القرن الرابع عشر هاجر بعض أفراد القبائل ممن لم يحتملوا ذل الهزيمة ومواجهة أفراد القبائل المنتصرة . وكانت هجرتهم الى ماوراء بحر البانيا . فنزلوا من مراكبهم في مدينة " ليتشي" على الساحل الايطالي المقابل للساحل الالباني فلما تكاثر عددهم وضاق بهم المكان وتعددت المنازعات بينهم وكثر احتكاكهم بالايطاليين أصحاب الأرض اندفع المهاجرون يبحثون عن موطن وعمل يعيشون من كسبه، فأنتقلوا إلى مناطق مختلفة في الوطن الايطالي فذاب بعضهم في الوطن الجديد وتقوقع بعضهم في بقاع معينة اشهرها السهل الذي لايبعد عن باليرمو أكثر من عشرين كيلو مترا فحمل اسمهم . وعندما نشطت الهجرة بعد أن غزا جيش جمهورية البندقية البانيا سنة ١٤٧٨ تضاعفت الهجرة طيلة الاثنتين والعشرين سنة اللاحقة . فلما خرج جيش البندقية واستقر الأمر للعثمانيين زادت موجات الهجرة ، وكان كل مهاجر يحاول دائما أن يعيش مع أبناء قبيلته أوبلدته مما جعل السهل المجاور لباليرمو يمتلئ بهم حتى حمل اسمهم ، وعلى أي حال فليس كل الباني كان قادر على الاحتفاظ بألبانيته نقية ، فتحت إغراء العمل والزواج وتأثير الكنيسة اندمج عدد كبير من المهاجرين الالبانيين في الشعب الايطالي . ولم يمض قرن من الزمان حتى صاروا ايطاليين لغة وعادات واذواقا ومعتقدات . وهذا يلاحظ بوضوح حتى في يومنا هذا ، فعندما نجتمع في مهرجاننا السنوي في هذا السهل يحضر الكثير ممن هم من أصل الباني للمشاركة فيه غير أن الكثير منهم لايعرف الا أقل القليل من التقاليد والعادات الالبانية في الرقص والغناء الشعبيين ، ولم يبق لديهم إلا القليل من القدرة على تذوق الموسيقى الالبانية القديمة " .



من الرقص الشعبي الالباني، الذي لايزال له وجود، باعتباره جزءا من هوية وتراث اهل الاقليم ، رغم أنه شديد التأثر بالمرحلة العثمانية . وتكوين بشرى غريب في أوروبا، ينطق بالعلامات الشرقية. الصورة من كوسوفا، لكنها مكررة في كل بلد في المشرق (الى اليسار).

ألبانيــا واليونـــان

في الثالث من ديسمبر ١٩٨٢قام " كارلوس بابولياس" وزير خارجية اليونان بالوكالة بزيادة لتيرانا وقع خلالها اتفاقيات تتعلق بالنقل الجوي والمواصلات والعلاقات العلمية والثقافية مما يوحي بتحسن العلاقات .

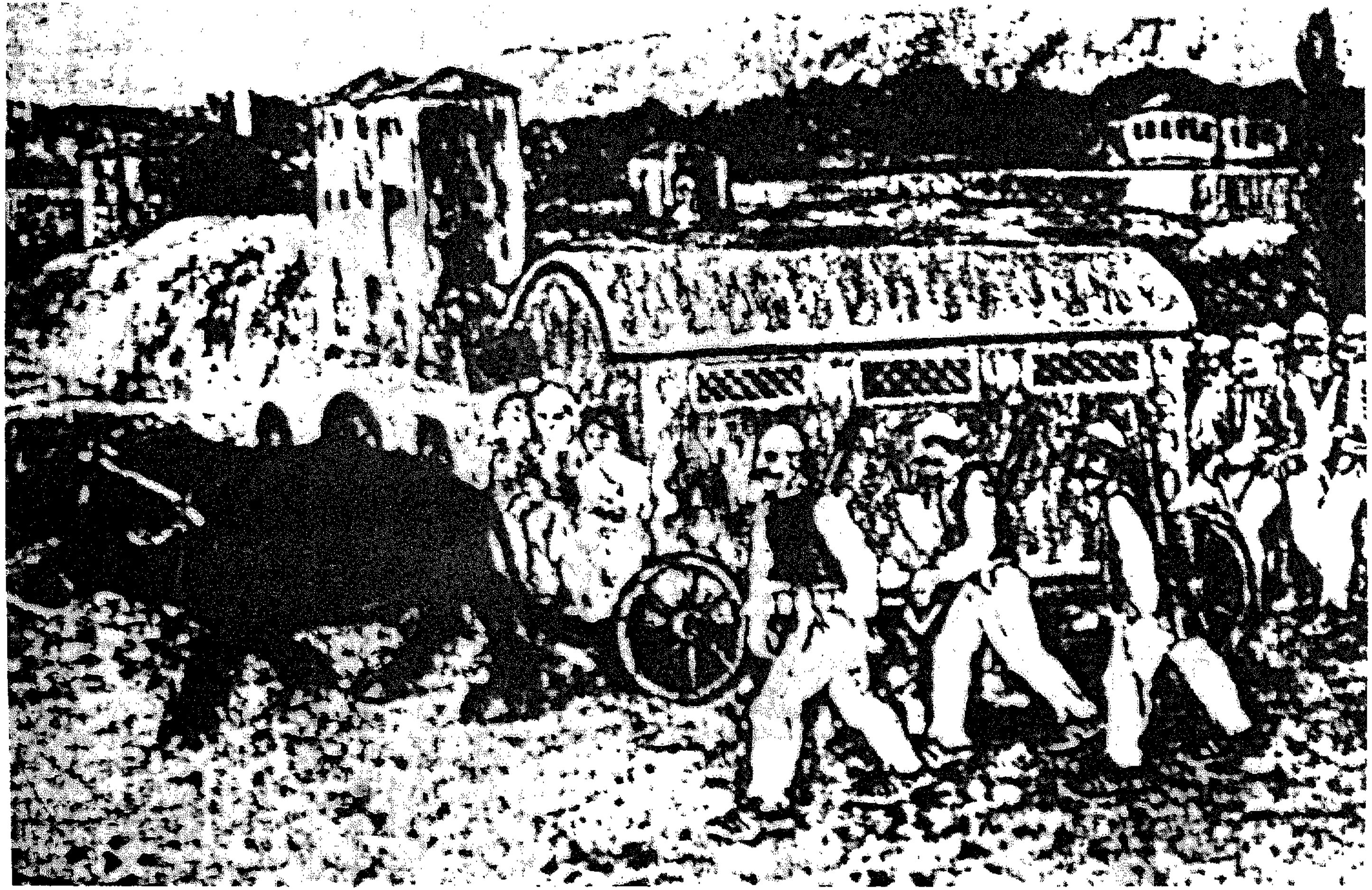
وعلى الرغم من مظاهر التحسن في العلاقات التي تطفو على السطح من حين الى آخر إلا أن تردي العلاقات له جذور تاريخية عميقة بعضها سابق لسنة ١٣٨٩م (١) وكانت هناك حروب سكان سلسلة الجبال الفاصلة بين مقدونيا والأراضي الالبانية التي استمرت عشرات السنين . كان هذا قبل الإسلام ، وكلا الجانبين المتحاربين مسيحي واثوذكسي وكان لليونان – دوما – دور ملموس في تقسيم البانيا الى دويلات إعمالا لمبدأ انقسام الخصم إضعاف له ومن ضعفه قوة لمنافسة ولعل أبرز تلك الحوادث قيام ادارة كاستريوتي وسعيها لضم بقية الامارات الى بعضها لتقوى على محاربة اليونان ، غير أن الحروب بين تلك الامارات أدى – كما هو الحال دائما الى قيام اليونان بنجدة بعضها توطئة لابتلاع ذلك البعض بعد أن يكون قد استنزفت قواه في الحروب مع الامارات الأخرى .

ففي اوئل القرن الرابع عشر الميلادي كانت البانيا مجزأة بين ثماني امارات مستقلة ، متصارعة فيما بينها حول مشاكل الحدود والمياه والمراعي ، وهذه الامارات هي على الترتيت من الشمال الى الجنوب : بالشا دوكاجين

(١) Keesing Volume XXXI P : 333 16 .



عندما يلتقي أبناء البلد ويحنون الى رقصاتهم الشعبية بالسيوف ، يرقصون على دقات طبول الحرب !



لوحة عرس كوسو فارى للفنان الالباني عبد الرحيم بوظا، العروسان في عربة مقفلة يجرها اثنان من الثيران.

العربي

صفر ١٤٠٢ هـ - ديسمبر
(كانون ١) ١٩٨١



أخلاق الإستبداد
وأخلاق الحرية

حقول الكهرباء
تملأ الفضاء سنة ٢٠٠٠؟

مسلمو كوسوفا
ألبانيون قلباً
يوجوسلافيون قالباً!

– طوبيا – كاستريوتي – فوزاكي – ماريانيتى (سميت ارناووط أثناء الحكم العثماني الأول) – كامونين – شيشتا – فلما غزا العثمانيون البانيا سنة ١٤٣١ خضع امراء هذه الامارات للحكم العثماني واحد تلو الآخر . ورغم الثورات التي تفجرت هنا وهناك ، ورغم مقاومة ولاية كاستريوتي بقيادة اسكندر بيرج فقد انتهت البانيا الى خضوعها كلها للحكم العثماني سنة ١٥٠١م . واشتهرت هذه السنة بفرار عشرات الالاف من الالبانيين الى جنوب ايطاليا . وقد شاهدت بنفس آلافا من ذرية أولئك المهاجرين يتقاطرون من مختلف أنحاء ايطاليا على سهل الالبانيين المجاور لباليرمو للمشاركة في حفل أحياء ذكرى هجرة اجدادهم من بلادهم . وكان حضوري تلبية لدعوة من أحد اصدقائي الالبانيين الذين عرفتهم منذ أن كنا زملاء دراسة بالقاهرة .

اما اسكندر بيرج الذي قاوم الاتراك مدة ربع قرن وعطل زحفهم فهو " جورجي كاستريوتي " يقال أنه من نسل امراء كاستريوتي ارسل طفلا رهينة الى قصر السلطان في اسطنبول لضمان ولاء اسرته للسلطان العثماني كما هي العادة في ذلك الزمان . وهناك ربى تربية عالية في الحكومة العثمانية وحصل على رتبة البيكوية مع صغر سنه ، فكان موضع اعجاب كبار رجال السلطان وقواده العسكريين ، فلما عين قائدا عسكريا في ولاية كاستريوتي تمرد على السلطان العثماني سنة ١٤٤٥م بعد أن استمال الفرسان الالبانيين الذين كانوا ضمن الحامية التركية في الولاية وعددهم ٣٠٠ فارس، وأنضم اليه الناقمون على الحكم العثماني ، كما أنضم اليه المغامرون وطلاب الغنائم ، فلما أحس بقوته أعلن مطلبه الحقيقي الذي ثار من أجله وهو حقه في حكم الولاية باعتباره الوارث الكفء الوحيد من بين أبناء الأسرة الحاكمة السابقة في امارة كاستريوتي . واستجلابا لرضا المسيحيين الذين مازالوا

يحنون الى الحكم المسيحي الذي كان لهم فيه الكلمة العليا ،أعلن اسكندر ارتداده عن الاسلام ، ففارقه المسلمون من جنوده الذين ثاروا معه عند قيامه بالتمرد ، ولكن أفواجا كثيرة من المسيحيين سدوا الفجوة التي أحدثها مفارقة المسلمين له .واستمر اسكندر رمزا للمقاومة ضد العثمانيين حتى وفاته سنة ١٤٦٨م بعد أن قاوم العثمانيين ٢٥ سنة هزمهم فيها على أيام مراد الثاني وأوقف تقدمهم .

ومع أن اليونانيين قد خضعوا سنة ١٤٥٢- للحكم العثماني كما خضع غيرهم من سكان شبه جزيرة البلقان ، إلا ان اليونانيين عملوا دائما على استثارة الالبانيين ضد العثمانيين دون أن يعنوا بمن يقتل في تلك الانتفاضات ، اذ القاتل والمقتول كلاهما عدو لليونان سواء أكانوا البانيين أم عثمانيين . وفي عصرنا نحن لم تتوقف اليونان منذ ٧٥ سنة (١) عن المطالبة بمقاطعة " ايبيروس " الشمالية وهو الإسم الذي تطلقه اليونان على المقاطعة الجنوبية لالبانيا .ورغم عجز اليونان عن احتلال البانيا إلا أن الرغبة في ذلك الاحتلال لم تمت قط في صدورهم . وسنضرب صفحا عن تفاصيل ماضي العلاقات بين ذينك البلدين ونتحدث عن هذه العلاقات منذ انهيار الدولة العثمانية أو قبله بعقد من السنين، أى منذ أوائل هذا القرن، فاليونان منذ استقلالها عن تركيا سنة ١٨٢١م كانت على رأس المعترضين على قيام دولة مستقلة في البانيا . ففي سنة ١٩١٢م – ورغم تحريضها الشديد ضد العثمانيين واستغلالها لانشغال تركيا في الحرب مع ايطاليا قبل توقيع اتفاقية " اوشي" واستثمارها لحادث " كورفو"(٢) المعروف ، فانها لم تخف

(١) National Geographic N° 4 Volume 158 P 52

(٢) في ديسمبر ١٩١١ قصفت بارجة ايطالية جزيرة كورفو العثمانية آنذاك.

طمعها قط في جزر الدوديكانيز(١) وفي البانيا ، وان لم تتمكن من تحقيق ذلك الاحتلال في أثناء حربها مع ايطاليا عندما استولت على جزر الدوديكانيز كلها وعلى ربع البانيا وذلك أثناء الحرب العالمية الثانية ٢٩-١٩٤٥م الى أن طردها منها الالمان (حلفاء الايطاليين) ، واستمر احتلال الالمان لها حتى طردهم الحلفاء من جميع دول البلقان في خريف ١٩٤٤م ورغم انسحاب جيس المحور من البانيا لم تستطع اليونان احتلالها مثلما أحتلت الدوريكانيز لانشغالها في حرب أهلية شرسة قامت بين القوات اليمينية والليبرالية من جهة و بين الشيوعيين اليونانيين (حزب أ.ى.م) من جهة أخرى ، ولعب التعصب الديني الارثوذكسي والكاثوليكي في البلقان وبخاصة في اليونان ويوغسلافيا والنمسا دورا في توصيل السلاح الى القوة الشيوعية في البانيا على اعتبار أن خسارة أي الطرفين المتنازعين في البانيا هو لصالح اليونان وجيرانها ، حيث سيكون الخاسر هم المسلمون والشيوعيون وكلهم اعداء في نظر اليونانيين الواثقين من عون أمريكا وبريطانيا لهم ضد الشيوعيين اليونانيين (حزب أ.ى.م) اما الحرب الأهلية في البانيا التي استغلها اليونانيون والحلفاء فقد كانت قائمة بين القوى الاسلامية المكونة من الجبهة الوطنية " بالي كوبيتار" وحزب " ليغاليتيتي" وانضم اليهم جميع المسلمين الذين شعروا بخطر الشيوعية على عقيدتهم من جهة والحزب الشيوعي الذي يقوده أنور خوجة من جهة أخرى . ورغم كل هذه الملابسات لم تنس اليونان قط اطماعها في الاستيلاء على البانيا ، مع علمها بشدة شره يوغسلافيا لالتهام البانيا ، ففي أثناء اجتماعات مجلس الصلح الذي أقر معاهدة فرساي الشهيرة عقب نهاية الحرب العظمى الأولى

---

(١) أربع عشرة جزيرة في البحر الأويوني يسكنها أقوام من اليونان والترك والالبان أشهرها جزيرة رودس فتحها المسلمون سنة ١٥٢٢ وبقيت جزأ من الخلافة حتى سنة ١٩١٩:
عن Encyclopedia britannica Volume 10 P.801

تقدم مندوب اليونان الى زميله مندوب يوغسلافيا في ذلك المجلس ، عارضا عليه السعي المشترك في سبيل اقناع مجلس الصلح لتمكين البلدين من تقسيم أرض البانيا وشعبها بين البلدين ليضم الجزء الشمالي من البانيا الى يوغسلافيا فيكون ذلك الجزء مع مقاطعة كوسفو الجمهورية السابعة في اتحاد الجمهوريات اليوغسلافية ، ويضم الجزء الجنوبي ومنها الى مقدونيا اليونانية ، غير أن مساعي ايطاليا الخفية التي لم يكن طمعها في البانيا مجهولا عند المتكالبين على التهامها حال دون نجاح اليونان على الرغم من أن النفوذ اليوناني في البانيا قوى جدا بسبب انتشار الارثوذكسية المسيحية بين الالبانيين اذ تصل نسبتها الى ٥٧٪ ، ولقربهم جغرافيا الى عاصمة الارثوذكسية في [اثينا] فمنذ انفصال الكنيسة الارثوذكسية الشرقية وتسمى أيضا الكنيسة اليونانية الذي تم سنة ١٠٠٤م لم يستطع أي مذهب مسيحي مزاحمة المذهب الارثوذكسي اليوناني ، وبالرغم من رغبة اليونان الشديدة في ضم البانيا اليها إلا أنها لم تفلح قط في تحقيق هذا الحلم . وكلما نجحت فيه هو الحيلولة دون انتشار المذهب الكالفيني(١) المتعصب فليس بين الالبانيين مسيحي واحد يدين بالكالفينية كما وقفت في وجه المذهب البروتيستاني فعدد اتباعه لايجاوز مائتين وخمسين فرداً

---

(١) مذهب مسيحي انشأه الفرنسي جون كالفي ، واقامه على أساس أن المسيحية فرع من اليهودية ويرى الاخذ بالاراء اليهودية كلها باستثناء إنكار اليهود للمسيح ومركزها في جنيف (المؤلف) .

البانيـــا وبريطانيـــا

بعد سقوط فرنسا تحت ضربات الألمان وإنسحاب جيوش الحلفاء وبخاصة الانجليز من البلقان وإستيلاء ألمانيا على كل أوروبا بإستثناء البرتغال واسبانيا وسويسرا والسويد ، دخلت إيطاليا الحرب في يونيه ١٩٤٠ زاحفة على اليونان بجيوشها المتجمعة في ألبانيا . غير أن الشعب اليوناني لم يقاوم الغزو الإيطالي فحسب ، بل ردّه على أعقابه ، ثم طارده داخل ألبانيا نفسها، وتمكن اليونانيون من إحتلال ربع ألبانيا ، ولعلهم كانوا سيحتلونها كلها لولم تسارع ألمانيا إلى نجدة الجيوش الإيطالية ، وعقب إعلان هتلر الحرب على روسيا في يونية ١٩٤١ نشطت حركات المقاومة للإحتلال الألماني في معظم الدول الأوربية وكانت أوضح مايكون في فرنسا وفي البلقان وسارع الحلفاء إلى نجدة حركات المقاومة ، وقامت بريطانيا بإدخال أربعة عملاء في سرّية مطلقة إلى ألبانيا المحتلة ، عرفوا في تاريخ الجاسوسية باسم الفرسان الأربعة .

وانضموا فور وصلولهم إلى قيادة المقاومة الشيوعية التي يقودها أنور خوجة وهي فرقة من فرق الحركات الشعبية الكثيرة التي تصدت لمقاومة الإحتلال الإيطالي الألماني المشترك ،غير أنها إشتهرت بأنها أشد الفرق شراسة وميلا إلى إقتراف أبشع وسائل التعذيب لمن يقع في أيديهم من الأسرى، كما أنها كثيراً ماعمدت إلى عدم المبالاة بأرواح الأبرياء حتى من مواطنيها إذا كان في موتهم إلحاق ضرر بأعدائهم الألمان والطليان ولم تمض أسابيع قليلة حتى إكتشف الفرسان الأربعة أن ولاء أتباع أنور خوجة كان خوجة كان موجها إلى الاستالينية دون ألبانيا أو غيرها من البلاد ، بما في

ذلك بريطانيا التي تمد هذه الفرقة بكل أسباب الحياة ، وأسباب الحرب . فنصحوا حكومتهم بضرورة التخطيط لمكافحة الشيوعية فورا، لمواجهة ماتوقعوه من مشاكل ستثيرها بمجرد إنتصار الحلفاء وتفرغ الشيوعيين لنشر عقيدتهم ،مما سيضطر المعسكر المقابل لمكافحتهم ويرون وجوب إعداد خطة دقيقة عملية تمكن من القضاء على حركة الدعوة الشيوعية في مهدها وأن يكون الأمر حاضرا في أذهان الحلفاء عند مفاوضات الصلح فلا يتخلون عن الساحات الخطرة استراتيجيا لتبسط فيها الشيوعية نفوذها .

وعلى الرغم من هذا التنبؤ الصادق الذي أثبتت الأحداث بعد نظر من نادى به، وفي قمتها الحرب الباردة بين المعسكر الشيوعي والمعسكر الآخر الرأسمالي التي أدت إلى خلافات كادت تجر العالم إلى حرب مدمرة ،على الرغم من هذا كله قررت الحكومة البريطانية مساندة أنور خوجة وحزبه لما برهنوا عليه من كفاية قتالية عالية ضد قوات المحور . وقد أوضح تقرير بريطاني مرفوع إلى وزارة الحرب (١) أن المقاتلين الشيوعيين في ألبانيا هم من أفضل المحاربين ، ويقول التقرير : أما أنصار الجبهة الوطنية فهم رجال كلام " صالونات" لهذا يتعين على بريطانيا تقديم جميع المساعدات (2) للمقاتلين الذين برهنوا على إتقانهم لفن قتل الأعداء والقيام بأعمال تكفل إدخال الرعب البالغ في قلوب الجنود الألمان .

---

(١) وزارة الحرب هي مجلس وزراء بريطاني خاص مكون من وزراء الحرب والخارجية والبحرية والإنتاج الحربي والمالية والمستعمرات وبعض رؤساء وزراء دول الكومنويلث أشهرهم الجنرال اسموتس رئيس وزراء جنوب أفريقيا أثناء الحرب العالمية الثانية (المؤلف) .

(٢) Year Book on International communist affaires 1983 P. 248.

وفي خريف ١٩٤٤ ربح جيش التحرير الوطني الحرب بمساعدة الحلفاء وبخاصة بريطانيا. وفي أكتوبر من ذلك العام ارسلت وزارة الحربية تعليماتها إلى قيادة الجيش البريطاني في جنوب إيطاليا وقد جاء فيها .

« لايبدو أنه في إستطاعتنا الحيلولة دون ولادة حكومة شيوعية في ألبانيا عقب الحرب ، ومن المؤكد أن زعماءها سيتوجهون نحو روسيا نشدانا للمساعدة لذلك فإن هدفنا الآن هو توثيق الروابط مع المقاتلين الشيوعيين لنتمكن مستقبلا من التأثير على تلك الحكومة » . وقد نفذ الشطر الأول من السياسة التي أذت إلى قيام حكم شيوعي في ألبانيا في نوفمبر ١٩٤٤م

وفي الأول من مايو ١٩٤٥م تم الإتفاق على إقامة بعثة دبلوماسية بريطانية في تيرانا مكان البعثة العسكرية التي ساعدت على تدريب فصائل الشيوعيين وزودتهم بالمال والأسلحة والذخائر والتموين بينما، أهملت الفصائل الأخرى وحرمتها حتى من السلاح الخفيف الذي يدافعون به عن أنفسهم ،ووسائل الإتصال السلكي واللاسلكي التي تمكنهم من طلب النجدة عند الحاجة .

وفي الخامس عشر من أكتوبر من نفس السنة قذفت المدفعية الألبانية مدمرتين بريطانيتين في مضيق كورفو (١) .

ومن سخريات القدر أن المدافع التي ضربت المدمرتين من ذوات ٢٥رطلا كانت من الأسلحة التي أوصلتها بريطانيا إلى أنور خوجة من أسلحة الجيش الثامن الموجود في ليبيا في ذلك الوقت ، ومن الطبيعي أن تحتج بريطانيا

---

(١) كورفو جزيرة يونانية يفصلها عن الساحل الالباني أربعة كيلومترات (المؤلف) .

إحتجاجا شديداً، كما أنه من الطبيعي أن تعتذر ألبانيا عن هذا العمل غير المعقول ثم عرفت الغاية من هذا القذف عندما أغلقت ألبانيا مضيق كورفو وإعتبرت مياهه مياها إقليمية لها. ومنعت المرور فيه، ولم تلق بالا لإحتجاجات أصحاب الأساطيل الحربية والتجارية الضخمة، بله أصحاب السفن الصغيرة أو تلك المملوكة لدول ضعيفة ومازال هذا الحجر قائما حتى هذا اليوم .


الجاسوس «المزدوج» فيلبي

وكاحتجاج بريطاني على هذا القذف سحبت بريطانيا بعثتها الدبلوماسية وقطعت العلاقات مع ألبانيا وهي علاقات لم يعد ربطها حتى هذا اليوم، فالبانيا ترفض إعادة العلاقات مالم تستعد ال ٢٤٥٠ كيلو ذهب المملوكة لألبانيا والتي نقلت من خزائن ألمانيا واودعت في بنك إنجلترا، وبريطانيا لاتوافق على إعادة الذهب قبل حصولها على تعويض عن المدمرتين المشار إليهما، وهي تحتج الآن أيضا بضرورة تسوية تعويضات تطالب بها أمريكا عن حادث مماثل لم تدفع لها ألبانيا تعويضا عنه بعد.

دور بريطانيا إراديا ولا إراديا في خلق ظاهرة " أنور خوجة" في البانيا :
- كيم فيلبي الجاسوس البريطاني الشهير في الشرق الأوسط ودوره في حماية أنور خوجة من مؤامرات خصومه :-

لم تكتشف بريطانيا أن ركيزة تجسسها الكبرى في الشرق الأوسط كيم فيلبي هو في نفس الوقت جاسوس للروس رغم أنه سليل الحاج عبد الله فيلبي جاسوسها الأكبر في بلاط الملك عبد العزيز آل سعود ، وكيم هو تلميذ "فريا استاك" الأديبة الكاتبة البريطانية الشهيرة عميدة الجواسيس الإنجليز في أثناء الحرب العالمية الثانية وهي التي دفعت بكيم إلى أعلى المناصب في

سلك التجسس وإن لم تعلم قط حتى سنة ١٩٦٢ أن كيم كان جاسوسا روسيا لدوافع عقلانية منذ سنة ١٩٣٠ وإن ولاءه للشيوعيين أعظم بكثير من ولائه لبريطانيا، ولهذا السبب كان يمد الروس وبالتالي الدول الشيوعية الموالية لموسكو بكل مايهمها . وبحكم كون كيم فيلبي أحد صفوة أجهزة التجسس البريطانية فقد كان يعلم بجميع المحاولات للقضاء على أنور خوجة ونظامه سواء تلك التي نظمها معارضوه من الالبانيين (١) وتلك التي أعدتها أمريكا وبريطانيا ،فكان فيلبي يحيط موسكو بتفاصيلها ودقائقها قبل أن تصل إلى علم كبار المسؤلين الإنجليز، ومن الطبيعي أن تعلم موسكو بدورها حليفها أنور خوجة بما يدبر له فلا يصل المتآمرون إلى ألبانيا إلا وتكون قوات أنور خوجة في إنتظارهم فتقتل من تقتل وتأسر من تأسرفلا ينجو منهم أحد .

واستمر أنور خوجة يحاط علما (٢) بما يدبر له خارج حدود بلاده بفضل كيم فيلبي الجاسوس البريطاني المزدوج وذلك الى قبيل إنكشاف أمره وإضطراره للهروب إلى روسيا يوم ٢٤ يناير١٩٦٣ .

(١) كتاب الخيانة العظمى عن مطبوعات دار فلا ماريون الفرنسية لسنة ١٩٨٥

(٢) أذاعت محطة تيرانا يوم ١٩٨٢/٩/٢٨ أن عصابة من الألبانيين المهاجرين قد هاجمت الساحل الألباني وقد اكتشفت العصابة خلال خمس ساعات وصفاها الجيش وكان المغامرون مسلحون ببنادق اتوماتيكية ومسدسات ومناظر وأجهزة إرسال واستقبال إذاعي . وقاد الحملة جودة مصطفى زعيم حركة مضادة لنظام خوجة الشيوعي. عن Keessing Volume XXIX P.31971

البانيا ويوغسلافيا

تحليل تطور العلاقات الالبانية اليوغسلافية الحديثة ١٩٦٨ / ١٩٨٣ .

ليس من رقعة أرض في المعمورة بهذا الضيق النسبي ازدحم فيه هذا العدد الوفير من الاعراق البشرية ، كل عرق يريد أن لايحكم نفسه فقط ولكنه يطمع أن يكون مستقلا، ويحكم في نفس الوقت الاخرين ، وقد نشأ عن هذا الوضع صعوبات جمة أدت الى تطاحن ترتب عليه مشكلات أخطرها الصراع العرقي ،يليه إختلاف النظرة السياسية والاقتصادية والعقائدية . ومامن خلاف في شبه جزيرة البلقان أشد خطرا من ذلك الذي حدث بين ألبانيا ويوغسلافيا رغم وحدة نظرتهما حيال الكثير من المشكلات السياسية ، ورغم أن كلا البلدين هو اشتراكي شيوعي وان افترقت بهما السبل ، فألبانيا شيوعية لينينية ستالينية ، ويوغسلافيا شيوعية تأخذ بالتأويل في فهم مبادئ الشيوعية مما يطلق عليها (ريفيسيونست REVISIONIST) وسنطلق عليها في البحث لفظ " التحريف ".

ولشبه جزيرة البلقان أهمية سياسية وعسكرية بالغة في نظر كبار سياسي العالم وبخاصة في نظر كلا المعسكرين الأعظمين : المعسكر الرأسمالي والمعسكر الشيوعي . ولانعدام الاستقرار في البلقان عواقب خطيرة على أمن واستقرار جهات عديدة في أوربا .

وتحتل جمهورية البانيا الشعبية الاشتراكية ، وجمهورية يوغسلافيا الاتحادية الاشتراكية موقعاً استراتجيا خطيراً في شبه جزيرة البلقان المكشوف عسكرياً ، هذا الموقع الممتاز لكلا الجمهورتين جعل تطور

علاقاتهما نحو الأفضل في السبعينات عاملاً هاما في المحافظة على الاستقرار في هذا الجزء من أوربا ، كما كان عامل استقرار فيهما نفسيهما، غير أن الاضطرابات العرقية التي حدثت في ربيع ١٩٨١ في جنوب يوغسلافيا نتج عنها تردّ في تلك العلاقات التي تعارضت ومصالح الشعبين الالباني واليوغسلافي اللذين ارغمتهما الظروف على التخلي عن تلك العلاقات التي سببت طمأنينة في البلدين لأكثر من عقد من الزمان ، اذ كانت تلك الإضطرابات مصدر قلق للألبانيين بسبب ماتعرض له إخوتهم ألبانيو جنوب يوغسلافيا من مآس وحجر حريات وسجن وعذاب وتصفيات جسدية ، وسيتناول التحليل عواقب احداث الالبانيين في اقليم كوسفو، وأثر تلك الأحداث على العلاقات بين البانيا ويوغسلافيا .

كان قدر البانيا أن تواجه خطر الخضوع للهيمنة الأجنبية والإذلال الدائم فضلا عن محاولات جيرانها تجزئتها بينهم، اذ كان على الدوام لكل من جيرانها مطامع في جزء من ارضها أو في أرضها كلها . ففي سنة ١٩١٢ ضمت صربيا والجبل الأسود أكثر من ٤٠٪ من الشعب الألباني كما ضمت أكثر من نصف الأراضي الالبانية الآهلة بالسكان بما في ذلك اقليم كوسفو . وضمت اليونان اقليم البانيا الجنوبي " شيمريا " وهيمنت ايطاليا – طيلة فترة مابين الحربية العالميتين على مابقى من البانيا هيمنة كاملة، سياسيا واقتصاديا وعسكريا في شكل نفوذ سياسي وتدريب عسكري وارتباط إقتصادي شمل دوائر المال والتجارة والصناعة والتصدير والاستيراد والمواصلات ،وهي هيمنة إنتهت بالاحتلال الصريح سنة ١٩٣٩ كل هذا الظلم زرع في أبناء البانيا الحاليين الإحساس بأن جيرانهم وبخاصة – يوغسلافيا – هم عدوهم الرئيس، ويشكلون خطراً محدقاً على استقلال البانيا وعلى سلامة أراضيها، وهم أشد خطرا أو تجنياً على طموح شعبها .

ويعرف المؤرخون أن اليوغسلافيين لعبوا دوراً مهماً في تكوين الحزب الشيوعي الالباني سنة ١٩٤١ . وهذا مكنهم من السيطرة على الحزب ، فمنذ انتصار الشيوعية في الحرب العالمية الثانية تعاظم النفوذ اليوغسلافي في البانيا جميعها واستطاع هذا النفوذ أن يشكل العامل الأول في كل عمل في جميع القطاعات في الفترة بين سنتي ١٩٤٥ و ١٩٤٨ وأدى الى حرمان تيرانا من القيام بأي مبادرة سياسية في الداخل او الخارج ، وكانت الخطة اليوغسلافية الخفية هي السعي إلى دمج البانيا جميعها في الاتحاد اليوغسلافي ، ولكن تردّي العلاقات بين يوغسلافيا وروسيا نشأ عنه تنافر شديد بين يوغسلافيا والبانيا التي تتبع سياسة داخلية ستالينية النهج شديدة التسلط ، بينما اتبعت يوغسلافيا نهج التحريفيين (١) REVISIONIST متبنية سياسة داخلية تعتمد على سياسة التسيير الذاتي واتباع سياسة خارجية تناصر عدم الانحياز، وكلتا السياستين تظهر يوغسلافيا بمظهر البلد المستقل في إتخاذ قراراته ، الشريك لحفائه عند وضع السياسة، لا التابع ،وبذلك نجد البلدين قد تبنى كل منهما وجهة نظر مختلفة عن وجهة نظر الآخر في معظم القضايا المهمة المؤثرة في أنماط الشيوعية الدولية، فلما تعمق الخلاف بينهما اشتبكتا في نزاع وجدال أيديولوجي حاد . وجاء تصالح خروتشوف وتيتو، ومانتج عن هذا التصالح من تحسن كبير في العلاقات بين يوغسلافيا وروسيا ضغثا على إبّالة في العلاقات الالبانية اليوغسلافية، وأدى الى انهيار العلاقات بين السوفييت وألبانيا، وانتهى بأن يكون هذا الصلح هو من أهم العوامل المؤدية الى القطيعة الكاملة مع موسكو ، كما كان السبب الكامن وراء نشوء علاقات حميمة بين البانيا والصين

---

(١) أنظر حاشية رقم ١ صفحة رقم ٢ . .

الشعبية الى الحد الذي جعل أوربا تتندر على متانة تلك العلاقات وتردد النكتة التالية :" اذا امطرت السماء في الصين نشر الالبانيون مظلاتهم " .
ويضيف المتتبعون لسير العلاقات بين البلدين الى ماذكرنا من أسباب تردي العلاقات بين تيران وبلغراد سببا آخر شخصيا يتمثل في البغضاء التي تكنها صفوة تيرانا لصفوة حكام بلغراد لسبب مايعتنقه كل فريق من أسلوب في تطبيق مبادئ الشيوعية ،فأنور خوجة يرى أن قادة يوغسلافيا يمثلون خطراً حقيقياً على نظامه وعلى منصبه هو شخصيا، وهذا الإدراك سبقته تجربة خوجة مع اليوغسلافيين خلال فترة الحرب العالمية ،فمنذ اللقاء الأول بين اليوغسلافيين والالبانيين الشيوعيين في مطلع سنة ١٩٤٠ تبين أن اليوغسلافيين لايستطعون أن يثقوا في أنور خوجة بسبب الفكر الذي يحمله، وبسبب خلفيته الثقافية البرجوازية وحاولوا استبداله بكموشي خوجة الأطوع لرغباتهم والاقل طموحاً من أنور خوجة ،وقد حرض اليوغسلافيون سنة ١٩٤٨ خصوم خوجة ضده ووعدوهم بالمال والسلاح ، وفي سنة ١٩٥١ شكل اليوغسلافيون من المهاجرين الالبانيين في يوغسلافيا هيئة نشطة اعلنت في مطبوعاتها أن هدفها هو قلب نظام خوجة ، وإلى أن جاءت سنة ١٩٦٦ كانت العلاقات بين الجمهوريتين قد تعقدت تعقداً شديداً بسبب قسوة اليوغسلافيين في تعاملهم مع الأقلية الالبانية في جنوب يوغسلافيا، وتتضح قيمة هذا العنصر ويتضح تأثيره في العلاقات بين تيرانا وبلغراد فلا مفر من استعراض وضع الالبانيين في يوغسلافيا الاشتراكية :-
في أثناء المؤتمر الرابع للحزب الشيوعي اليوغسلافي المعقود في مدينة دريزدين (بالمانيا الشرقية اليوم) سنة ١٩٢٨ ايد الحزب الشيوعي اليوغسلافي عودة مقاطعة كوسفو إلى البانيا وكرر تأكيد العودة في ندوته التي عقدها في مدينة زغرب بيوغسلافيا سنة ١٩٤٠ ، وعقب سقوط الحكومة الملكية في يوغسلافيا سنة ١٩٤١ ، اتحدت كوسفو مع البانيا، ولكن ما ان

هزمت دولتا المحور حتى استقلت يوغسلافيا مستردة مقاطعة كوسفو من البانيا . وعندما تأسست حركة وطنية في كوسفو في أثناء الاحتلال الالماني ليوغسلافيا احتفظت تلك الحركة بصلات قوية مباشرة مع اللجنة المركزية للحزب الشيوعي اليوغسلافي، اذ كان الحزب المذكور قد وعد الالبانيين الكوسفيين بوضع دستوري وحقوق مساوية لحقوق الاعراق اليوغسلافية الأخرى، وأن تحقيق هذا الوعد سيتم بمجرد إنتهاء الحرب بالنصر على الأعداء ،واستعادة يوغسلافيا حرية التصرف في أراضيها وسياستها، كما اعترف الحزب بأن للأقلية الالبانية الحق في تقرير مصيرها بما في ذلك حقها في المطالبة بالانفصال، وكان لهذا الاعتراف صدى بينا في تصريح تيتو وتردد في كثير من وثائق الحزب .

وخلال اجتماعات قادة الشيوعيين اليوغسلافيين مع زعماء الحزب الشيوعي الالباني اشتركوا في صوغ التصريح المعروف باسم " اتحاد كوسفو" مع البانيا واعلنوا بأن هذا التصريح كان أمراً سهلاً لأنه لم يكن تصريحاً متولداً عن ضغط أو خوف أو طمع وما كان التصريح مشكلة قادرة على زعزعة العلاقات بين يوغسلافيا الاشتراكية والبانيا الاشتراكية أيضاً؛ وشدد الحزب الشيوعي الالباني على ضرورة ممارسة كوسّفو لحقها في تقرير مصيرها بمجرد إنتهاء الحرب، لتقرر ما إذا كانت ترغب في الاتحاد مع البانيا أم تحتفظ بوضعها المميز كجزء من يوغسلافيا ولكن الالبانيين واليوغسلافيين اختلفوا أثناء الحرب حول نقطة تقرير المصير التي سبق أن اقرت بها قيادة الشيوعيين، ولم تكتف بهذا الارتداد عن التصريح بل مارست ضغطاً هائلا أرغم الحزب الشيوعي الالباني على إلغاء اتفاق " موكاج" الموقع سنة ١٩٤٣ بينه وبين الحزب الوطني الالباني (بالى كوبيتار) والقاضي بأن مستقبل كوسفو يجب أن يقرر من خلال استفتاء الكوسوفيين

. أما الالبانيون في يوغسلافيا جميعها فأغلبيتهم العظمى تؤيد فكرة الاندماج في البانيا ولعل تعرف اليوغسلافيين على مشاعر الالبانيين ورغبتهم في الاندماج مع البانيا هو السبب الكامن وراء إرتداد اليوغسلافين عن التصريح الخاص بمنح الالبانيين حق تقرير المصير ، خاصة وأن الشيوعيين الكوسفيين قد أيدوا هم أيضا هذا الاندماج في قرار اجازته الندوة الاولى لمجلس الشعب في إقليم كوسّفو سنة ١٩٤٤ . وكان نص القرار كما يلي :

" كوسّفـو وسهـل دوكاجين هـواقليـم "
" يسكنه البانيون منذ ماقبل احتلاله"
" من قبل الاجانب كما كان دائما وكما هو الآن "
" وهو يرغب في الاتحاد مع ألبانيا وعليه فنحن نعتبر"
" أن من واجبنا هداية الالبانيين الى الطريق الصحيح"
" الـذي يجب عليهم السير فيه لتحقيق رغائبهم ، ونقول"
" لهم أن الطريقة الوحيدة لتوحيد ألبانيي كوسفو"
" وسهل دوكاجين مع ألبانيا هو الكفاح المشترك"
" مع الشعوب اليوغسلافية الأخرى ضد المحتل وضد "
" من وضعوا أنفسهم في خدمته ، لأن الكفاح هو الطريق"
" الوحيد لاسترجاع الحرية ، وعندها تتهيأ الفرصة لجميع"
" الشعوب – بما فيهم الالبانيون – لتقرير مستقبلهم " .
" عن طريق الحق في تقرير المصير حتى لو كان قرارهم هو"
" الانفصال"

ان الشيوعيين اليوغسلافيين الذين واجهوا واقعية التمسك بالسلطة بعد أن تضمحل السيطرة الصربية مازالوا متحمسين لايجاد تحالف قوى مع

الصربيين محالفة الند للند ، إذ ان الصربيين يعارضون التصريح الخاص بمستقبل كوسّفو معارضة شديدة، وهم يخشون أن اتحاد كوسّفو مع البانيا أو اندماجها فيها سيلحق الضرر بالقومية الصربية وسينتج عنه فقدان تأييد أكبر الاعراق اليوغسلافية عدداً وهم الصرب ، ففي الرسالة المؤرخة في ٢٨ مارس ١٩٤٤ نقض الحزب الشيوعي اليوغسلافي اعترافه بقرار الشيوعيين من ألبانيي كوسّفو المتعلق بتبعيتهم ووضعهم تجاه الحزب الشيوعي اليوغسلافي وهو تقلب سياسي غير مقبول ،لكن الحزب الشيوعي الالباني وكذلك الشيوعيين في كوسفو لم يكونوا في وضع يمكنهم من تحد قرار اليوغسلافيين الشيوعيين المتعلق بذلك التصريح الحيوي بالنسبة للشعب الالباني .

ولكن الكوسوفيين لم ينسوا قط تسبب الحزب الشيوعي اليوغسلافي في خيبة أملهم ، فلم تكد الحرب تنتهي حتى وجدت بلغراد نفسها تواجه مشاكل خطيرة في كوسّفو كرد فعل لخيبة آمال الكوسّفيين الذين لم يتقبلوا قط عن رضا دمجهم في يوغسلافيا وبخاصة أنهم الاقلية العرقية الوحيدة التي كونت جيشاً لمقاومة النظام اليوغسلافي الشيوعي حتى اضطر الجيش اليوغسلافي الى استخدام أساليب متطرفة خالطها الكثير من الارهاب حتى تمكن من سحق انتفاضة الالبانيين في كوسّفو المضادة للنظام اليوغسلافي، وتصرف الحزب الشيوعي الصربي في مؤتمره الأول المنعقد في مايو سنة ١٩٤٥ تصرفاً خشنا غير حضاري ألحق بالالبانيين الكثير من الضرر المادي والمعنوي ، مما جعلهم موضع نقد حاد من قادة يوغسلافيا وعلى رأسهم تيتو وجيلاس ورانكوفيتش . إلا أن الألبانيين حرموا في نفس السنة من حقهم في تقرير مصيرهم نتيجة لقرار رسمي من الحزب الشيوعي اليوغسلافي ، ملزما لتيتو وحكومته وإن كان هذا الحرمان لم يزد على اصباغ صفة قانونية

على وضع كان قائما منذ الارتداد عن التصريح قبيل نهاية الحرب ، ويقول الواقع أن اليوغسلافيين لم يحترموا قط ذلك الوعد منذ أن شعروا بالقوة والقدرة على التصرف، بل ولعلهم لم يكونوا قط ينوون الوفاء به حتى عند اعلانه ، رغم أن التصريح لم يكن ليعطي الكوسفيين أكثر من مجرد مساواتهم ببقية الاعراق اليوغسلافية ولكن اليوغسلافيين ضحوا بالطموح الوطني المشروع للكوسفيين في سبيل تأييد الطموح القومي للصربيين ، ولسكان الجبل الأسود ، فالاعراق الالبانية المتعددة لايمكن الاستناد اليها سياسيا من قبل الحكومة المركزية مالم تضمن تأييد الصربيين ، ومن الاساليب التي لجأت اليها الحكومة المركزية لاضعاف العرق الألباني ، تقسيمها للأراضي التي يسكنونها في كوسفو وغيرها الى ثلاث مناطق : أولا كوسفو منحت حكما ذاتيا محدودا جدا وضمت الى جمهورية الصرب . ثانيا جزء آخر منها أعلن منطقة ذات حكم ذاتي محدود وضمت الى جمهورية الجبل الأسود . وجزء ثالث ضم الى مقدونيا وهكذا انتهى حلم اتحاد الالبانيين مع البانيا الأم أو اندماجها فيها . ورغم نجاح صربيا في القضاء على آمال كوسفو إلا أنها لم تنجح في دفع الحكومة المركزية الى الزحف على البانيا لتكون الجمهورية السابعة في الاتحاد اليوغسلافي وفي سنة ١٩٤٦, طلب أنور خوجة في أثناء أحد اجتماعاته " بتيتو" أن يناقش قضية اتحاد كوسفو مع البانيا ، وذكّر تيتو بوعوده ووعود الحزب الشيوعي اليوغسلافي التي نمت آمال الشعب الالباني في قيام وحدة بين شقيه في كوسفو والبانيا الأم . بقوله : إن بقاء كوسفو ضمن الجمهورية اليوغسلافية هو امر مؤقت اقتضته ظروف خاصة يزول بزوالها . كما طلب خوجة عونه في تخفيف معاناة الالبانيين في كوسفو ومقدونيا، غير أن تيتو يرى استحالة الأمر مالم توافق صربيا على ذلك وموافقة صربيا أمر مستحيل كما أوضحنا في موقع آخر من هذا الكتاب . ولم تتوصل يوغسلافيا والبانيا الى أي حل

مرض ، وبقى الصراع بينهما مرتديا ثوبا عقديا بينما حقيقة استيلاء يوغسلافيا على كوسفو جعل امر استردادها هدفا قوميا يوجب إعادة القطاع إلى البانيا . ووجدوا في مذكرات خوجة مانصه :

" لقد سألني تيتو عن أفكاري "
" المتعلقة بكوسفو وبالمناطق الأخرى "
" التي يسكنها ألبانيون في يوغسلافيا فأجبته"
" إن المناطق الالبانية التي بترتها القوى العظمى من البانيا"
" دون وجه حق ، تخص ألبانيا ويجب أن "
" تعود إليها وأضفت : وبما أن كلينا"
" بلد إشتراكي فالظروف مواتية لحل "
" هذه المشكلة بالطريقة الصحيحة فأجابني "
" تيتو إنني موافق على رأيك وهذا "
" هو مانتمناه ، لكننا لسنا قادرين "
" في الوقت الحالي على فعل أي شيء لأن صربيا"
" لاتستطيع أن تفهم هذا الأمر فقلت له "
" إن كانوا لم يستطيعوا أن يفهموه اليوم فسيفهمونه غداً"

وقد كان طابع التركيبة الالبانية في كوسفو خلال الخمسينات والستينات هو عدم المساواة بين العرق الالباني الذي يشكل أغلبية السكان في كوسفو وبين الصربيين . وهو نفس وضعهم في الحرب الاهلية اليوغسلافية فقد كانوا غير معترف بهم كعرق مستقل منذ ١٩١٢م حتى سنة ١٩٤٥م . ومع ذلك فقد طور الالبانيون وضعهم بصورة ملحوظة تتمثل في نمو الاقتصاد المزدهر نسبياً وفرص تعليمية مناسبة لم تكن متاحة في الماضي . ورغم هذا

التحسن في وضعهم فقد بقوا في حالة متدنية بالنسبة لحالة الصربيين فأعضاء الفريق الصربي المسيطر يمسك بالنفوذ السياسي وهيمن على مقدرات كوسّفو جميعها ، فهم يحتلون المراكز القيادية ويستثمرون الوسائل السياسية المتاحة لهم وبخاصة الشرطة السرية لاستدامة وضعهم المهيمن .

أما الالبانيون فهم محرومون حرماناً منظماً من حقوقهم المدنية والقومية ومعرضون للإضطهاد السياسي والاقتصادي ، فبين شبابهم أعلى نسبة للبطالة إذ ترتفع إلى ٨٠٪ كما أن نصيب الكوسفيين من المشروعات الاتحادية ضئيل الى مايقارب العدم ، بينما نجد هذه المشروعات في المناطق التي تسكنها أكثرية صربية تقارب التشبع وتختفي فيها البطالة بين القادرين على العمل ومايتبع ذلك من إتقان للحرف وتعلم ما يستجد فيها من تطور فضلاً عن الدخل الثابت الذي يتمتع به العامل ومايوجده من استقرار نفسي وأسري ومادي ، أما الالبانيون فقد أزرى بهم الفقر . وعواقب مايتبع الفقر من جهل محيط بالمجتمع الالباني كله الى الحد الذي اضطروا بسببه الى بيع أولادهم الى عصابات دولية متخصصة في شرائهم بجنيهات معدودة ليعاد بيعهم الى محترفي الشحاذة بعد تشويه ابدانهم استجلابا لعطف المحسنين ، يحدث هذا للاطفال الحسنى الحظ ، أما سيئو الحظ فيباعون لعصابات تدربهم على النشل والسرقة والخطف ، فإذا كبر الطفل منهم قبل أن يقع في أيدي العدالة فانه يدرب على تهريب المخدرات وغيرها من الممنوعات كما يدرب الأقوياء منهم على الاغتيال بمقابل ، هذا مايحدث للفتيان والفتيات عامة أما ذوات الوجوه الجميلة فيُعددن اعداداً خاصاً لاستغلالهن في صباهن في بيوت الدعارة ، حيث يذوي شبابهن بسرعة، اذ تدخل الفتاة في بيت الدعارة في سن الرابعة عشرة على الأكثر فتنتهك فيه صحتها بسبب السهر والخمر ومباشرة السكارى والمخدورين الذين يزرعون فيه أنواعاً شتى من الأمراض والعلل ، واقواهن بدناً تستهلك تماما قبل بلوغها

الخامسة والعشرين ، وحينئذ تتخلص العصابة منها بالقتل عادة خوفاً من أن تفضح اسرارها ، وقد يتعرض الفتيان لمثل ذلك ، ولقد بث برنامج (راديو أونو) من الاذاعة الايطالية صباح يوم ١٠ ديسمبر ١٩٨٥م . أن سيدة يوغسلافية تقدمت ببلاغ الى شرطة مدينة كورينثية النمساوية الواقعة على مقربة من نقطة إلتقاء حدود النمسا مع غسلافيا وايطاليا ، وأفادت في بلاغها بأن عصابة دولية استأجرتها لمرافقة عشرة أطفال تم شراؤهم من أقليم كوسّفو حيث تقيم السيدة وعاشرهم هو ابنها ، ومهمتها هي رعاية الأطفال أثناء نقلهم من موطنهم الى جنوب ايطاليا عن طريق النمسا ، إمعاناً في تضليل الشرطة ، وقد نقلوا في حافلة مصنعة خصيصاً لهذا النوع من السفريات ، وهذا النوع من الركاب، تعاونها سيدة أخرى مستأجرة لنفس الغاية . وحسب إفادة المبلغة لم تكن هذه الرحلة هي الرحلة الأولى غير أنها في هذه المرة – رغم أنها باعت العصابة ابنها طمعاً في ان يباع ابنها الى اسرة غنية لا أولاد لها ، فيعيش حياة أفضل مادياً وعلميا ونفسيا من حياته معها ومع والده العاطل في ظل العوز والجهل – غير أن السيدة وقد قربت ساعة الفراق ، لم يطاوعها قلبها على فراق فلذة كبدها رغم المغريات . وقالت الإذاعة : ضبطت السيارة ومن فيها . وأذاعت اذاعة لندن ظهر هذا اليوم الثالث والعشرين في ديسمبر نفسه أن الشرطة ضبطت عصابة تتجر في الرضع الذين تشتريهم في ولاية كوسفو اليوغسلافية – افقر منطقة في اوربا، وروت قصتهم بما لايخرج عما اذاعته الاذاعة الايطالية . وروت مجلة أودجى " الايطالية قصة " المتاجرة المشينة في الصبيان اليوغسلافيين ونشرت صورة صبى اسمه شعبان في العاشرة من عمره أبلغ شرطة مدينة ميلانو أنه يستغل من قبل مالكه الغجري في السرقة وسلب الناس أموالهم وأنه يحبسه ويجلده اذا لم يحضر له يوميا مبلغا كبيرا أو مسروقات ثمينة . هذا اذا لم يرهبه ويخيفه بقضاء الليل في غرفة مظلمة

وكان الصبي قد اصطحب قد معه عددا من نظرائه الذين ملّوا حياة اللصوصية (١)، ويقول وكيل النيابة الذي حقق في بلاغ شعبان ورفاقه أنه يوجد في ميلانو حوالي ألف صبي وصبية يعيشون حياة الأرقاء مع اسيادهم الذين اشتروهم أو استأجروهم مقابل عشر ما يحضرون من مسروقات.


ADESSO CHI MI COMPRA

وتقول المجلة ان شعبان ولد في قرية تقع على بعد كيلومترات قليلة من مدينة "بيسن" في ولاية كوسفو قرب الحدود الألبانية. ويقول شعبان أنه خطف من قبل عصابة باعته لسيده الغجري الحالي، أما وكيل النيابة فيعتقد أن أسرته هي التي باعته لفقرها الشديد من ناحية، ولكثرة الأفواه التي يتوجب على والد شعبان أن يطعمها، على أمل أن يجد شعبان حياة أفضل من حياته مع أسرته.

وتنظر محكمة في ميلانو منذ بداية السنة القضائية في قضية صبى لا تختلف من حيث الجوهر عن قضية شعبان ، ويظهر ان المتهم هو أحد أفراد عصابة قوية غنية حيث استطاع توكيل محام معروف عالي الاجر ، وتقول الاذاعة التي اذاعت تقريرا لمندوبها الذي حضر احدى جلسات المحاكمة أنه شاهد وجوها كثيرة معروفة من المهتمين بعلم الجريمة وعلم النفس و علم الاجتماع ، كما أن الجلسة كانت فرصة طيبة لطلاب أقسام هذه العلوم بالجامعة ، وفي العادة لايثير مثل هذا القصص دهشة أحد لكثرة مانشر منه في وسائل الاعلام المختلفة . غير أن وقائع هذه المحاكمة اثبتت ان ماساة الاحداث الالبانيين في كوسفو اشد فظاعة مما أظهر شريط " عالم كلب "

---

(١) Costantino Muscare Sinfane caso dei bambini yugoslavi verduti in Italia. Oggi Anno XVI N° L3 R IZZOLI Milano

mondo Cane الذي عرضته الشاشات في أوائل الستينات .

وهذه القصص التي تصدر عن إذاعات صديقة ليوغسلافيا تغنى عن الشرح والتعليق ، وليس لها إلا معنى واحد هو : الى أي حد من التفسخ في القيم يصل بالإنسان الفقر . وفقر كوسفو – للأسف الشديد – ليس من صنع الطبيعة ولكن للتعصب الاقليمي اليد الطولي في احداثه فهو فقر مصنوع ليكون سلاحاً في يد الأغلبية الصربية المهيمنة على كوسفو استغلته في ارغام الالبانيين على الهجرة في اعداد كبيرة الى بلاد أخرى . فإذا أضفنا اليه ماتمارسه السلطة الرسمية من سجن لمدد طويلة واللجوء في بعض الحالات الى اجراء تصفيات جسدية ارهاقاً لكل ألباني يتذمر أو يشكو ضياع حقوقه المدنية والقومية . وكوسفو في الحقيقة هي كما وصفها أحد المراقبين عندما قال :

" تحكم كما تحكم المستعمرة التي تستمد أسباب حياتها من مستعمريها فهي مهملة ، ويسخرها الصربيون الحاكمون والصربيون المحليون . "

وقد اثارت تيرانا حملة ضارية ضد ماتعتبره سياسة بلغراد الظالمة، ومانتج عنها من جرائم وحقد اسود وبغضاء واغتيالات وانتهاكات وتعذيب فاشي للعرق الالباني المقيم في يوغسلافيا ، كما استبعدت تيرانا اية فرصة لتطبيع العلاقات طالما استمر هذا الوضع المثير قائما . ان العوامل المذكورة في الفقرات السابقة ، ساهمت في تجميد العلاقات الالبانية اليوغسلافية خلال الخمسينات والستينات في هذا القرن وابقت الإتصالات بين البلدين في أدنى مستوى لها ، وعلى الخلاف من ذلك ، فإن السبعينات كانت شاهداً على تطور عهد جديد بين هذين البلدين المتجاورين تميز بتعاون لم يسبق له مثيل وبخاصة في الحقليين الاقتصادي والثقافي .

تقارب سنة ١٩٧١م

في السادس من فبراير سنة١٩٧١، أعلن أن ألبانيا ويوغسلافيا قررتا رفع التمثيل الدبلوماسي بينهما الى درجة سفارة وكان ذلك علامة على نشوء مرحلة جديدة في علاقتهما ، وقد عجل بالتقارب بين تيرانا وبلغراد عاملان مهمان جدا: الأول الاحساس المشترك بينهما بالتهديد (١) الذي الذي سلطه الاتحاد السوفيتي عقب الزحف على تشيكوسلوفاكيا سنة ١٩٦٨م . العامل الثاني هو التحسن الذي طرأ على وضع الاقلية الالبانية -في يوغسلافيا. وقد دفع الغزو السوفيتي لتشيكوسلوفاكيا نظام خوجة إلى الإحساس بأن الاعتماد في الدفاع عن النفس على نصير ضعيف بعيد الدار كالصين مثلاً هو ضمان غير كاف لسلامة البانيا ، والنتيجة أن البانيا وجدت نفسها مجبرة على إعادة النظر في سياستها الخارجية ، وعلى أن تبحث عن التوافق مع جيرانها، فقررت الانسحاب رسمياً من حلف وارسو اعتباراً من سنة ١٩٦٨، واعقبت الانسحاب بالتخفيف من حدة لهجة مهاجمتها اعلاميا لبلغراد ، بل وعرضت مساندتها ليوغسلافيا اذا مااعترضت لأي اعتداء من قبل الاتحاد السوفيتي ، وقد شجعت الصين الشعبية ألبانيا على اتباع هذه السياسة وحث شواين لاي رئيس وزراء الصين أنذاك ضيفه وزير الدفاع الالباني باكير بالوكو- الذي زار بكين في سبتمبر / أكتوبر سنة ١٩٦٩ -على الدخول في حلف عسكري مع بلغراد.


LE MEMORIE DELL'«UOMO SCOMODO» NELLA JUGOSL

Gilas, il giacobino di Be

Testo ambiguo

والعامل الثاني الذي عجل بالتقارب بين تيرانا وبلغراد كان التغير في سياسة

(١) أعلن ليونيد بريجنيف أمين الحزب الشيوعي السوفيتي مبدأ خطيراً عرف "بمبدأ الاستقلال المحدود" أي أن أعضاء حلف وارسو- تطبيقا لمبدأ الشيوعية العالمية الثالثة القائل بأن العضو المنتمي إليها عليه أن ينبذ الولاء لقوميته مستعيضا عنها بالولاء للشيوعية الأممية (المؤلف)

يوغسلافيا الموائم لألبانيا عقب سقوط رانكوفيتش(١) ، وماتلا ذلك السقوط من تحسن في احوال الاقلية الالبانية . ولكن الصربيين بدأوا يحسون بتناقص سيطرتهم بقدر ما يكتسب الالبانيون من حق ابداء الرأي والمشاركة في شؤون كوسفو اليومية . وخلال حوار جرى في ندوات عامة لمناقشة تعديلات دستور يوغسلافيا عقدت في سنتي ١٩٦٧ - ١٩٦٨ طلب ألبانيو كوسفو أن يعاد النظر في مظلمتهم توطئة لكامل الاعتراف بحقوقهم القومية وبخاصة منحهم استقلالا ذاتيا أوسع ، كما تكررت مطالبتهم بإنشاء جمهورية مستقلة تشمل جميع الالبانيين ضمن الاتحاد اليوغسلافي .

وقد أولت تيرانا مطلب الكوسفيين استكمال استقلالهم الذاتي تعاطفها الكامل ، ونشرت الصحيفة السيارة " زيري أي بوبوليت" يوم ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٦٨ مايفيد بأن تحسن العلاقات الالبانية اليوغسلافية يعتمد على اعتراف بلغراد بالحقوق الكاملة للألبانيين في يوغسلافيا ، وفي شهري نوفمبر وديسمبر تفجرت مظاهرات في كوسفو وفي المناطق التي يسكنها الالبانيون في مقدونيا ، وطالب جميع المتظاهرين بإنشاء جمهورية كوسفو وبتأسيس جامعة ألبانية وبتحسين الأوضاع الاقتصادية والسياسية للألبانيين في يوغسلافيا ، وقد ووجهت هذه المطالب بتحد عنيف عندما تحركت السلطات اليوغسلافية لمواجهتها، واستعملت القوة البالغة لتهدئة المتظاهرين، كما استعملت خشونة لاتقتضيها السياسة الحكيمة في مواجهة منظمي تلك المظاهرات ،ومع ذلك فقد حققت بلغراد في نفس الوقت بعض مطالب العرق الالباني ، مظهرة تناقضاً شديداً في سياستها ، فقد غيرت -

(١) نائب تيتو الذي اشتهر بشنه حربا غير معلنة ضد السلالة الالبانية والمتهم بتصفية أربعين ألفا منهم عندما كان رئيسا للشرطة السرية . (المؤلف)
الأول من جهة اليسار في الصورة المرقمة

مثلا – اسم الولاية " من كوسفو / مينوهيجيا" إلى اسم ولاية " كوسفو الاشتراكية " ذات الاستقلال الذاتي " ، كما أقر قانون دستوري للولاية الجديدة وأنشئت لكوسفو محكمتها العليا الخاصة بها ، كما أقر شعارها الخاص،وسمح لألبانيين برفع علمهم الوطني الخاص ، أما طلب انشاء جمهورية خاصة بالالبانيين فقد رفض ، مع ان الرئيس تيتو كان – فيما يظهر – يود لو جعل من كوسفو الجمهورية اليوغسلافية السابعة ،ولكنه أجبر على صرف النظر عن هذه الفكرة بسبب معارضة الصربيين الأقوياء ، و من هذا يتضح أن الاقلية الالبانية لم تحقق أي قدر من الانتصار السياسي أو الاقتصادي أو الإداري ، وكل ماحققته هو إدارة ذاتية محدودة جداً . وأي قرار إقتصادي أو سياسي أو إداري تتخذه كوسفو يبقى دائما ناقصا وفي حاجة إلى التصديق عليه ممن بيده السلطة الحقيقية في البلاد وهم الصربيون الذين يتحكمون تحكماً كاملاً في اقرار السياسة المالية ، وبالتالي فهم يسيطرون على ابطال أي قرار برفض تمويله اذا لم يكن متمشيا مع مصالحهم (١) وخلال أزمة سنة ١٩٦٨ أظهرت تيرانا اعتدالا غير معهود فيها ، وسياسة الاعتدال هذه املتها حالة التهديد السوفييتي التي يواجهها أمن البانيا وأمن يوغسلافيا أيضا ، فإن أي عدم استقرار في يوغسلافيا قد يعطي السوفيت الفرصة العظمى التي يتصيدونها للتدخل في هذه المنطقة الشديدة الحياسية ، وقد رحبت البانيا بمكتسبات الكوسفويين التي حصلوا عليها بعد سنة ١٩٦٠، وأظهرت نواياها الطيبة ورغباتها في مساعدتهم على تطوير ثقافتهم ولكنها – في الوقت نفسه – كانت مستاءة جداً لعدم حدوث أي تقدم في أوضاع الالباني مقدونيا ، ومع أنهم منحوا بعض الامتيازات عقب اضطرابات سنة ١٩٦٨ إلا أنهم استمروا يكابدون

---

(١) مع الاحجاف بحقهم في الاموال العامة عند إقرار ميزانيات المشروعات . عن :-Keesing Con temporary Archives July 3 / 1981 P . 30951

الاضطهاد كأقلية في مقدونيا . ونشرت صحيفة " زيري أي يويوليت" في يونيه سنة ١٩٦٩, اتهاماً موجهاً لسلطات مقدونيا جاء فيه :" أن سياسة التطرف العسكري المتبعة ضد الالبانيين في شكل تعامل غير إنساني وإنكار للحقوق الأولية للفرد .، واستمرار جهود المقدونيين لتجريد الالبانيين من قوميتهم الألبانية هي سياسة غير مقبولة، ولايمكن السكوت عليها ولن تساعد على تحسين العلاقات بين تيرانا وبلغراد .

وخلال الفترة الاخيرة من الستينات تطورت العلاقات الاقتصادية بين العاصمتين ونمت تدريجيا الى أن وصلت إلى مستوى مرموق من التوسع ، كما أن عمق الخلافات السياسية والفكرية بين البلدين لم يكن عقبة في سبيل التطور الاقتصادي ، وأعرب خوجة عن رضائه الكامل عما حققه الكوسفيون من مكاسب في الحقول السياسية والاقتصادية والثقافية ، كما أنه أعرب عن استعداد حزب العمل الالباني لتطوير علاقات ثقافية خاصة مع كوسفو ، واظهرت المؤسسات التربوية الالبانية استعداداً للتعاون الكامل مع جامعة كوسفو الوليدة ، وقد أصر خوجة على أن البانيا لها الحق في الاهتمام بالباني يوغسلافيا ، كما يسعى لأن يجنبوا التعرض للتمييز العنصري ، وأكد بقوة استعداد تيرانا لمساندة بلغراد في حالة اعتداء موسكو عليها ، وقابلت بلغراد هذا التصريح بإستحسان كبير ، و في أثناء زيارة قام بها خوجة الى المدينة الشمالية " بجرام كرّي " سنة ١٩٧٠ أبدى رغبة حزبه في تطوير أوثق العلاقات مع يوغسلافيا . وأرتفع نمو التجارة بين البانيا ويوغسلافيا من ماقيمته ثلاثةملايين دولار في سنة ,١٩٦٦ إلى ماقيمته ٨،٤ مليون سنة ١٩٧٦ . ثم الى ٨,٣مليون في سنة ١٩٨٠ وتبع هذا النمو الاقتصادي توسع في العلاقات الثقافية بين تيرانا وعاصمة كوسفو بريشتي

ًعلاقات ألبانيا بيوغسلافيا خلال العقد الثامن من القرنً

خلال العهد التالي لغزو تشيكوسلوفاكيا من قبل الروس بدا أن البانيا ويوغسلافيا قد وضعتا خلافاتهما جانبا، كما بدا أن التعاون في الحقل الاقتصادي قد إمتد الى الحقل السياسي أيضاً وان إنحياز تيرانا لبيلغراد الذي تلا اعلان مبدأ بريجنيف فتح الباب أمام انتشار اقاويل بأن الصين الشعبية قد اقترحت ذلك الانحياز وأن البانيا ويوغسلافيا ربما عقدتا حلفاً عسكريا فيما بينهما ، غير ان ذلك لم يكن هو الواقع ، ففي مؤتمر الحزب السادس المعقود في نوفمبر سنة ١٩٧١ . نفى خوجة جميع الإشاعات التي تدور حول دخول تيرانا في تحالف مع بلغراد ، واشار الى وجود خلافات سياسية عميقة وخلافات فكرية بين البلدين يصعب التلاقي حولها، ولكنه اضاف ان تبادل الانتقادات والجدل يجب الاّ يؤثر تأثيراً سيئاً على التعاون في الميادين غير السياسية ، أما مهاجمة يوغسلافيا في الميدان الفكري العقائدي التي كانت قد توقفت عمليا فقد عادت الحياة فيها من خلال النقد الجاد الذي وجهه خوجة الى الجمهورية الاشتراكية الاتحادية اليوغسلافية ، واسلوبها في " التسيير الذاتي " وإلى نشاط يوغسلافيا في قطاعي السياسة الداخلية والخارجية .

وبالرغم من عدم رضا البانيا ، فإن علاقاتها مع بلغراد استمرت في التحسن التدريجي إذ تحتم على ألبانيا أن تجعل سياستها مع يوغسلافيا متوافقة مع سياسة يوغسلافيا حيال الاهداف المتصارع عليها . ولقد استحسنت البانيا الواقع الذي يشير الى أن بلدين مستقلين يتحدان ضد عدو مشترك واحد هو الاتحاد السوفييتي ، كما أن لهما مصلحة مشتركة في

معارضة حضور القوى العظمى في البلقان ، بالإضافة إلى اعتراف البانيا بحسنات توسع التعاون الاقتصادي بينها وبين يوغسلافيا والتي هي - بعد كل شيء - هي الشريك التجاري الطبيعي لألبانيا . وقد استمر التبادل التجاري بين البانيا ويوغسلافيا في النمو ووقع اتفاق تجاري بدأت مدته من أول ١٩٧١، وتستمر الى ,١٩٧٥ حدد قيمة السلع التي يجب تبادلها بين البلدين خلال مدة الاتفاق البالغة خمس سنوات بـ ١١٠ ملايين دولار ، وكان مجموع قيمة التبادل التجاري في سنة ١٩٧٤ . قد بلغت ٣٧,٥ مليون وهو ضعف قيمة التبادل في سنة ١٩٧٣، أما خلال سنة ١٩٧٥ . فقد انكمشت التجارة كإنعكاس لما طرأ على الاستقرار الاقتصادي في البانيا وكانت خطة التبادل التجاري لتلك السنة مقدراً لها ٥٦ مليون دولار إلا أنها في واقع الأمر اقتصرت على ٣٧ مليون دولار فقط وكان أمن تيرانا واعتباراتها الاقتصادية قد تم تنسيقها وفق ماتتطلبه سياسة نظام خوجة الداخلية، وكان التفاوت بين النظام الاشتراكي في البانيا، ونظيره في يوغسلافيا يزداد بإطراد، مبرزاً التطرف الشديد في اختلاف البناء الاشتراكي فيما بينهما ، فالنظام الاشتراكي في بلغراد تحكمه سياسة داخلية ليبرالية نوعاً ما ، ونمط اسواقها يتمتع بنظام في إدارته هو على الضد تماماً من نظام خوجة ، لهذا خشى خوجة أن يكون للنظام اليوغسلافي تأثير على الألبانيين ، إذ ان اليوغسلافيين في نظر خوجة إنحرافيون (ريفزيونيست) ، وذلك التأثير قد يكون له في النهاية أثر يقود إلى إضعاف حكم حزب العمل الالباني ، ويعتقد أن سلسلة حملات التطهير في البانيا خلال السنوات ٧٣-٧٤-١٩٧٥ والتي غصت بها قمة السلم الوظيفي في القطاعات الثقافية والعسكرية والاقتصادية ، نتج عنها اختفاء وجوه مسؤلين كثيرين معروفين وكان لها إنعكاس فوري على علاقة تيرانا ببلغراد أدت الى انتهاء ماعرف بمرحلة " الوفاق الحر" في السبعينات ، كما أدت الى تكثيف حاد في الحملات

الاعلامية الالبانية ضد يوغسلافيا ، والظاهر أن خوجة قد أقلقه النمط الاشتراكي اليوغسلافي الى حد بعيد بعد أن ظهر له ان بعض شرائح المجتمع الالباني بدأت تتطلع الى ذلك النظام . وكثر الجدل في المقارنة بين النظامين و حسم خوجة الأمر وأسكت أي نقاش يتعلق بتلك المقارنة بإجراء حملات التطهير التي لم تستثن أي فرد مهما كان مركزه إذا حامت حوله شبهات ، فكان من بين من اعدموا في حركة التطهير نائب رئيس مجلس الوزراء، فوزير الصناعة والتعدين، فوزير التجارة بتهمة السعي " لإدخال قوالب وأنماط للإدارة الذاتية في النظام الالباني للتخطيط الاقتصادي " . وقد تأثرت العلاقات بين تيرانا وبلغراد بعلاقتهما ببكين ، فألبانيا لم تكن متحمسة للتقارب اليوغسلافي الصيني الذي حدث سنة ١٩٧٠ ، واستمرت تعرب عن قلقها من تحسن العلاقات المستمر بين بلغراد وبكين ، وكلما صارت العلاقات بين يوغسلافيا والصين أكثر وداً ازدادت علاقات البانيا بالصين تفسخاً وتدهوراً ، ففي المؤتمر السادس لحزب العمل الالباني المعقود في نوفمبر ١٩٧٦، تراجع خوجة عن تصريح البانيا بمساندة يوغسلافيا اذا ما تعرضت لإعتداء خارجي ولام يوغسلافيا في الوقت نفسه على سماحها لسفن حربية روسية بزيارة موانيئها ، ووصف هذه الزيارات بأنها مضرة بتطوير العلاقات الطيبة بين تيرانا وبلغراد ، ودان بمرارة النهج الاشتراكي ليوغسلافيا ، وأوضح أن حزب العمل الالباني سيناضل لتعرية طبيعة أنواع الانحراف اليوغسلافي الخادع للمبادئ الماركسية ، وخطر ذلك الانحراف الماثل . وارتفعت حدة جدل البانيا العقدي مع يوغسلافيا ثم زاد ارتفاعا منذرا بالقطيعة خلال المرحلة الأخيرة من التحالف الالباني الصيني، وذلك عندما تبادل زعماء الصين وزعماء يوغسلافيا الزيارات ، وبلغ الخلاف منتهاه بالقطيعة بين تيرانا وبكين سنة١٩٧٨، وعندما نشر خوجة كتابه الذي اسماه

" الإدارة الذاتية في يوغسلافيا " واصفاً تلك الإدارة بأنها نظرية وتنفيذ رأسماليين ، وتضمن هذا الكتاب هجوماً شاملاً على نظريات كارديل (١) المنظر الفيلسوف الشيوعي اليوغسلافي، الذي تتمثل نظرياته في اشتراكية تأخذ أفضل ما في الرأسمالية من وسائل لينفذ بواسطتها أفضل مافي الشيوعة من مبادئ ، وهو أول من نادى من الشيوعيين بأهمية الحوافز في زيادة الانتاج كما أجاز الملكيات الصغيرة التي طبقت في روسيا والقاضية بمنح المزارع قطعة صغيرة من الأرض حول سكنه يعمل فيها في غير أوقات عمله الرسمي وليتصرف في انتاجها كيف شاء، ولعل خروشوف كان يعني نظريات كارديل ويفسرها عندما صرح في احدى خطبه أمام مجلس السوفييت الأعلى بعد تصالحه مع تيتو ودعوته له لحضور ذلك المؤتمر. فلأول مرة يدلي خروتشوف بتصريح خطير يقرر فيه أن " هناك أكثر من سبيل لتطبيق الشيوعية، وليس الأسلوب المتبع عندنا حاليا هو الأسلوب الوحيد " وفي قوله هذا مرونة في التطبيق لم يعرفها العالم الشيوعي على عهد ستالين ومن عاصره من زعماء .

ولقد حاولت بلغراد بكل قواها الاحتفاظ بصداقة البانيا ، تقودها في سياستها هذه عوامل كثيرة أهمها : التكامل الاقتصادي بين البلدين ، فبلغراد كانت مهتمة بإستجلاب المواد الأولية والكهرباء من البانيا وأهم من ذلك أن لدى يوغسلافيا إهتمام استراتيجي وسياسي لتطوير البانيا نحو حياة اقتصادية أفضل اذ ترى يوغسلافيا ان البانيا اذا كانت ضعيفة وغير مستقرة سياسياً واقتصادياً فإنها ستمثل تهديداً ليوغسلافيا بإعطائها الفرصة للقوى الانتهازية المعارضة في يوغسلافيا ، فتيتو يعلم أن الظروف الدولية وقوته الذاتية لاتمكنانه من الاستيلاء على البانيا ، فهو وكثيرون غيره

(١) D.Kostich the Land and People of Balkans P.127

من زعماء أوربا يرون ان استقلال البانيا لم يستمر الا بفضل كثره الاطماع في احتلالها من دول مختلفة من بينها يوغسلافيا ، وكل دولة تحاول تحقيق مطامعها ستجد معارضة حازمة من بقية الطامعين ، لهذا يرى أن من مصلحة يوغسلافيا أن تكون البانيا قوية قوة كافية للحد من طمع دولة بعينها من احتلالها . وبالرغم من أن اليوغسلافيين لم يبدوا أدنى جهد لاخفاء ازدرائهم للنظام الستاليني في البانيا ، إلا أنهم رحبوا بقطع خوجة لعلاقاته مع موسكو قطعاً يبدوا أنه لارجعة فيه ، مع ان البلدين يشتركان في الاهتمام بسياسات متشابهة في كثير من مظاهرها . ومع تزايد الإشارات على تفسخ التحالف بين تيرانا وبكين ، يشتد قلق بلغراد من جراء سياسة البانيا الخاريجة ونتائجها التي ستظهر حتماً بمجرد اختفاء خوجه عن المسرح السياسي ، إذ ترى ان احتمال عودة البانيا للتحالف مع موسكو أمراً معقولاً جداً ، ولتحقيق تطور مجد في ألبانيا ، عمدت يوغسلافيا إلى اعداد كوسفو لتلعب دورا مهما في العلاقات بين بلغراد وتيرانا بتحويلها الى جسر لابديل له في تحقيق التعاون بين يوغسلافيا وألبانيا ، فما ان أنشئت الحكومة الاتحادية جامعة كوسفو ، وتم أول اتفاق بينها وبين نظيرتها جامعة تيرانا سنة ١٩٧٠ حتى شجعت تسارع خطى التعاون بين بريشتينا وتيرانا ، وهو تعاون كان مقصوراً في أول الأمر على الميدان الثقافي ، واسهمت جامعة تيرانا من جانبها في هذا التعاون بتوقيعها إتفاقات مع جامعتي كل من مقدونيا والجبل الأسود . وفي ديسمبر سنة ١٩٧٩ قام وزير التعليم والعلوم والثقافة بزيارة البانيا ، وفي أكتوبر من سنة ١٩٨٠ زاركوسفو وزير الثقافة والتعليم الالباني ، رداً على زيارة زميله اليوغسلافي وأظهر تقديراً عاليا للتعاون بين بريشتينا وتيرانا وابدى سروره بما أعطت جامعة كوسفو من نتائج، واشار الى أن التعاون بين البانيا وكوسفو ستتسع دائرته ،

غير أن تجدد الجدل العقدي بين البلدين أدى إلى امتعاض اليوغسلافيين، لكنهم أظهروا مقدارا مرموقاً من ضبط النفس مكنهم من عدم الرد على الالبانين بمثل لهجتهم ، ومع إنبعاث القومية ، وتصاعد الإضطرابات بين الاقلية الالبانية أملت بلغراد في ان تطوير الصلات بخاصة مع تيرانا قد يدفع البانيا إلى الاحجام عن استغلال ضعف يوغسلافيا في كوسفو . وقد لاحظ تيتو في أثناء زيارة له لبريشتينا قام بها في أبريل سنة ١٩٧٥ – أهمية يوغسلافيا والبانيا في استقرار البلقان ، مضيفا: انهما إذا انغمستا في خلافات فيما بينهما فإن شعوبا أخرى ستحاول التدخل ، وحددت يوغسلافيا النقاط التي يمكن للبلدين ان يتفقا عليها وتمسكت بضرورة فتح حوار بينها وبين البانيا ، وفي سنة ١٩٧٥ أوضح تيتو ان يوغسلافيا لن تجيب على الجدل الذي تثيره البانيا ، بل ستستمر في تطوير التعاون حيثما تيسرت المنافع المشتركة وتعتقد يوغسلافيا أنها إذا تسامحت حيال الهجوم الالباني الاعلامي ضدها وأحجمت عن الرد عليه فقد يكون في ذلك حافز لألبانيا على أن تتوقف عن المهاجمة، وأن تشعر البانيا بسياسة يوغسلافيا الجديدة في كوسفو والتي سينتج عنها أوضاع أفضل كثمرة للتطوير الجاري. والذي تناول مختلف القطاعات، وتضع يوغسلافيا بهذا التسامح بذوراً تأمل أن تعطي ثمارها السياسية عند اختفاء خوجة عن المسرح السياسي في البانيا. وهي نظرة صادقة وان تحقق جزء كبير منها في عهد خوجة، فذلك التسامح وادب المخاطبة مع من اعتاد خلافهما، مهد لتحسن العلاقات ومارافقها من تقارب في السبعينات . وان لم يخل تاريخ هذه العلاقات من نقاط داكنة بعض الشيء ، ففي سبتمبر ١٩٧٤، تفجرت مظاهرات في كوسفو أعتقل خلالها الكثير من الوطنيين أكثرهم طلاب في جامعة برشتينا وأعلنت السلطات اليوغسلافية أنها أكتشفت مؤامرة " فيها أصابع لبعض جيراننا وأنها مناصرة للكومينفورم " (مكتب الاحزاب

الشيوعية في موسكو) " . و أصدرت في ١٩٧٦م أحكام في برشتينا على تسعة عشر البانيا من بينهم الكاتب آدم دماجى تراوحت بين ٤و١٥ سنة، وكانت التهمة الموجة اليهم هي تأسيس حركة للتحرير الوطني في كوسفو، وان المؤامرة خطط لها من قبل اتحاد الشباب اليوغسلافي الالباني المقيم في البانيا ، ومع ذلك فأن البانيا أتبعت سياسة الاعتدال حيال بلغراد التي كانت قد اعتدلت نسبيا في معاملتها للأقلية الالبانية في كوسفو ، وفي اطار هذا الاعتدال لم تعلق لا على الاحكام الصادرة على آدم ورفاقه ولا على اقحام اسم البانيا في التهمة ، واتبعت سياسة يمكن أن تسمى بسياسة الابتعاد عن كل مايعرض العلاقات الالبانية اليوغسلافية للخطر ، واستمر هذا الاعتدال في السياسة حتى عندما سحقت يوغسلافيا الحركات الوطنية الالبانية في كوسفو بعد وفاة تيتو ، وان كانت هناك بعض ردود الفعل لبعض تصرفات يوغسلافيا فإنها كانت تأتي دائما مغلفة في عبارة مهذبة ليست معتادة في اساليب الاعلام الالباني . ممثلا في مجلة تلي الالبانية على مقال في مجلة نين اليوغسلافية في حديثها عن كوسفو فهي وان ادانت بحدة الحالة الاقتصادية المتردية في كوسفو والمناطق الأخرى التي يسكنها الالبانيون إلا أنها نسبت هذا التأخر الى عواقب التمييز العنصري والسياسة الاستعمارية التي كانت سائدة في تلك المناطق ، وفي أبريل ١٩٧٩م وقعت الجارتان اتفاقا يتم بموجبه ربط مدينة شكودرا الالبانية بمدينة تيتوغراد اليوغسلافية بخط حديدي . واما العلاقات التجارية التي بدأت بما قيمته ١١,٩ مليون دولار سنة ١٩٧٢ فقد ارتفعت في سنة ١٩٧٩م الى ٦٠ مليون دولار وكادت تتضاعف في سنة ١٩٨٠م حيث وصلت الى ١١٥ مليون دولار بلغت قيمتها سنة ١٩٨١م ١٣٤ مليون دولار وان كانت قد انخفضت قليلا سنة ١٩٨٢م اذ تراجعت الى ١٣٠ مليون دولار وهذه الأرقام موثقة في تقرير وزارة الخارجية اليوغسلافية عن التجارة الخارجية . ومستخرجة من مكتب

البحوث ونشرة الخارجية الأمريكية عن تجارة الدول الأوربية الخارجية وعن حلف الناتو . ونشرات وكالة الأنباء اليوغسلافية تانيوغ . وعقب تبادل الزيارات بين وزيري التجارة الخارجية الالباني واليوغسلافي قدر الخبراء ان حجم التجارة بين البلدين بما يساوي ٧٢٠ مليون دولار وبهذا تكون يوغسلافيا هي أكبر شريك تجاري لألبانيا، وهذا النمو التجاري بين البلدين ازدهر عقب القطيعة الكاملة بين بكين وتيرانا ، ورغم الاضرابات التي تفجرت في كوسفو في ربيع ١٩٨١م فقد استمر توقف الهجوم الكلامي الالباني ضد يوغسلافيا وارتفع مستوى حسن العلاقات بينهما الى أعلى قمة لها منذ ١٩٤٨م وعقب اشتداد المرض على تيتو ودخول الجيوش الروسية افغانستان عرضت البانيا على يوغسلافيا علنا مساندتها عند حدوث أي اعتداء خارجي عليها . وقد نشرت جريدة الحزب مقالا أوضحت فيه أنه :" بالرغم من الخلافات العقدية التي لايمكن تسويتها بين تيرانا وبلغراد ." فإن كل انسان يجب ان يقتنع بأنه اذا كان الأمر سيرتفع الى درجة الدفاع عن الحرية وعن الاستقلال ضد المعتدين الامبرياليين مهما كانت جنسيتهم ، فإن البانيا ويوغسلافيا ستحاربان جنبا الى جنب ضد عدوهما المشترك كما حاربتا في الماضي ."

والالبانيون في يوغسلافيا يمثلون أكثر من نصف عدد الالبانيين في ألبانيا نفسها ، ويشكلون أكبر مجموعة عرقية منفردة في العالم لاتحكم نفسها رغم وجودها في بلد مستقل ، وقد دفع الخوف من التفجر السكاني بين الالبانيين في يوغسلافيا الى اضطهادهم لقسرهم على الهجرة بنفس الكيفية التي تطبقها اسرائيل في الضفة الغربية ، وتطبقها جنوب افريقيا في الترانسفال وغيرها من المقاطعات وتطبقها أيضاً الفلبين في أرخبيل مندناو .

ويبقى الالبانيون هم أفقر الاعراق اليوغسلافية وأكثرها تعرضاً للإضطهاد . واشدها حرمانا من الحقوق الانسانية ، فإقليم كوسفو هو أشد اقاليم يوغسلافيا تأخراً تشده الى الخلف مشكلات اجتماعية وسياسية يصعب حلها ، واقتصادها في وضع مرعب ، وقد شاركت الأزمة الاقتصادية (١) اليوغسلافية في تعقيد المشكلات في كوسفو، وفي توسيع الفجوة بين الالبانيين وغيرهم من الاعراق ، فازداد الالبانيون فقراً بقدر مازداد غيرهم من اليوغسلافيين غنى، حتى وصل الدخل السنوي للفرد في كوسفو الى ما دون ثلث متوسط دخل الفرد في الاعراق الأخرى ، فبينما كان الدخل السنوي للفرد في يوغسلافيا سنة ١٩٧٩ هو ٢٦٣٥ دولارا وهو في سلوفينيا قد بلغ ٥٣١٥ دولاراً نجده في كوسفو لم يجاوز ٧٩٥ دولاراً ، وقد بلغ الأجر الشهري للعامل في كوسفو ١٨٠ دولاراً و نجد أن متوسط الدخل الشهري للعامل العادي في بقية انحاء يوغسلافيا يصل الى ٢٣٥ دولاراً ويرتفع نفس الاجر الشهري للعامل العادي في سلوفينيا الى ٢٨٠ دولاراً . أما الانتاج في كوسفو فقد وصل الى ٣٠٪ من متوسط مجموع انتاج يوغسلافيا ، وتقول الاحصائيات الرسمية الصادرة في يونيو سنة ١٩٨١ ان في كوسفو ٧٢ ألف عامل عاطل عن العمل ، بينما تقول نشرات صادرة عن بلغراد ان العدد الحقيقي للمتعطلين في ذلك الاقليم قد يصل الى ٢٠٠ ألف وهذا دليل قاطع على أن أكثر المتضررين من البطالة بخاصة ، وتأثرا بالأزمة الاقتصادية اليوغسلافية بعامة هم البانيوكوسفو ، وسنأتي على التفاصيل في فصل لاحق عند الحديث عن الاحصاء الذي أجري سنة ١٩٨١ وفق تقارير بلغراد . وعلى الرغم من أن ١٥٪ فقط من سكان اقليم كوسفو يتحدرون من أصول صربية ومن مواطني الجبل الأسود، فإن الـ ٨٥٪ الباقية

(١) ديون يوغسلافيا البالغة ٢٤ بليون دولار تجعل دين كل فرد في يوغسلافيا أعلى من دين أي فرد آخر في أي دولة في العالم ، فهو يفوق دين الفرد المكسيكي (المؤلف) .

ينحدرون من عرق الباني صرف إلا أن نسب البطالة بين المجموعتين لاتحتفظ بنسب مشابهة لتلك النسب العددية، فمجموع العاطلين من الالبانين يبلغ ٦٤،٩٪ من مجموع الكوسفيين الالبانيين ولاتجاوز نسبة العاطلين بين الصربيين ومواطني الجبل الأسود ٢٩،٨٪ ، أي أن العاطلين بين الالبانيين قارب ثلثي السكان بينما لم تبلغ نسبة العاطلين بين الصربيين ومواطني الجبل الأسود حتى ثلاثة أعشارهم .

أما الأزمة الاقتصادية المزمنة في اقليم كوسفو ، فأسبابها الجذرية تعود إلى تخلفها الشديد في ماضي تاريخها وإلى الاهمال الشديد وسوء الادارة من قبل السلطات المركزية والى الاجحاف اللاحق بها عند توظيف الأموال الاتحادية في المشروعات ، فمنذ أوائل السبعينات ركزت يوغسلافيا مشروعاتها الاقتصادية في المناطق التي تتوفر فيها الخبرات وبذلك تدني توظيف الأموال في كوسفو ، لأنه انصب أصلاً في الصناعات التحويلية ، وهي صناعات تجمعت في الجمهوريات الشمالية كما تبين عند الحديث على التفاوت الشديد في دخول الاعراق اليوغسلافية ، بينما كوسفو الغنية نسبيا بالكثير من المعادن، استعملت كمصدر لخامات المواد الأولية التي تنقل لتصنع في الشمال ، مع أن هذه المواد التي تستخدم في أراضي كوسفو تمثل جانبا مهما في هيكل الصناعة اليوغسلافية ، اذ أن في كوسفو مايزيد عن ٢٠٪ من مخزون الفحم الحجري في يوغسلافيا كلها ، ومايزيد عن ٦٠٪ من احتياطي معدني الرصاص والزنك ، ومايزيد عن ٢٠ مليون طن من خام حديد النيكل (١) و٥,١٠مليون طن من مخزون اللينييتي (نوع من الفحم الحجري) تمثل حوالي ثلث مجموع ماتملكه يوغسلافيا من مصدر القوة الحرارية . ولم يحاول الصربيون كسب قلوب الكوسفويين ، بتعويضهم عما

(1)East European Quarterly N° 4 January 1983

يستنزفونه من أراضيهم من مواد أولية ضرورية جداً لتشغيل مصانعهم ، بل أجبروهم على دفع قيمة كل مايشترونه من منتجات الشمال بأسعار عالية رغم أنهم يشترون المواد الأولية من المناجم الكوسفية بأسعار متدنية جداً .

وعندما وظفت الحكومة الاتحادية خلال السبعينات مبالغ طائلة في كوسفو ركزت استثمارها في صناعة استخراج المعادن من الأرض ويرى الباحث الدكتور حفظي اسلامي أن سياسة توظيف الأموال هذه تشير الى ان سياسة الحكومة الاتحادية قائمة على أساس حاجات يوغسلافيا في إطارها العام الهادفة الى تطوير صناعاتها دون أن تلقى بالاً إلى حاجات كوسفو، وبذلك فإن المستفيد الأول من هذه السياسة الصناعية لم يكونوا هم الكوسفيون بالتأكيد ، بل المستفيد الحقيقي كان هو الجمهوريات الشمالية الغنية التي سخرت الكوسفيين عن طريق حاجتهم الشديدة الى «لقمة العيش» في القيام بأشق الأعمال مقابل أحط الأجور ، وتتضاعف خسارة الكوسفيين عندما يشترون مواد انتجت في الشمال من خامات تعبوا هم في استخراجها من أراضيهم مقابل أدنى الأجور وأرخص الأسعار . وهل هذا يختلف عما يفعله المستعمرون في مستعمراتهم ؟ ان الصربيين يتجاهلون رغائب الكوسوفيين المتطلعة الى ان تنشئ الحكومة الاتحادية في كوسفو مجمعات صناعية تصنع الخامات المستخرجة من باطن أرض كوسفو بأيدي أبناء كوسفو ، ويأملون في أن تصنع تلك الخامات يوماً ما في مصانع اقيمت على وجه أرض كوسفو لتخلق مواطن عمل لعدد كبير من أبناء كوسفو العاطلين، فيسدون حاجاتهم من إنتاجها ويبيعون الباقي لمن يشاءون بالثمن الذي يستنسبون ، ويتعملون ويتدربون ويكتسبون الخبرات التي ترفع من دخولهم لتتساوى مع دخول غيرهم من أبناء يوغسلافيا، فهم يشعرون بأنهم سلالة متميزة تشعر بوجودها شعوراً عميقاً بنفس العمق

الذي تشعر فيه بما تلزم به من كبت واضطهاد ، كما يشعرون بضيق وعدم رضا عن وضعهم المبني ظلما على تمييز عنصري ، ركائزه الحد من وصول الكوسفيين الى الوظائف ذات السلطان الحقيقي، وهم يؤمنون بأنهم مبعدون عن بؤرة السلطة ومبعدون عن فرص شغل الوظائف المهمة، وعن التحرك الاجتماعي والسياسي الذي يتناسب وحجم ومكانة الكوسفيين الحقيقيين . واستهدفنا من الإفاضة في الحديث عن الاجواء النفسية والعاطفية والاقتصادية والسياسية لمجتمع العرق الالباني الكوسفوي التي سبقت احداث ربيع ١٩٨١ لتوضح الأسباب التي أدت الى ازهاق أرواح كثيرة بين الالبانيين رغم التشريد والقتل فلم تخب نار الثورة إلا لتعود أشد اشتعالا ، وستستمر مشتعلة إلى ان يثوب اليوغسلافيون الى رشدهم، فيمكنوا الالبانيين من حقوقهم المشروعة، ونأمل أن يعتبر الصربيون بأحداث الربيع الأحمر سنة ١٩٨١ وهي أحداث تعود جذورها الى ماينيف عن ربع قرن مضى ، بل لعلها تعود الى سنة ١٩١٩ وهي السنة التي بترت فيها كوسفو عن الوطن الأم وألحقت بيوغسلافيا.

كوسفو هل هي عظم يتصارعون عليه أم جسر عبور الى ماوراءه من الأراضي ؟

لقد صارت كوسفو شوكة دائمة تنخر العلاقات بين تيرانا وبلغراد ، وكانت العامود الفقري في نزاعها في الخمسينات والستينات ، عندما اشتد صراعهما العقدي وإن اقتصر نزاعها على سلاح الأقوال دون الأفعال، كما أن التبادل التجاري لم يتأثر كثيرا كما مر ذكره فيما سبق من صفحات.

ولكن بريشتينا – عاصمة كوسفو – لعبت في السبعينات دورا بناء في تطوير علاقات ودية بين البلدين ، فأظهرت تيرانا اعتدالا تجاه التطور الاقتصادي والتعليمي في كوسفو ، كما بدا أنها قد كفت عن تحريض الكوسفيين على الثورة على وضعهم الدستوري غير المرضي ، وعلق أحد قدماء المراقبين لسياسة البانيا على سلوكها السياسي في تلك الفترة بقوله : لقد كان سلوك البانيا الودي حيال يوغسلافيا مثاليا خلال أوقات حرجة كثيرة مرت بها يوغسلافيا ورغم ذلك فإن اضطرابات كوسفو في ربيع ١٩٨١م ونتائج تلك الاظطرابات كانت "عظما"تتصارع الفئتان على تأثيره الفعال" في مقدرات البانيا ويوغسلافيا صراعا ضارا بالجانبين، فهو صراع يعكس تاريخا طويلا من النزاع العرقي بين الالبانيين والصربيين استغرق قرونا . وكان ذلك الصراع على أشده بينهما عند الغزو العثماني وكانت البانيا آنذاك جزءا من صربيا ، وتقول بعض الروايات التاريخية أن الالبانيين إنحازوا للجيش العثماني الغازي في أثناء المعركة الحاسمة التي جرت بين الصربيين والعثمانيين في سهل كوسفو سنة ١٣٨٩م وانتهت بفوز العثمانيين

وهزيمة الصربيين هزيمة ساحقة (١) ، ويعلل الصربيون هزيمتهم الشنعاء تلك، بخيانة الالبانيين لهم . وقد تكون هذه الرواية غير دقيقة إلا أن ماتعلمناه من التاريخ هو ان الأقليات ترحب بالغازي علها تجد في كنفه راحة تفتقدها في ظل الاعراق التي تعايشها في بلدها .

وتقول التقارير التحليلية لتعداد ابريل ١٩٨١م أنه كان هناك ١،٧٠٠,٠٠٠(٢) ألباني في يوغسلافيا . منهم ١,٢٢٧٤٢٤ يعيشون في كوسفو ، و٣٧٧٠٠٠ يعيشون في مقدونيا ، و١٢٤٣٢ يعيشون في صربيا . و٣٧٧٣٥ يعيشون في الجبل الأسود ونسب الانتاج البشري بينهم مرتفعة جدا ، فاذا استمر هذا المنسوب الذي يجاوز ٣,٥٪ سنويا فسيفوق عدد الالبانيين عدد سكان الجبل الأسود قبل نهاية هذا القرن ، وسيحدث نفس الشيء بالنسبة لمقدونيا ، ولسلافيي الجنوب ، ويتوقع أن يصل عدد المسلمين الى مليوني نسمة في نهاية هذا العقد ، علماً بأن كوسفو ليست جمهورية بل ولاحتى اقليم يتمتع بالحكم الذاتي الكامل ، فاذا مامنحوا حق تكوين جمهورية مستقلة فستكون هذه الجمهورية مركز جذب يتمحور حوله جميع الالبانيين القاطنين في يوغسلافيا ، وقد يتكتل معهم بقية مسلمى يوغسلافيا فيكونون قوة ضغط ، تعجز حكومة الاتحاد عن رفض مطالبهم ومقاومة ضغطهم . وأسباب معارضة الصربيين هي اعتقادهم بأن الاستجابة لمطلب الكوسفيين بإنشاء جمهورية خاصة بهم ولوضمن اتحاد الجمهوريات اليوغسلافية يحمل في طياته نهاية ذلك الاتحاد أو سيشجع سلالات أخرى على المطالبة المماثلة كولاية فويفودينا وهي جزء من جمهورية صربيا الان، ولكن مراجلها تغلى انتظاراً للحظة المناسبة ، فما ان تستقل كوسفو حتى

(١) أشهر المعارك التي دارت على أرض كوسفو انتصر فيها الترك على الصربيين في ١٥-٦-١٣٨٩م

(٢) East European Quarterly N°4 January 1983

تشرع فويفودية في ترسم خطاها . وبما أن الصربيين يعتقدون ان مطالبة الباني كوسفو بالجمهورية ان هي إلا خطوة اولى في مخطط العودة للاندماج في البانيا العظمى، " فان بقية الاعراق الخامدة الآن ستنفجر انفجارا يقضي على الاتحاد الحالي وتتلاشى يوغسلافيا وتذهب أراضيها وشعوبها بددا . فالخوف من تفوق الالبانيين على الصربيين وتفوق المسلمين عدديا على المسيحيين، كما حدث في لبنان، والحبشة وانتقال عدوى المطالبة بالحكم الذاتي فالاستقلال هي الدوافع الحقيقية وراء مقاومة الصربيين لتلبية مطالب الكوسوفيين وهذا هو الدافع الحقيقي وراء مقاومة الصربيين للقومية الالبانية مهما كان الثوب السياسي الذي ترتديه ، اما مصدر رعبهم الدائم فهو الانفجار السكاني بين الالبانيين الذي لوترك وشأنه لاصبح غير الالبانيين اقلية في كل من جمهورية الجبل الأسود والصرب .

النتائج الخطرة للسياسات الاجتماعية والأقتصادية والثقافية الخاطئة التي يطبقها الاتحاد اليوغسلافي في ولاية كوسفو .

في سبتمبر سنة ١٩٥٨م نشرت صحيفة " ويزى بوبوليت" مقالاً أوضحت فيه أن ٣٦,٠٠٠ الباني كوسفي اعدموا في الفترة مابين ١٩٤٥ - ١٩٤٨م . أما حملة تطهير سنة ١٩٦٦ التي قام بها " الاكسندر رانكو فيتش" نائب الرئيس تيتو رئيس الشرطة السرية اليوغسلافية فقد اضطرت السلطات اليوغسلافية الى الاعتراف علنا " بوحشية اجراءات التحقيق التي طبقت على الالبانيين " وكتب أحد الدارسين الكوسوفيين البارزين يصف الاضطهاد الواقع على الالبانيين في الحقل الثقافي فقال : " ... المصرون على الإبقاء على الثقافة القومية الالبانية اعتبروا قوة قومية منحرفة من قبل السلطات اليوغسلافية التي تعتبر التقاليد الدينية نوعا من المحرمات ، كما أن التحدث عن التقاليد الأدبية الالبانية هو مبعث لأحتقار سياسي ، والاصرار على الوحدة واستمرار الثقافة الوطنية هما ذنب غير قابل للغفران .

وفي أكتوبر سنة ١٩٧٩ . زار تيتو كوسفو وألقى عدة خطب هاجم فيها بشدة " القوميين" وأصحاب الحنين الى الوطن الأم من الالبانيين ، كما هاجم رجال الدين المحليين لتسببهم في قيام الإضطرابات في مناطقهم دون أن يبذلوا جهداً في اقناع اتباعهم بالخلود الى السكنية ، وقام فضيل خوجة صنيعة تيتو ، ممثل كوسفو في مجلس رئاسة الاتحاد اليوغسلافي بشجب " المقامر" القصير النظر أنور خوجه" لتعريضه سلامة الشعوب البلقانية للخطر ، عندما شجع تنامي الشعور بالقومية . وعقب اضطرابات سنة ١٩٨١، عقد اجتماع لوكلاء النيابة الصربية تقرر خلاله تبني وسائل بالغة العنف لإعادة الأمن في كوسفوا الى نصابه . كما قرروا الكف عن نشر أخبار مايجري في كوسفو مما وسع المجال أمام الشائعات المغرضة . كما زاد في التهاب العواطف الوطنية صلف الصربيين الذي اعماهم عن رؤية علامات تنذر بعواصف تتجمع سحبها في سماء يوغسلافيا ولن تبددها هراوات الشرطة ولامدافع الجيش وصواريخه ولا السجون ولا المعتقلات .

ومن حين لأخر حدثت احتكاكات بين الصربيين المسيطرين وبين الالبانيين الذين يجترون مرارة الظلم في صمت في انتظار اليوم الذي سيزلزل الظلم والظالم وستكون ضحاياه عديدة بمقدار تضحيات الالبانيين لأن عسف السلطة الاتحادية الخانعة أمام النفوذ الصربي سيدفع الالبانيين الى العمل على الانفصال عن يوغسلافيا والى طلب الوحدة مع البانيا .

وبما أن البانيا تعتبر كوسفو مهد القومية الالبانية لأن حركة القومية الالبانية نشأت فيها في أواخر القرن التاسع عشر ، وازدهرت في أوائل القرن العشرين ، وكانت مركزة في اقليم كوسفو وخاصة بعد أن تكونت الرابطة الالبانية في مدينة " بريزرن BRIZREN " سنة ١٨٧٨, وجدت

لنفسها هدفا وحيدا هو تحرير (١) البانيا وتوحيدها ، وهكذا فإن الصراع الحاد الذي أدى الى استقلال البانيا سنة ١٩١٢ . كان قد الهبه الالبانييون الكوسفيون بقيادة رموز الوطنية الالبانية في ذلك الوقت من أمثال عيسى بوتيليني وحسين بريشتنا ، وبيرم كرى . وخشى كل من يعنيه أمن يوغسلافيا وسلامة أراضيها ان يتكرر فيها ماحدث لتشكوسلوفاكيا عقب ظهور ميل من رئيس وزرائها " دوبشيك" إلى التملص قليلا من قبضة روسيا الخانقة ،فقابلت روسيا محاولته بالزحف على تشيكوسلوفاكيا واحتلالها سنة ١٩٦٧ . وعزلت دوبشيك وتولى مكانه رئيس وزراء موضع ثقة الشيوعيون .

ورأت البانيا ان خلافاتها مع يوغسلافيا هي خلافات محلية لن ترتفع خطورتها على البانيا الى مستوى خطر احتلال يوغسلافيا من قبل الروس ، فقاموا بتحذير المسؤلين اليوغسلافيين من نتائج طرق معالجتهم لشكاوي الأقلية الالبانية في كوسفو وإن عليهم أن يكبحوا جماح المتطرفين الصربيين، غير أن يوغسلافيا لم تول أحداث كوسفو ما تستحقه من اهتمام ، وربما لم تولها أي اهتمام على الاطلاق، لا للاحداث نفسها ولا لتأثير تلك الأحداث على علاقتها مع البانيا ،ولامع غيرها، وكان من الواضح لدى الالبانيين الكوسفيين أن إخوتهم في الوطن الأم يتألمون في صمت من أجل صالح الوطن الأم مضحين بمصالحهم هم وبمشاعرهم القومية وطموحهم السياسي على الرغم من أن سوء معاملة الصربيين لهم جاوزت القدر الذي يمكن أن يحتمل ،فلما استأنفوا التململ في صبر ، ثم التذمر في خفاء : أشعرت تيرانا بلغراد في لباقة غير معتادة بما يحتدم في أحناء صدور البانيي كوسفو ، كما كان واضحا أيضا أن بلغراد لم تكن على علم بحقيقة الغليان الذى يفور فى صدورهم ، أو انها تعلم ، ولكن الاستهانة بالكوسفيين من

(١) ENCYCLOPEDIA BRITANNICA VOL. XV P.821

جانب، والرغبة في تجنب غضب الصربيين من جانب آخر اعمياها عن رؤية مايتفاعل في كوسفو، فلم تحس بسريان عدم الرضا بينهم الذي سرعان ماتحول الى غضب عارم طمس القليل مما تبقى من ثقة بين السلالة الاليانية ومن رغبة في تعايش مع السلالات اليوغسلافية الأخرى وهو أمر فاجأت حدته الحكومة اليوغسلافية مفاجأة تامة . ولقد صبرت السلطات الالبانية على مضض ، على اليوغسلافيين علهم ينتبهون للخطر المحدق بجنوب بلادهم ، ولكنهم ضلوا في غيهم يعمهون ، ومن الطبيعي ان لكل شيء حدا حتى صبر الحكومة الالبانية ، التي لم يكن الصبر من شيمتها . فقد نشرت الجرائد الالبانية أول خبر عن مظاهرات بريشتينا في ٣ أبريل سنة ١٩٨١، ثم توالت الأنباء على اسماع الالبانيين من مختلف وسائل الاعلام الالباني ، وحقيقة الامر ان الاضطرابات بدأت في ١١ مارس سنة ١٩٨١ . وكانت اسوأ اضطرابات في تاريخ كوسفو منذ سنة ,١٩٤٥ أي منذ بعيد الحرب العالمية الثانية ، وكانت شرارتها الأولى صداما بين الشرطة ومركز الطلبة في جامعة كوسفو عندما تذمر الطلبة بسبب المستوى المتدني للمعيشة في المركز بالجامعة ، وقد جوبه تذمر الطلبة بصرامة ، وتعال من جانب الشرطة لم يخل من استفزاز ، ودفعت الأحداث قيادة الحزب في الاقليم الى مناقشة القضية ، وقد أوضح " محمود بكالي " رئيس فرع الحزب . وكبار الموظفين في حكومة الولاية ان أسباب التذمر هي في جذورها أسباب اقتصادية ، اجتماعية أدّت الى اضطرابات أكتست ثوبا سياسيا ، وتوالت الاضطرابات في ٢٥ مارس سنة ١٩٨١ فقامت مظاهرة في بريزرن اعقبها في اليوم الثاني مظاهرة كبيرة في برشتينا سار فيها أكثر من عشرة آلاف طالب انضم اليهم عدد غفير من العمال تحولت بفضل مشاركتهم الى مظاهرة قومية، سرعان ما أنضم اليها مجموعة من الموظفين من جميع الفئات، وارتفع الهتاف بالمطالبة بجمهورية كوسفوية . ولضخامة المظاهرة وقلة عدد

الشرطة أحجم المسؤولون عن اعتراض سبيلها ، وأدّى ذلك الاحجام الى نتيجتين كان لهما اسوأ الأثر على العلاقات بين رجال السلطة في العاصمة وبين جمهور المتظاهرين ، الأول " ان السلطات شعرت بقوة غضب الجماهير وهو غضب ظنت أنه سيدفع تلك الجماهير لإرتكاب أخطاء تكفي لإعطاء السلطة العذر فيما تتخذه ضد المتظاهرين من اجراءات قاسية ، الثاني : ان التفسير الجماهيري لهذا الاحجام هو ان حجم المظاهرة قد أخاف السلطة ، فقرر زعماء الطلبة وزعماء العمال ان يتجمعوا دائما في مظاهرة واحدة كبيرة يشجع حجمها جميع المواطنين على الانضمام اليها على اعتبار ان السلطة لن تجازف بالاصطدام باعداد هائلة من الشعب ، وفي ٣١ مارس ، قامت مظاهرة كبرى في مدينة اوبليك تجمع فيها الطلبة وعمال البناء وغيرهم من فئات الشعب ، وهي أول مظاهرة رتبت وفق استراتيجية التظاهر في اعداد كبيرة متجمعة باعتبارها حصيلة تجرية ٢٥ مارس في بريشتنا ثم توالت المظاهرات الكبيرة وفق النمط الجديد للمظاهرات ، غير ان السلطة – حماية لهيبتها – اضطرت للإصطدام بالمتظاهرين وسقطت مئات كثيرة من الجرحى ، وغداة ذلك اليوم قامت مظاهرات عظمى في بريشتنا وأخرى في بودوجيفي وانتشرت المظاهرات في نفس اليوم في مدن كوسفو ، أكبرهن في العاصمة بريشتينا وقامت محاولات في مدن ثانوية لكنها قمعت بسرعة . ورغم ذلك عم التظاهر جميع مناطق الاقليم يبتدئها الطلبة فينضم اليهم العمال وجميع فئات المواطنين ،غير أن المزارعين انضموا لأول مرة الى تلك المظاهرات وكانت علامة بارزة ، حيث أنه لاطبيعة عملهم ولامكانه يمكنانهم من المشاركة في المظاهرات التي تقوم عادة في المدن وهم يقيمون ويعملون في الريف ، وقد زادت مشاركة المزارعين في المظاهرات في قلق المسؤلين،كما زادت في قسوتهم . وكان المتظاهرون يطالبون بتحسين اقتصاد كوسفو واحوالها العامة، ويطالبون بحرية الصحافة، ويشددون على مساواتهم في كل شيء

بالمواطنين الآخرين من السلالات الأخرى الذين يعايشونهم في يوغسلافيا ، كما يطالبون بالافراج فوراً عن المعتقدين السياسيين، غير أن أهم مطالبهم كان هو تحقيق رغبتهم في تحويل الاقليم الى جمهورية ضمن الاتحاد اليوغسلافي ، وان كان بعض المتظاهرين قد طالبوا بالإنضمام الي البانيا ، وكانت بلغراد قد اقترحت - قبل تفجر المظاهرات - في ٢٥ - ٢٦ مارس الاستعانة بقوات من خارج الاقليم وقد رفض كبار مسؤولي كوسفو الاقتراح . وما أن تفجرت المظاهرات بالاحجام التي وصفناها حتى سارعت بلغراد الى وضع بريشتنا تحت إدارتها مباشرة بعد ان اعلنت حالة الطواري في الاقليم ، وحظرت التجمعات العامة وفرضت منع التجول واحضرت دبابات وسيارات مصفحة للقضاء على انتفاضة محتملة ، واقفلت جامعة كوسفو ، وصرح المسؤولون بأنه قد نتج عن الاضطرابات وفاة تسعة اشخاص ، اما الجرحى فقد بلغوا ٢٥٧ . ونشرت وسائل الاعلام الغربية ارقاما اعلى للجرحى والموتى ولعل الخسائر الملموسة في الأرواح والجرحى الذين ضاقت بهم مستشفيات بريشتنا هو ما دفع سلطات الأمن الى تبني سياسة الشدة في المعاملة ، برزت في شكل ارهابي عند الاعتقال والتحقيق والتفتيش والتعذيب ، وقامت تلك السلطات بحملة واسعة ضد الكوسفيين تمثلت في مهاجمة وسائل الاعلام لتاريخهم وثقافتهم وتراثهم كما اطلق العنان للصربيين والمقدونيين ومواطني الجبل الأسود للتشفي لمشاعرهم القومية من القومية الألبانية ، وقد وصف صحافي غربي آثار كل ذلك بقوله " منذ نهاية الحرب العالمية الثانية لم يحدث قط مثل هذا الإيغال في معاداة العنصر الالباني ." ثم قام المسؤولون بحملة تطهير تمثلت في إحلال قادة مختارين محل جميع قادة كوسفو رغم ماسبق أن قدمه المعزولون من خدمات ،وكذلك العديد من الموظفين من مختلف المستويات ، استوى في ذلك سائقو السيارات وعمال الهواتف ومديرو الإدارات وصغار الموظفين ، فكل من كان

صادق الولاء استبدل بمن كان ولاؤه موضع شك ، وترتب على هذا الاجراء ان اعتقل آلاف الاشخاص ، وقد حكم على ألف شخص منهم حكما جماعيا ، كما حكم على أكثر من ٤٠٠ شخص بأحكام بالسجن اقلها سنة واحدة وأكثرها خمس عشرة سنة في محاكمات جرت سراً ، ولم يتسرب عنها شيء ، ولم يسمح لمراسلي وكالات الأنباء أو الصحافيين الوطنيين أو الاجانب بحضور المحاكمات ، وكل ماعرف عنها كان ما إذاعته وكالة تانيوج ، أو القليل الذي أسرَّ به بعض المحامين الى اصدقائهم ، مع أنهم محامون مكلفون من المحكمة بالدفاع عن المتهمين ، ومن بين المدانين "ثابت الرستمي " أحد كبار الأدباء المعروفين ، ومنهم رئيس تحرير مجلة " فياله " الأدبية " سبع الدين الخالدي " ، وسبب الحكم على الكاتب الرستمي أنه كتب قصة قصيرة نشرها في أول أبريل سنة ١٩٨١ وقد حكم عليه بالسجن أربع سنوات ، أما رئيس التحرير الخالدي ، قد حكم عليه بالسجن ثلاث سنوات ، لأنه سمح بنشر القصة كما صودرت المجلة وسحب ترخيصها .

وقد سببت المحاكمات وما اصدرته من أحكام ازدراء عاما ، وحولت النظام القضائي في يوغسلافيا الى نظام تهريج ، وتتلخص التهمة في ان مجلة فياله نشرت قصة قصيرة اسمها " تحت قناع الصيف" لكاتب مشهور محبوب ، واحداث القصة تدور حول صمود الالبانيين للغزاة الأجانب خلال الحرب ، فأدين الكاتب لأن القصة قدمت دون حق شرعي ، مجموعة من الجزئيات التي يمكن ان توحي بتصورات عن الاحداث الجارية في كوسفو . واستأنف محامو المجلة الحكم ، وكان دفعهم ان القصة قدمت للنشر في فيالة في اوائل سنة ١٩٨١ . بعد ان سبق نشرها في مجموعة أعمال أدبية ، ولم تشر القصة الى مكان الأحداث أو سنة حدوثها ، وليس لها أي علاقة بالأحداث التي جرت في مارس وابريل ، لكن المحكمة العليا في كوسفو

رفضت الاستئناف بحجة ان قصة الرستمي تحمل في طياتها صورا لاحداث غير واقعية وقمينة بتهديد الأمن العام ، أو بإستفزاز العامة . وقد شهر الكاتب اليوغسلافي " ميلورادفوشيليس بمحاكمة الرستمي والخالدي وقال : ليس هناك في القصة من سر ، فكيف يمكن لقصة نشرت قبل تفجر احداث ربيع سنة ١٩٨١ . أن تشير الى تلك الأحداث بالذات . لقد حدثت انتفاضة الالبانيين في وقت كان عدم وضوح الرؤية السياسية يسود يوغسلافيا . بسبب الحيرة وتداخل الصور التي سيطرت على القوة السياسية وبسب ضعف الزعامة الوطنية بعد وفاة تيتو . وبضغط من الصربيين تبنت الحكومة المركزية سياسة القوة البالغة . لاستعادة استتباب الأمن في كوسفو ولم يخطر ببال تلك الحكومة قط إيجاد حل سياسي للأزمة ، وقد تعرض الالبانيون المعارضون لجموح القومية الصربية التي مارست عليهم ضغطاً عسكريا بالغا، نفذ الى عظامهم، فحفزهم الى مقاومة أشد لتيقنهم من أن حالتهم لن تسوء أكثر مما ساءت ، وألهب الظلم أحاسيسهم الى درجة لم يسبق ان ارتفعت اليها من قبل منذ سنة ,١٩٤٥ وزاد في اشتعال موقفهم جلب اعداد من رجال الأمن من الجمهوريات الأخرى الى كوسفو . كما قيل ان ثلث جيش يوغسلافيا قد عسكر فيها ، فلم يخفهم كل هذا واستمرت الاضطرابات وتدنت العلاقة بين يوغسلافيا والبانيا إلى ادنى درجة، وصلتها قط وذلك عقب خطاب أنور خوجة في المؤتمر الثامن لحزب العمل الالباني في نوفمبر سنة ١٩٨١، والذي طالب فيه يوغسلافيا بان تستجيب لمطالب الكوسفين في تكوين جمهورية خاصة بهم ضمن اتحاد الجمهوريات اليوغسلافية ، والذي اعلن فيه أنه ليس لألبانيا مطالب اقليمية في اراضي يوغسلافيا .

وبمناسبة الذكرى الأولى لأحداث ١٩٨١ اتخذت السلطات اجراءات

صارمة لتفادي المظاهرات ، وقد وضعت قوات الأمن في حالة طوارئ وصفها أحد الصحافيين اليوغسلافيين بقوله ، ان اجراءات الأمن في برشتنا اعطت المدينة مظهر المدينة المحتلة ، ولكن بالرغم من كل هذا فقد قامت مظاهرات في المدينة يوم ١١ مارس سنة ١٩٨٢، ومظاهرات أخرى في فوشيترن وسوفا وريكا ويوديبف ، وفي ٢١ مارس اصطدمت قوات الأمن بالمتظاهرين في بريشتنا ، وفي أول ابريل اكتشفت الشرطة عبوّه ناسفة مثبتة في حائط بلدية فيرزاي فنقلتها بعيدا، وبعد أيام ثلاثة فرقت الشرطة مظاهرة قام بها عدة مئات في المدينة نفسها ، وفي مايو وصف وزير الداخلية الحالة في كوسفو : بأنها مازالت معقدة ، وصرح بأن السلطات قد اكتشفت ٥٥ مجموعة غير مشروعة يزيد عدد اعضائها عن سبعمائة عضو ، وهذه المجموعات ، تنتمي الى ثلاث منظمات كلها غير شرعية هي حركة التحرير الوطني لكوسفو ، ومجموعة الماركسيين اللينينيين لكوسفو ، والحزب الماركسي اللينيني الشيوعي الالباني في يوغسلافيا ، وقد اتهم وزير الداخلية البانيا بأنها تدعم كل هذه الفرق ، ولكنه لم يقدم أي دليل مادي على صحة اتهامه . وفي ١٥ يوليو حكم على ١٨ عضوا من الحزب الماركسي اللينيني لكوسفو بالسجن لمدد تتراوح بين أربع سنوات وخمس عشرة سنة بينهم ثلاثة من مدرسي المدارس والجامعة ، ومن بينهم طلبة وصحافيون ، وعدد من العمال وضابط شرطة وكانوا قد اتهموا بأنهم تآمروا على تنظيم مظاهرات سنة ١٩٨١ . أما مؤتمر رابطة الشيوعيين اليوغسلافيين . المنعقد في آخر يونيه سنة ١٩٨٢ . فقد اخفق في تحويل التوجه الخطر في التعامل مع الالبانيين ، وعجزت يوغسلافيا مرة أخرى – بسب النفوذ الصربي – عن الاستجابة لمطالب الالبانيين بإنشاء جمهورية خاصة بهم، ويظهر أنهم لم يقدروا جدية مطالب الالبانيين حق التقدير ، كمالم يعطوا المطالبين بها وزنهم الحقيقي، وأعلن السيد لازار موئيسون رئيس مجلس رئاسة رابطة

الشيوعيين اليوغسلافين : ان العلاقات بين يوغسلافيا والبانيا دخلت في السابع من مايو مرحلة خطرة ، واتهم البانيا (١) بالاسهام في إثارة الاضطرابات في بريشتنا، وأكد ان بدايتها كانت على ايدي متسللين البانيين الى يوغسلافيا ، وأعلن أن هدفهم هو تدمير النظام الدستوري في يوغسلافيا بإعلان كوسفو جمهورية البانية، وان المتآمرين يقودهم عملاء أجانب قريبون جداً من تيرانا ، واعلن مسؤلون صربيون إتهامهم سفارتي البانيا في كل من بلغراد وفيينا بتمويل نشاط المتأمرين وقد اتجه اليوغسلافيون الى لوم تيرانا على ماحدث من اضطرابات وجرحى وأموات .

ولقد اتضح ليوغسلافيا ان الاجراءات التعسفية كلها قد اخفقت في تسكين الانتفاضة واسكات المطالب وتبين ان تلك الاجراءات لاتستطيع نجدة اقتصاد كوسفو ولا إنهاضه من وهدته . واقتنعت بأن استعادة الهدوء في كوسفو أمر شاق جداً اذا لم تستجب لمطالب الكوسفيين بالمساواة بالسلالات الأخرى المكونة للشعب اليوغسلافي، وفي وجه كل هذه الحقائق ، فالمنطق والواقع يحتمان ان تتخلى بلغراد عن تصلبها وعنادها، وان تتلمس حلولا تستند الى أفضل السبل ، مغتنمة ماتبقى من وقت مازال يسمح بمفاوضات تحفظ كرامة الطرفين . فتعطي الكوسفيين جمهوريتهم التي ينشدونها في اطار الاتحاد اليوغسلافي ، وتحفظ لحكومة يوغسلافيا ماء وجهها لأن اخفاق بلغراد في اتباع نمط سياسي يستجيب لرغائب الالبانيين سيجر على البلاد متاعب هي في غنى عنها . وإذا ما بدأت فلا احد يعلم متى تنتهي، ولايعلم ماهي عواقبها، ولا أثرها على استقرار الاتحاد اليوغسلافي ، وهذا مادفع السفارة الالبانية ببلغراد الى إصدار تصريحها

KEESING CONTEMPORARY ARCHIVES . JULY 1991. P. 30951 (١)

الشهير الذي بثته بين الشعب اليوغسلافي يوم ٢٠ يناير ١٩٨٠ تعلن(١) فيه تعهد البانيا بمساندة يوغسلافيا واليونان عند تعرضهما لأي هجوم عسكري على اراضيهما بالرغم من تباين النظم السياسية التي تأخذ بها الدول الثلاث .

---

(١) وكان هذا الاعلان قد اصدر عقب ظهور علامات واضحة لكل ذي عينين أوضحها انتشار التذمر بين الالبانيين وتلاشى حرجهم المعتاد عندما يتحدثون وشيوع اليأس من تحقيق الرغائب والآمال، ولم يدرك المسؤولون ان اخطر انسان على وجه الارض هو الانسان الجائع اليائس . اذ ليس لديه مايخشى عليه الضياع وليس لديه مايأمل فيه (المؤلف) .

الفصل الرابع

الاسلام هو المخرج الوحيد من دوامة التناقضات بين الرأسمالية والشيوعية

شر الشيوعية الحمراء إن حكمت كشر حكم الرآسمالية النكد.

الماركسية أسلوب للنظر الى الاشياء، ولاشأن لها بالجانب الروحي على تفاوت في تطبيق هذا المفهوم لها من بلد شيوعي الى آخر ، فالبانيا في ظل خوجة ألغت جميع الأديان وأعلنت إلحاداً صريحاً ، وعدلت دستورها ليتضمن مادة تحرم التدين بأي دين ، بينما روسيا التي كانت تأخذ بنفس الفلسفة عدلت دستورها في عهد بريجينيف ليتضمن مادة تجيز للمواطن الروسي ممارسة العقيدة الدينية التي يؤمن بها إذا قام بواجباته القومية والوطنية على الوجه المرغوب . واعتبار الدين قضية شخصية لاتتدخل فيها الدولة ولا الحزب هو تطور جديد في التفكير الشيوعي الروسي القائم على المادية المطلقة في الماضي، وانكار الجوانب الروحية في الفرد، وعلى نبذ الدين والديان ، ويعلل " كارديل" المنظر الشيوعي اليوغسلافي أسباب التعديل بأن الفلاسفة الروس أكدت لهم التجربة الطويلة أن الانسان لا يستطيع إرغام العواطف البشرية التي لايستطيع أن يكيفها الإنسان كما يكيف المصنوعات من المصهورات ، وبالتالي فقد قرر الروس استثناء المشاعر الوجدانية من الاخضاع للمبادئ الماركسية ،وعلى رأس تلك المشاعر، المشاعر الدينية ولاعيب على الروس فيما فعلوا، إذ أن الشيوعي

الصادق هو من يبحث عن الحقيقة ، لاذلك الذي لديه فكرة يبحث لها عن دعائم ومبررات ويرفض في نفس الوقت، التأويل والمرونة ، اللذين يحتويهما الاسلام لتسهيل حياة الناس ، ولهذا نعجب من محاربة الشيوعية للاسلام بنفس القدر الذي تحاربه به الرأسمالية ، فكل الشواهد التاريخية تدل على أن الرأسماليين حاربوا الاسلام لانه يحول بينهم وبين ممارستهم لشهواتهم المدمرة للنفس والبدن ، ولرغبتهم في التسلط على الغير وسلبه ممتلكاته ، والشيوعية في البانيا وما ماثلها حاولت تدمير الاسلام بمطرقتها وحصد المسلمين بمنجلها لأنهم يرون أن الاسلام هو العتبة الكأداء في سبيل انتشار مبادئهم، وهم يرفضون الحل الاسلامي الذي يرشدهم الى الخروج من التناقضات الحادة بين الرأسمالية والشيوعية، ولوتبنوا اقتصاديات الاسلام التي تحرم الاحتكار مطلقاً وتحفز على العمل ، وتحول دون تراكم الثرو ة في أيد قليلة، وله أساليب واضحة لضمان إعادة توزيع الثروة منها نظام الإرث المغاير للنظم الغربية المأخوذة عن اليهودية التي تورث الابن الأكبر جميع مايتركه الأب، كما تجيز للأب أو لأي مورث حرمان زوجه وأولاده واقاربه ، فوصية الميت تغنى عن أي نظام ديني . ومن أهم النظم الاقتصادية الاسلامية التي تتضمن توزيع الثروة نظام الزكاة ودوره في الحؤول دون تكديس الثروة إذ أوجب الزكاة في المال ذاته بقطع النظر عن مالكه ، فكلما وجد المال وجبت الزكاة فيه ، وعلى مالكه دفعها وإن كان المالك عاجزاً عن القيام على ماله لأي سبب تعين على القيم الشرعي على ذلك المال دفع الزكاة منه إذا فالزكاة نظام دفع مال مستمر إذ قرر الاسلام ان الزكاة حق مكتسب لمستحقها ، أي أن المستحق شريك في الثروة القومية الموزعة بين الأفراد فيدفعها من وجبت عليه دون من ولاتفضل، ويتسلمها مستحقها دون مسكنة أو تذلل، وكل مسلم قادر مالياً ملزم بإخراج زكاة الفطر عن نفسه وعن كل فرد في اسرته تلزمه نفقته شرعاً ، ومن أساليب الاسلام في توزيع

الثروة نظام الكفارات العينية وهي : كفارة الحنث في اليمين ومن ضمنها الفيئ (١) من الايلاء (٢) ومقدارها إطعام عشرة مساكين غداء وعشاء أو كسوتهم ، وكفارة الظهار (٣) وقيمتها إطعام ستين مسكيناً غداءا وعشاءا أو كسوتهم ، وكفارة الفطر في رمضان عمداً وقيمتها إطعام ستين مسكيناً غداء وعشاءاً أو كسوتهم إذا عجز عن صوم الكفارة، وكفارة القتل خطأ مع العجز عن الصوم وهي ككفارة الافطار عمداً ، ومن أساليب الاسلام في إعمار بيت مال المسلمين أن يدفع إليه خمس الغنائم الحربية ، وخمس الفئ (٤) وخمس الركاز (٥) إذا أخذ دون جهد وعشره إن جهد صاحبه، ويؤول لبيت مال المسلمين مال من لاوارث له كله إن لم يوصي بشيء ، وثلثا مال الغائب في دار الحرب أو كله إن لم يوص بشئ .

نخلص من هذه المقارنة العابرة بين نظرة الاسلام الى ابن آدم، ونظرة الشيوعية اليه ،الى ان الاسلام دين واقعي تتمثل واقعيته في كونه لايأخذ بالمباراة الاقتصادية ، الى التسابق نحو الربح دون اعتبار للوسائل كما يقول " هيربيرت اسبنسر؛ .

ولايأخذ الاسلام أيضا بالانتاج التعاوني القسري الذي لايلقى بالا إلى الميول والقدرات عند الفرد ، ولايعني بالحوافز، ويتجاهل تماما غريزة الملكية المقدسة - كما تفعل الشيوعية - لان الاسلام يحترم الصفات الشخصية الطبيعية التي تميز بها الانسان عن بقية الحيوانات . واهمال هذه الجوانب

(١) الفئ : الرجوع (المؤلف)

(٢) الايلاء : أن يحلف الزوج أن لايواقع زوجته (المؤلف)

(٣) الظهار : أن يقول الرجل لزوجته " أنت على كظهر أمي "

(٤) الفئ : كل مال يغنم دون قتال .

(٥) الركاز : هو الكنز الذي يعثر عليه ويكون قد دفنه الاقدمون .

النفسية في الفرد من قبل الزعماء الذين حاولوا تطبيق النظرية الماركسية هو الذي ساقهم الى الاخفاق الذريع، الذي لاينكره الاماكبر . كما ان الرأسمالية ، وقد اطلقت العنان للربح مهما كان مصدره وللاحتكارات والربا والميسر والمراهنات خالقة بذلك تنافسا – تسميه حرا – على تحصيل الربح مغمضة جفونها عن الوسائل الملتوية التي يلجأ اليها طلاب الربح من كل مصدر . بينما الاسلام لايرى ان الخير العام يتنافى وخير نواة المجتمع التي هي الفرد، والاسرة، المعتبرة الخلية الأولى في مجتمعات : النجع والقرية والمدينة . اما نظرية الرأسمالية التي تؤدي الى ايجاد فوارق اقتصادية كبيرة بين الأفراد تزيد الغنى غنى وتزيد الفقير فقرا . وكذلك المقولة غير الواقعية التي يتمسك بها غلاة الشيوعيين القائلة: شبع مشترك أو جوع مشترك " فقد تحولت إلى هاجس مدمر لتغافل هذه المقولة عن الفروق الفردية في القدرات على العطاء بين البشر وادت الى جعل العامل المحروم من السكينة التي تضفيها العقيدة الدينية على وجدانه ، يلهث وراء حياة لاتقدم له الا الخبز الجاف المغموس في هموم القلق .

ولو أخذ النظام الاقتصادي العالمي بالنظرية الاسلامية في تحريم الربا لما طوت أزمة الديون في تلافيفها الكثير من الشعوب ، وأغرقت خمس عشرة دولة من دول العالم الثالث في بلاعة الديون العالمية البالغة الف مليون دولار ، ربحها ملك لمصارف في الولايات المتحدة يسهم فيها مرابون يهود بأموالهم أو بأموال ودائع الاخرين في المصارف التي يملكونها كما تفعل مجموعة مصارف أسرة روتشيلد في فرنسا، وبريطانيا، والمانيا، والولايات المتحدة . ومشكلة ديون هذه الدول وتلك ، ناشئة أساساً من نظام الربا، حيث عليها أن تدفع أقساط ديونها وفوائد تلك الديون ومجموعها أكثر كثيراً جداً من النمو الاقتصادي السنوي لكل دولة، إذ مامن دولة منها تربح سنويا مايغطي

فوائد د يونها فضلاً عن أن يبقى من الأرباح ماتسدد به أقساط الديون المستحقة، أما تحسين المستوى الاقتصادي لأفراد شعوب تلك الدول فالحديث عنه نوع من الهذر، ولكي تدفع فوائد الديون سنوياً عليها أن تقتطع من رؤوس أموالها مبالغ كبيرة لتسد بها الفروق بين مجموع حصيلة فوائد ديونها وحصيلة أرباحها السنوية من مختلف أوجه نشاطها الاقتصادي دون القيام حتى بمجرد التفكير في كيفية سداد الديون التي اقترضتها أصلاً والنتيجة أن تلك الدول سائرة حتماً نحو الافلاس إذ عليها أن تسدد الديون وفوائدها المركبة. ويقعد بها عن السداد العجز وتضاعف الفوائد التي تنضـم الى أصل الدين وتكون النتيجة أن تدفع فوائد عن ديون ضخمة تسلمت جزءاً منها وتركب الباقي من تجمع الفوائد التي عجزت عن سدادها . وهي د يون ماكان المرابون ليتكرموا بها لولا إغراء الفوائد المضاعفة للربا ولولا تلك الفوائد لما اقرض المرابون تلك الدول دانقاً واحدا .

وليست أرباح تلك القروض أموالاً فقط ، ولكنها أموال ونفوذ سياسي والتزام بالتصويت لصالح الدول المقرضة سواء في الهيئات الدولية الاقتصادية كالبنك الدولي أو منظمة التعاون الجمركي الدولي، لأن قبولها بالشروط المجحفة يتضمن بالضرورة الدوران في فلك الدائن . وتجربة هذه الدول المدينة أثبتت أن نظام الربا سيوصل الى تعطيل كامل للاقتصاد العالمي كله ، فعجز الدول المدينة عن الاستيراد يؤدي حتماً الى بوارمنتجات الدول المصنعة التي هي في نفس الوقت هي الدول الدائنة . وكما رأينا فإن الربا المضاعف تبرز أقوى مظاهره في ربا النقد أكثر من بروزها في ربا العروض التجارية مع أن " أدم سميث" الذي يصفونه بأنه أبو الاقتصاد الحديث يقول :" إن النقد ليس مادة التجارة ولكنه اداتها وأنه ليس دولاباً من دواليب التجارة ولكنه الزيت الذي يلين مدارها " .

ويقول "بيرلينجوير" صاحب ملايين الدولارات وأمين الحزب الشيوعي الايطالي:"إن النقود ليست هي الإقتصاد ولا هي جزء من الإقتصاد ولكنها الشحم الذي يسهل حركة إنزلاق العمليات الاقتصادية بتسهيله دوران تلك الدواليب " ولكن المرابين اليهود بخاصة وربائبهم بعامة أبوا إلا إستغلال هذا "الشحم "لاستعباد الشعوب والعبِّ من دمائها مما عقد مشاكل الدول المدينة والغى استقلالها وحرمها من حرية التصرف في ثرواتها لصالح شعوبها ، وهي مشاكل لا حل لها إلا الحل الاسلامي المنادي (بعالم بلا ربا) فإلغاء الربا من وجهة نظر إقتصادية بحته هو الرد الفعال على التحكم في الشعوب بواسطة الإقراض بالربا.

ولاعلاج لجميع أمراض إقتصاد العالم إلا بإستحداث نظام إقتصادي جديد يستهدى برأي الاسلام في تنظيم التنمية الاقتصادية التي لاترفض الربح رفضاً مطلقاً ولاتجعله الهدف الا وحد كما تفعل الرأسمالية التي لا يشبع جشعها إلا أقصى مقدار من الربح تستطيع الحصول عليه ، أي ينهج العالم سبيلا لا شرقيا ولا غربياً ، ولكن سبيلا اسلامياً يغاير الرأسمالية كما يغاير الشيوعية سلوكاً ووسيلة وغاية .

الشيوعية الاممية COMINTERN

تتبنى الشيوعية الأممية الثالثة الاحزاب الشيوعية في انحاء العالم فما هي الشيوعية العالمية الثالثة ؟

الشيوعية العالمية الثالثة أو الـ " كومنتيرن (١)" كلمة روسية تعني الشيوعية الأممية أو العالمية . وأول من اطلق هذه الكلمة هو لينيين الزعيم الشيوعي الروسي المعروف ، وكان يعتقد أن الشيوعية اذا اقتصرت على روسيا فستكون كالجزيرة الصغيرة التي تحاصرها أمواج محيطات الرأسمالية حتما ، وسيكون مصير الشيوعية إلى الاندثار، فتحصينا لشيوعية روسيا فكرلينين في برنامج الشيوعية الأممية كحاجز واقٍ بين روسيا والرأسمالية، حتى اذا حدث تآكل أو ثقوب فإنها ستحدث في هذا الحزام الواقي، وتبقى شيوعية روسيا سليمة قادرة على الانتشار مرة أخرى . وغلف كل خططه بانشاء الشيوعية الدولية أو الأممية التي تعمل بحزم واصرار على قيام مجموعة قوية من الاحزاب الشيوعية في مختلف الدول لتشكل جهازاً يكون في مجموعه ذا طابع دولي لينجد روسيا عند حدوث تصدع في السلام بين روسيا والرأسمالية على أن يكون مدعوماً من أكبر عدد من الدول الصديقة التي لا تقوم فيها أحزاب شيوعية ولكنها تلتقي مصالحها مع مصالح الدول الشيوعية في معاداتها للامبريالية و الرأسمالية وعلى أن ينظم كل هذا في زمن السلم . وهو سلم يرى لينين أنه لن يدوم الى الأبد. وهكذا انشأ لينين سنة ١٩١٩م الشيوعية الأممية الثالثة التي اتخذت موسكو مقراً لرآستها . وفي سنة ١٩٢٠م وضعت الشيوعية الأممية لنفسها برنامجاً اطلقت عليه اسم " الانضباط الحديدي " ليضبط ضبطاً دقيقاً العلاقة بين الاحزاب الشيوعية واللجنة المركزية التي خطط لها لتكون جهاز

(١) دائرة معارف كونبتون المصورة الجزء الثالث ص ٦٢ .

سلطة قويا قوة رادعة لكل من تحدثه نفسه بالتمرد على برنامج الآنضباط ، كما يتضمن البرنامج أيضا أن كل حزب يرغب في الاشتراك في الشيوعية الأممية الثالثة ليس عليه أن يرفض فقط الوطنية الاشتراكية بل وعليه أن يرفض تزييف ومراءاة السلام الاجتماعي ، وقد اعتبرت هذه الفقرة هي اخطر ما يواجه المنتسب الى الشيوعية الأممية .

وقد حل ستالين الشيوعية الأممية الثالثة سنة ١٩٤٣م وذلك في أثناء الحرب العالمية الثانية مقابل حصول روسيا على العون العسكري من الدول الرأسمالية .

وفي سنة ١٩٤٧ م عقب انتهاء الحرب مع اليابان احيا ستالين الشيوعية الأممية الثالثة تحت اسم "الكومن فورم" وهي كلمة روسية تعني مكتب الأحزاب العمالية الشيوعية وهي بدورها حلها خروتشوف سنة ١٩٥٧م ثم عقد اجتماع في موسكو في نفس السنة حضره الشيوعيون من أربع وستين دولة اعلنوا أنهم اجتمعوا لتقرير "وحدة الأهداف" .

في ذكرى يوغوسلافيا: دستور جديد



المرشال تيتو يلقي كلمة امام الاجتماع الثاني لمجلس تحرير الشعب في يوغسلافيا في ٢٩ ت ٢ العام ١٩٤٣

الفروق بين المدارس الشيوعية المختلفة

المتتبع لتصرفات أنور خوجة السياسية والاجتماعية لا يجد للكثير منها تفسيرا معقولا سوى انها ثمار لاضطرابات نفسية عميقة يعاني منها عادة المحرومون من

السكينة التي يضفيها استقرار العقيدة الدينية على صاحبها فمن مسلمات علم النفس ان "المرء المتدين لا يعاني قط مرضا نفسيا "(١) كما أن أطباء العلاج النفسي يدركون أن الايمان القوي والاستمساك بالدين كفيلان بقهر القلق والتوتر العصبي. وبأنهما يشفيان من هذين المرضين . ومع التسليم بان النتائج النفسية قائمة على التقدير . وكون كل فرد هو وحدة قائمة بذاتها . وحيث انني لم اطلع على أي تحليل نفس لوحدة بشرية خاصة باسم أنور خوجة اجريت له وفق منهج علمي دقيق ، بل أن جميع الدراسات التي اجريت عليه قامت على تحليل منطوق الفاظه وعلى تحليل قراراته الفجائية المنبثقة عن تفاعلات نفسية .

وتؤكد تلك الدراسات ان الرجل كان فاقدا للتوازن النفسي(٢) مع ميل واضح للانتقام والتلذذ بأذية الاخرين . اي أنه يعاني من أمراض البارانويا والانانية المفرطة والسادية وأقوى ادلتهم المؤيدة لهذا الرأي هو اقدامه على محاربة باطل الرأسمالية بباطل لايقل عنه خزيا وهو باطل الشيوعية ، ومن غريب التقلبات النفسية التي تعتور عقل أنور خوجة أنه ، مع تعبده في محراب كارل ماركس ثم لينين فاستالين من بعدهما . فإنه لم يفهم الشيوعية كما يفهمها مشاهير المؤمنين بها أو مشاهير اعدائها .وإنما فهمها وفق مزاجه المتقلب ، بينما هي عند لينين واستالين نظام اشتراكي يقود تدريجيا نحو الشيوعية الخالية من الطبقات . وان الاقتصاد هو المحرك للتاريخ ، فإن خوجة يتظاهر باعتناق هذا المفهوم ويدافع عنه بشراسة ، الا انه حوله الى قوالب جامدة ميتة ، وكثيرا ما قارن ساخرا بين هذا المفهوم الذي يؤمن به كما يدعي ، وبين مفهوم غيرالشيوعيين للشيوعية وهو مفهوم خلاصته : "انها نوع من الحكم وفق مبادئ معينة تقتضي انماطا من النشاط يتولاها الحزب الشيوعي ، وأول أهدافها نشر الشيوعية في العالم بأسره بكل السبل" .

(١) كارنيجي . د ع القلق .

(٢) يعتقد العلماء النفسيون الذين درسوا خوجة عن بعد من خلال تصرفات وأقواله وقسمات وجهه أنه يعاني من (البارانويا اي انفصام الشخصية) ومن (الكسينوفوبيا أي كراهية الاجانب أو رهبة الاغراب) (المؤلف) .

ومن الثابت ان من أسباب انقلاب خوجة على خروتشوف وعلى من تلاه من الزعماء هي ما أحدثه خروتشوف من تعديل في الدستور الروسي، وخاصة المادة القائلة : من كل بحسب قدرته . ولكل حسب حاجته بدلا من أن يعطي (١) بقدر ماينتج، كما هو وارد في النص المعدل . فخوجة يرى أنه ليس هناك حد أدنى لما يجب أن يقتصر عليه . وإن التحديد يجب أن يقتصر على الحد الأعلى . فلئن كان الكتاب والفنانون والمخترعون وابطال الرياضة وكبار الممثلين والفنين وكبار الراقصين والراقصات يحصلون على أعلى الأجور في روسيا الشيوعية فالروس لايجدون تعارضاً بين المبادئ الشيوعية وتفاوت الدخول ، ومايترتب على هذا التفاوت من تفاوت بيِّن بين مستويات المعيشة في شرائح الشعب الروسي ، فلعلاف الخنازير في " الكلخوز" (المزرعة الجماعية) مسكن يتناسب مع دخله قد يصل عدد غرفه الى ثلاث ، ولرئيس فرع الحزب مسكنه الذي قد يكون قصراً لأقطاعي سابق ، أو يكون مسكنا حديثا به قاعة للمائدة ، ومكتبة ، وقاعة للرياضة الأسرية ، وقد يكون به مسبح خاص ، ومن أخص لوازمه حديقة ، لن نتلكم عن مساكن قمة الهرم السلطوي في الحزب الشيوعي ولاعن سياراتها المكيفة المدرعة زجاجاً ومعدناً ضد اختراق الرصاص لأقل أعضاء قمة الهرم نفوذاً مسكن في العاصمة ومسكن في الريف بالإضافة إلى مسكنه في موطنه الأصلي ، وكلها مزودة بأحدث وسائل الاتصال السلكي واللاسلكي ، ومؤثثة على مستوى من الرفاه يعز نظيره في كثير من الدول الرأسمالية ، ولاتنشر وسائل الاعلام شيئاً عن عدد الروبلات التي يتقاضونها شهرياً ، ولكنها كثيرة قطعاً ، ولهم معاش تقاعدي محترم ، كما ان لورثتهم حقوقاً

---

(١) تأكيداً لسلطة الحزب على الفرد أصرَّ خروتشوف على نص يقول : يعطي "بدلا من لفظ يأخذ" العامل بقدر حاجته ، ويؤخذ منه بقدر استطاعته . لكن مجلس السوفييت الاعلى أقر صيغة "يأخذ العامل". (المؤلف).

مالية وميزات مادية كالإستمرار في شغل بعض من المساكن التي سبق تخصيصها لاستعمال مورثهم ، ومن المعروف ان الميزات الكبيرة هي من نصيب ورثة كبار رجال الحزب الذين شغلوا مراكز ذات خطر كأعضاء مجلس رئاسة الاتحاد السوفييتي ، والوزراء وأمراء ألوية الجيش ومن يعلونهم من أصحاب الرتب في مختلف قطاعات العسكرية من بحرية وطيران ومن في حكمهم ،ولأمناء فروع الحزب في الجمهوريات الخمس عشرة ، ولكبار رجال القضاء ورؤساء النيابة .

وروعي عند تقدير المعاش التقاعدي أن يكون موفيا بحاجة الورثة كافيا لتوفير مستوى من المعيشة مساو للمستوى الذي كانوا يحيونه قبل وفاة مورثهم ، ومن المسلم به ان المعاش التقاعدي في الدول التي تأخذ بالنظام الشيوعي هو دون مايدفع لنظرائهم في الدول الرأسمالية وذلك لأسباب نفسية ، ولكن الدول الشيوعية اخضعت أسعار المواد الأساسية للتسعير الجبري المنفذ بصرامة في روسيا مع تقنين الكميات التي يسمح للفرد بشرائها ، وهو نظام تأخذ به جميع الدول الشيوعية مع تفاوت في التطبيق فهو يكاد يكون صوريا في كل مقاطعات يوغسلافيا عداكوسفو ، ولكنه صارم في تشيكوسلوفاكيا ، وبالغ الصرامة في ألبانيا وإن كانت جميع الشعوب الشيوعية تمارس التجارة في السوق السوداء ، ويجد السائح الأجنبي في جميع البلاد الشيوعية سوقاً حكومية تبيع له كل ماهو في حاجة إليه على أن يدفع قيمته بأي عملة قابلة للتحويل الى المارك الالماني الغربي أو الى الدولار الأمريكي والكندي . وهدف هذه السياسية هو تقليل عدد الوحدات النقدية في حوزة المواطن لحفزه على الأحجام عن شراء مالاتدعوه الضرورة لشرائه ، ويرون ان شهوة الشراء تزداد عندالمواطن إذا كان عدد وحدات النقد التي في حوزته كبيراً بقطع النظر عن القوة الشرائية لتلك الوحدات .

وادنى مستوى للمعاش التقاعدي في الدول الشيوعية هو الذي يدفع للعامل العادي في البانيا ، إذ يبلغ ٤٢٠ ليكاً في الشهر وهي قيمة تعادل ٨٥ دولارا في أفضل أحوالها وذلك لأن أنور خوجة خلق كنوداً ، يسعى بكل قواه أن يوحد مقدار الدخل بين أفراد الشعب الألباني مهما كان عطاء الفرد ، ومهما كانت أعباؤه، وهو صارم في تطبيق نظامه التقشفي حتى ان وزراءه يعيشون في مسغبة قياساً على الوزراء الروس، وإن كانوا في رفاه نسبي بالنسبة الى الفرد الالباني ، وقمة رفاه الوزير الالباني هي إستعماله لسيارة حكومية يقودها حارسه الشخصي في أوقات العمل الرسمية ويقودها بنفسه في غير تلك الأوقات ،غير أن سيارة الوزير وهي واحدة من ثلاثين سيارة ، هي السيارات المعدة لاستعمال القصر الجمهوري واعضاء مجلس الوزراء والتي ترى من حين لأخر تتمايل في شوارع تيرانا ، اذ أن جميعها من طرز قديمة جداً يعود صنع احدثها الى سنة ,١٩٥٩ وهي سيارة مرسيدس ١٨٠، واقدمها سيارات كانت مستخدمة من قبل ضباط جيش الاحتلال الالماني ورثها خوجة عقب الحرب العالمية الثانية التي خرج منها منتصراً . وبإستثناء سيارتين احدهما لأستعمال الرئيس خوجه في المناسبات الهامة جداً والأخرى مخصصة لأستعمال رؤساء الدول الذين تستضيفهم البانيا، فلم يشتر نظام أنور خوجه سيارة واحدة تخصص لأي مسؤول مهما كان مركزه ، وعلى كبار الموظفين ومن دونهم من الأعوان استعمال الحافلات الشعبية العامة التي تنقلهم من بيوتهم الى مقار أعمالهم والعودة بهم الى بيوتهم أما الشعب فعليه أن يستعمل وسائل النقل العام مع أنها كلها قديمة متهالكة ، ولايسمح للسواح القليلين بإصطحاب سياراتهم الخاصة معهم بل عليهم ان يتنقلوا في حافلات البانية تستقبلهم عند مداخل البانيا الرسمية وهي :

١ – مطار تيرانا : وهو مطار صغير خالٍ من أجهزة الرادار مما يجعل القيام منه والهبوط فيه ليلاً أمراً شديد الخطورة ولايخضع لنظم الاتحاد الدولي للطيران (إياتا) لأن البانيا هي الدولة الأوربية الوحيدة التي ليست لها خطوط طيران مدنية .

٢ – ميناء دورازو وهو أكبر موانيئها البحرية .

٣ – ميناء فالونا أقل أهمية من سابقه .

ولها أربع بوابات إثنتان في حدودها مع يوغسلافيا وهما :

أ – صاف هوتليت في حدودهما الشمالية .

ب – غافاتانيس في الجنوب الشرقي في الحدود مع يوغسلافيا وبوابتان على الحدود مع اليونان وهما :

أ – بوابة مقدونيا الشمالية .

ب – بوابة اليونان الجنوبية .

وليس لهذا النوع من التقشف المضر بالعباد والاقتصاد سوى مظهر حسن واحد هو الانخفاض الملحوظ في حوادث المرور ، أما مساوئه فلاحصرلها: واخطرها هو ماينعكس على الجانب النفسي ، فشعور الشعب الالباني بالحرمان الذي فرض على أفراده من وسيلة نقل يتمتع بميزاتها أفقر شعوب العالم ، خلق في نفسه حسرة زاد في مرارتها عجزه عن الشكوى منها. إن الشكوى من أي شيء تعتبر نقداً لسياسة النظام ، والنقد في ألبانيا مهما قل شأنه عقوبته الاعدام ، ولم يستطع أنور خوجة أن يفهم قط ان للسيارة الخاصة عائدا ماديا على صاحبها يوفره له امتلاكه لمركوب يحرره من سيطرة غيره من مالكي وسائل النقل سواء أكانوا افراداً

أم جماعات أم مؤسسات ، ولانريد أن نتحدث عن العائد النفسي والمعنوي ، اذ يبدوا ان مخططات أنور خوجه تخلو من فقرة تشير الى رفاه الفرد الالباني . أما خسارة المجتمع من جراء هذا التقشف المعيب فيكفي في الحديث عنها ان نذكر بالحكمة الخالدة القائلة " إن الحضارة تزحف على عجل " كما أنه من أهم مقاييس مدى تقدم الشعوب حضاريا اطوال الطرق المرصوفة عندها وكفاءة موانيها الجوية والبحرية وانضباط توقيت وسائل النقل الميسرة لخدمة المواطن ، ويظهر ان كل هذه الأمور لم تكن في حسابات أنور خوجة .

الفرق بين الثبات على المبدأ وتجميد المبدأ

لكي يعيش أي مبدأ سياسي لابد أن يكون هدا المبدأ كائناً حياً نامياً مرنا متطوراً لكي يواكب العصر ويستجيب لمطالب الانسان ، غير أنه – فيما يظهر – نجد أنور خوجة لايفرق كثيراً أو قليلا بين الثبات على المبدأ وجمود المبدأ نفسه ، فالماركسية كما فهمها ماركس ودوّنها ربما كانت صالحة في عصره لاستجابتها لمطالب الناس في ذلك العصر ولو نظريا ، وعندما مات كارل ماركس سنة ١٨٨٣ م لم يكن يثق في صحة المبادئ التي وضعها نفس ثقته فيها (١) عندما دوّن تلك المبادئ بسبب تغير المعطيات السياسية والاقتصادية والاجتماعية خلال السنوات الخمس والثلاثين الأخيرة من عمره . ولعل الكلمة المنسوبة الى والدة كارل ماركس تصور هذه الحقيقة تصويراً دقيقاً ، فقد نسب اليها – وهي الأم الفخورة بابنها قولها – " ليت ابني جمع رأس مال بدل أن يكتب كتاباً عن رأس المال" وهي عبارة تصور شدة خيبة

---

(١) مشاهير القرن التاسع عشر . بيروت .

أملها في نتائج أفكار ابنها . ونجد أن لينين (١) وقد اصطدم بالواقع عند تنفيذه لافكار كارل ماركس لم ير بأساً من التحول قليلا أو كثيراً عن هذه الأفكار مع الاحتفاظ بالتسمية ، وبالاشادة بكارل ماركس وبأفكاره وإطلاق اسمه على المبادئ الموصلة للشيوعية . ومن المؤكد ان هذا التحول كان من أسباب بوادر الخلاف العقدي الفكري بين لينين وبين تروتسكي وزينوفييف اليهوديين ولم يكد يموت لينين ويتولى ستالين حتى اصطدم هو نفسه بصعوبة التوفيق بين مبادئ ماركس وأساليب لينين فقفز فوقهما كليهما واحدث أساليب وافكارا كثيرا ما اصطدمت ببعض ماوضعه ماركس وشرحه لينين . غير أنه أحدث جلبة وأجلى صارماً وقال : فقال الناس بقوله وقبل على ان هذا هو فقه شيوعية ماركس كما شرحه ستالين، وكان فيشنسكي من أشهر وسائله للأقناع ، وفيشنسكي هذا هو النائب العام للاتحاد السوفييتي في قضايا التطهير سنة ١٩٣٦ - ١٩٣٨م، وهو الذي ارسل الى غرف الاعدام مئات الآلاف من العقول الروسية التي ناقشت فهم ستالين لفقه الشيوعية .

وجاء بعد ستالين مالنكوف فلم يطل به الزمن ليناقش أي شيء ، ثم جاء بولجانين . ولم يكن له رأى واضح . فلما جاء خروتشوف عرى ستالين وناقضه ونقض فكره وازرى به وازاله عن عرشه .

اما أنور خوجه ! أنور خوجة الذي "حفظ" جميع ماقاله لينين وستالين في تمجيد مبادئ ماركس في شكل قوالب جامدة وطبقها في صرامة تطبيقا حرفيا خاليا من أية مرونةتكسبها الحياة وتوائم بينها وبين مطالب الناس ،

---

(١) الثورة بين النظرية والتطبيق رسالة اعداد مؤسس الحزب الشيوعي الإيطالي غرامشى ترجمه مكتب الدراسات الفلسطينية بيروت(المؤلف) .

فقد كبر عليه ان يحاول خروتشوف اطفاء بريق " المعبود " ستالين فقطع صلته بموسكو رغم انها كانت مصدر الحياة له في جميع قطاعات قوته من سلاح وتموين وآلات زراعية ونفط وأموال سائلة ، وفوق كل ذلك حماية تخيف العدو وتلجم الطامع .

لقد ذكرنا في موضع آخر من هذا الكتاب ان أنور خوجه لم يكن مسلماً ولا كان شيوعيا ولا ماركسيا ولا لينينيا ولا ستالينيا ولا رأسماليا ولم يكن سوى " أنورى خوجوى" أي أنه تمثال جرانيتي للأنانية المرتكزة على النرجسية وسنرى . عند الحديث عن قطيعته مع الصين الشعبية لنفس السبب الذي جعله يقطع علاقته مع روسيا ، ان الرجل على خلاف مايتراءى للناس ، كان أسيراً لكلامه المعلن ولم يكن متفهما لمبادئه ، فهو عند أوائل الثلاثينات يقول بالماركسية ، ويدّعى أنه من معتنقيها الامناء ، ومع الزمن صار يؤمن بأن الناس يتذكرون كل كلمة قالها ، وانه في خروجه عن أي شيء سبق أن قاله كشف لحقيقة عبادته لذاته ، وايغالا منه في النفاق، يدعى دائما ان التخلي عن أي من مبادئ ماركس أو لينين هو خيانة لماركس ولمن سار على هديه ، غير أنه بحجة المحافظة على مبادئ ماركس - التي وضعها لإسعاد البشرية قارف من الفظائع ماجلب على عشرات الآلاف من الأسر الالبانية الشقاء النفسي والمادي ،لكن طبيعته المتعنتة أبت عليه أن يعترف بما سببه لشعبه من شقاء وتعاسة ولم يقتد بنيكولاي فلاديميرلينين عندما شعر بما سببته سياسته من شقاء للشعب الروسي فقال :

لقد اقترفت خطأ كبيراً . لقد كان أكبر هدف لنا هو أن نعطي الحرية للكثيرمن الشعوب المضطهدة لكن أسلوب عملنا خلق اشنع الشرور نتج عنها مذابح رهيبة . انكم تعلمون إن قلقي المميت كان سبب شعوري بإنى قد ضعت في بحر من دماء ضحايا لايحصى عددها لقد سبق السيف العذل ،

ولم يعد في الامكان التراجع عن تكملة المشوار(١) .

فهل أحس أنور خوجه بنفس ما أحس به لينين عندما ارعبه ما ارتكب أثناء ثورة ١٩١٧م من مذابح وشرور(١) ؟ لقد أفنى أنور خوجة خلقا كثيراً واغتال وقتل بيده عدداً من أعوانه . ولا يعلم أحد بما اعتمل في نفسه أثناء حدوث تلك المجازر .أما هو نفسه فلم يلحظ عليه أحد أي شعور بالندم على ما جنت يداه . ولنلتفت إلى صلاته بالصين الشعبية ، فالصين إنتصرت فيها الشيوعية نتيجة لجور الجنرالات الصينيين الذين ثار كل منهم في إقليمه وأنشأ فيه حكومة سعت إلى إحتلال ما جاورها من أقاليم وكل واحد من الجنرالات يرى نفسه هو أفضل وريث للحكم الامبراطوري البائد . وجور الجنرالات شمل الصينيين جميعهم منذ ما قبل عام ١٩١١م تاريخ نهاية حكم الاسر الامبراطورية الحاكمة في الصين منذ آلاف السنين ، وكانت نهايتها على يد ثورة قادها صن يات صن وكان الناس يحسون بالجور سواء في جمع الضرائب أو عوائد الاملاك أو توزيع الأراضي، وتذمر الناس من جراء هذا الجور هو الذي شجع اليابان على شن حرب سنة ١٩٣٧م واحتلال أجزاء من أراضي الصين . الجينيراليسمو شان كاي شيك أبرز هؤلاء الجنرالات ، تعلقت به آمال الناس فترة طويلة. وكانت خيبة أملهم فيه من أهم العوامل في انتصار الشيوعية ولايفوق تلك الخيبة إلا صلابة ماوتسى تونغ وهي صلابة جعلته مناط آمال الناس كقائد فذ قادر على توجيه الصين ، بعد أن مزقتها حروب الجنرالات فيما بينهم . وعاشت الشيوعية اصطناعاً ماعاشه ماوتسى تونغ فلما زال وهلك كبار انصاره أيضا من أمثال " تشووين لاي" اكتشفت الصين أن الشيوعية ليست هي النظام الملائم لحاجات

(١) Tomorrow You Die P.40

الشعب الصيني وأقدمت على التأويل في مبادئ ماركس ولينين وستالين وهو تصرف إستفز أنور خوجه كما أستفزه تصرف خروتشوف من قبل ، فأعلن قطيعته للصين بنفس الروح وتحت نفس الظروف النفسية التي أحاطت به عندما قطع علاقته مع روسيا .

هزيمة الماركسية في الصين الشعبية

ان هزيمة الماركسية في الصين تمثل هزيمتها في قارة بكاملها وهي هزيمة فكرية في كتلة هائلة من البشر هي ربع البشرية جمعاء أو أكثر عندما أعلن الحزب الصيني الشيوعي في افتتاحية جريدة الشعب الصينية (١) لسان حال الحزب" ، ان افكار كارل ماركس وانجلز ولينين لاتناسب العصر الذي نعيشه ، لان ماركس دون هذه الأفكار ثم مات قبل مايزيد عن قرن من الزمان وليس احد ممن سار في جنازته مازال يعيش " والتبدلات الهائلة التي طرأت على العالم خلال المائة سنة الماضية سواء العلمية أو التقنية أو النفسية لم تكن موجودة أيام ماركس ، وبالتالي فان تلك التبدلات لم تكن عاملا محسوباً عند وضعه لمبادئ الماركسية ، وإذا كانت الماركسية قد جذبت بعض الفئات وبخاصة المقهورة منها على أمل أن تجد فيها حلا لمشاكلها في ذلك الوقت ، فإن مشاكل الحياة المعاصرة ليست هي نفس المشاكل السائدة أيام ماركس . وبالتالي فافكار ماركس قد تناسب عصره وعصر الجيل الذي يليه ولكنها لاتلائم بكل تأكيد عصر الجيل الرابع التالي لجيل ماركس فضلاً عن ان تلائم مابعده من أجيال ."

---

(١) Keesing volume XXIX P.39

ان تخلي الصين عن الماركسية هو في حقيقته نبذٌ لها مهما غلف ذلك النبذ بأردية حمراء ، كما ان التخلي عن لب الماركسية لايغير من جوهره محاولة التستر ببعض الاقنعة الماركسية التي نعلم ويعلم أصحابها ان مصيرها الى زوال ان عاجلا أو آجلا ، لقد وصف شيبيلوف (١) الرئيس السابق لهيئة تحرير البرافدا ماحدث في الصين بأنه نكسة تاريخية لعلها أكبر ما أصاب الشيوعيين من نكبات في كل عصورها ، وتنبأ بأن الشيوعيين في مختلف بقاع العالم سيتأثرون حتما بما حدث في الصين .

حقيقة ان تخلي أكثر من ربع سكان المعمورة عن الشيوعية هو حدث لايمكن تجاهل نتائجه الحتمية ، وهو ضربة من ضربات القدر شديدة الشبه بالزلازل وثورات البراكين التي تنقض على الجذور قبل الاغصان وتجتث الاصول قبول ذبول الأوراق ، وإذا كان زعماء الصين حاولوا تخفيف وقع تصرفهم على غلاة الشيوعية كأنور خوجه الا ان حججهم واعتذاراتهم قد اصطدمت بآذان فيها وقر انغلقت انغلاقا أبديا على تعاليم ماركس كما هي ، وان لم تؤمن بها ، وليست على استعداد نفسي لقبول ادخال اي تعديل عليها حتى ولو صدر هذا التعديل عن كارل ماركس نفسه ، ولعل مما سهل على الصين هذا التحول السريع عن مبادئ الشيوعية هو قلة عدد الأعضاء الشيوعيين المنتسبين الى الحزب الشيوعي ، وإلقاء نظرة على الاعداد الحقيقية للأعضاء المنتسبين للاحزاب الشيوعية في كل بلد بالنسبة لعدد أفراد ذلك البلد ستظهر لنا أن هناك حزبا شيوعيا حاكما في كل بلد عدد افراده بضعة آحاد في المائة من مجموع السكان يحكمون الشعب كله بقوانين صارمة كما يظهر من الأمثلة التالية :

(١) نشرة الحزب الشيوعي الايطالي الصادرة في ٣ ملرس ١٩٨٢ م .

عدد أعضاء الحزب ٣٣٠٠٠٠٠ الصين الشعبية عدد السكان ١٠٠٠٠٠٠٠٠٠ .
عدد أعضاء الحزب ٢٠٠٠٠٠٠ الاتحاد السوفيتي عدد السكان ٢٦٠,٠٠٠,٠٠٠ .
عدد أعضاء الحزب ٣٦٠٠٠٠٠ مجموع أمريكا اللاتينية عدد السكان ٢٥٦٠٠٠٠٠٠ .
عدد أعضاء الحزب ٠٠ ٦٢٢ البانيا عدد السكان ٢٧٥٢٣٠٠ .

وبما أنه لامشاحة في ان الحزبية شر ابتليت به الشعوب . فإن أية فلسفات لاتخفف من ذلك الشر شيئا حتى ولو كانت الأحزاب تجتذب أكثرية شعب ما ويظهر ان أنور خوجه كان أول من اقتنع بهذا الرأي فأتخذ من المحق وسيلة للاقناع بجدوى الشيوعية خلافا للكثير من نظرائه الذين مازالوا يعولون على الاقناع بالحجة كما يعولون على استغلال جور الرأسمالية وسخف عقول بعض المنادين بها . كما يستغلون الهزات (١) الاقتصادية ومايتولد عنها مـــن مشاكل سواء أسميناها تضخما ماليا أوركودا اقتصاديا بما يتبعه من بطالة ، وليس سراً أن الهزات الاقتصادية هي السبب في حدوث الفساد وشيوع الرشاوي والمضاربة والاحتكارات للسيطرة على مصادر رزق الافراد والجماعات ، ولانستطيع أن نغفل الرأي القائل أن العكس هو الصحيح ففساد الاخلاق المتمثل في الفساد والرشاوي والمضاربات والاحتكارات هو السبب في الهزات الاقتصادية . ولقد أوضح أنور خوجه في احدى خطبه (١) ان الاخفاق في تطبيق مبادئ الشيوعية

(١) خطبته في اللجنة المركزية للحزب الذي أعلن فيها قطع العلاقات مع حكام بكين (المؤلف) .

لايعد اخفاقا للشيوعية، فالعيب في أساليب التنفيذ وفي القائمين على التنفيذ، لافي مبادئ الماركسية . وقال أن الحكام الصينيين الذين ارتدوا عن الشيوعية اخفقوا في تحقيق اهدافهم وعجزوا عن تحمل أعباء الحكم في بلادهم، حتى قبل أن تنضج الثورة الشيوعية فيها . إن اخفاقهم ليس هو اخفاق الحكم الذي تنبأ به لينين العظيم كرمز لنجاح الثورة الشيوعية عندما قال " ان الثورة تنضج عندما يجد الحاكم نفسه لم يعد قادرا على توجيه الشعب وفق رؤيته هو مصالح البلاد ، أي عندما يضعف سلطان الحاكم على الجماعات فيتخذون قراراتهم دون تردد ودون تدخل من أحد فهذا هو الشاهد الحقيقي على نجاح ثورة ما" .

نشأة الحزب الشيوعي الالباني

منذ أن اعتلى الملك أحمد زوغو عرش البانيا 'سنة ١٩٢٨م أحسّ الشيوعيون ان فرص نشر مبادئهم قد ضاقت كثيرا ولم تطلّ سنة ١٩٣٠م على البانيا حتى اخذ الشيوعيون الالبانيون ينسلون خارج البانيا بحثا عن مجال أوسع للعمل الحزبي الشيوعي، ولما كان معظم الشيوعيين الالبانيين هم من المثقفين إذ ان الانتساب الى الحركة الشيوعية كان يتطلب مستوى معينا من الثقافة وعمق الادراك، فان زوغو كان أمام خيار صعب ذلك ان منع المثقفين من الخروج من البلاد قد يسبب له مشاكل هو في غنى عنها، وقد لايملك الوسائل الكافية لمعالجتها ، وان تركهم يغادرون البانيا فقد يغرون

(١) خطبته في اللجنة المركزية للحزب الذي أعلن فيها قطع العلاقات مع حكام بكين (المؤلف) .

غيرهم من المثقفين على ترك البلاد فتتضاعف خسارة البلاد في الخريجين بينما البلاد في أشد الحاجة اليهم لبناء نفسها على أيدي ابنائها . ومن بين من تسللوا الى الخارج المدرس أنور خوجة .

وهكذا ، استغل أولئك المثقفون الفترة السابقة لإعلان الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩م في التلاحم والتنظيم استعداداً لميلاد الحزب الذي طال المخاض به فلم يتم تأسسيه الا في ٨ نوفمبر (١) سنة ١٩٤١م ولم يتمكن من عقد أول مؤتمر له الا بعد سبع سنوات من انشائه أي في سنة ١٩٤٨ وهي فترة كانت لازمة لأنور خوجه لكي يعد هو الحزب اعدادا مناسبا حتى لايكون بين رجال الحزب عملاق غيره وليتضخم حجمه في نظر المنتسبين للحزب وبالتالي في نظر أفراد عامة الشعب فتعمد ان لايختار من رجال الحزب كأعضاء في اللجنة المركزية الا الأقزام لكي يتمسكوا بالمناصب مهما كان عليهم من ثمن يدفعونه، وهو ثمن يستطيعون دفعه بكل تأكيد، فهو لايزيد عن تأليه أنور خوجه الذي وصل الى امتلاك ناصية الحزب عندما عين أمينا مؤقتا للجنة المركزية لحين قيام الحزب بعقد مؤتمره الذي سيكون من أهم واجباته اختيار الأمين الأول للجنة المركزية للحزب ، غير أن خوج احتفظ بمظهر حق الحزب في اختيار أمين اللجنة المركزية ولكنه عمل بك قواه وبكل الاساليب مهما كان نوعها على أن يكون أنور خوجة هو دائما المرشح الوحيد الناجح عقب كل انتخاب طيلة الاثنتين والأربعين سنة التي عاشها مهيمنا على مقاليد الحزب، بعد أن اختفى الرجال المؤسسون للحزب لأسباب طبيعية تساعدها أسباب محاطة بعشرات علامات الاستفهام، وعندما عقد أول مؤتمر للحزب لم يكن باقيا من الأعضاء المؤسسين أو الأعضاء القدماء من يستطيع أن ينافس أنور خوجة، وبذلك ضمن خوجة

(١) Tomorrow You Die .P.50.

الخلود الدنيوى كأمين أول للجنة المركزية وهكذا كان . فلما عقد أول (١) مؤتمر له صدر خلاله قراران كان لهما أعمق الاثر في حياة البانيا . الأول اعتبار الحزب الشيوعي هو الحزب الشرعي الوحيد . الثاني أن الحزب هو محتكر السلطة كلها في البانيا ، ولابعاد الشعب عن السلطة القادرة على اتخاذ القرار المكيف لحياته تقرر أن لايتولى أحد أي وظيفة إلا إذا كان عضوا في الحزب أو الهيئات الشعبية المختلفة وعلى رأسها الجمعية الوطنية التشريعية .

ومارس الحزب منذ ذلك الوقت احتكار السلطة بالفعل احتكاراً شاملاً يتولى اعضاء الحزب جميع الوظائف في كلا السلكين المدني والعسكري دون استثناء . ونظم هيمنته على جميع الأمور بحيث لايدخل الجمعية الوطنية التشريعية (البرلمان) إلا الموثوق في ولائهم لشخص أنور خوجة ، فالمرشحون لعضوية هذه الجمعية لابد أن يكونوا أعضاء في الجبهة الوطنية الديمقراطية وهي مؤسسة شعبية يشرف عليها الحزب اشرافاً دقيقاً تضم جميع الالبانيين الذين لهم حق التصويت .

---

(١) عقد الحزب أول مؤتمر له في أول نوفمبر ١٩٤٨ بعد أن تم اعدام بعض مؤسسيه وسجن آخرين منهم ومات بعضهم موتا طبيعيا أوقتلوا على أيدي الايطاليين والالمان وتم تغيير اسمه من الحزب الشيوعي الألباني " إلى حزب العمل الالباني " وواصل تصفية جميع العناصر التيتويه من صفوفه (المؤلف) .

الفصل الخامس

" الكومينتيرن " تمهد لأنشاء حزب شيوعي ألباني موال لها

عقب مهاجمة الألمان للاتحاد السوفييتي سنة ١٩٤١م تلقى الزعيم الشيوعي جوزيب بروز تيتو زعيم إحدى فرق المقاومة اليوغسلافية العاملة قرب الحدود الالبانية تعليمات من " الكومينتيرن" (الشيوعية الأممية) بالعمل على تأسيس نشاط حزبي شيوعي، والشروع فوراً في التحكم في نشاط المقاومة للاحتلال من قبل دول المحور في جميع دول البلقان .وكانت خطة الكومنتيرن قائمة على استغلال العاطفة الوطنية كأساس للإندفاع الجامح لمحاربة الغزاة المحتلين ، على أن يعمل مندوبو الكومنتيرن بذكاء على تحويل حركة التحرر عن مسارها الطبيعي إلى مسارات خفية تخدم أهداف الشيوعية خلال الحرب وبعدها ، وذلك بتقديم التأييد المادي والأدبي لزعماء حركة المقاومة الذين يبدون أقل نفوراً من الشيوعية ، والعمل في الوقت نفسه على تدمير من يظهرون حماساً زائداًفي معاداتهم لها ولو بتصفيتهم جسدياً، وهي تصفية تسهل الحرب الدائرة سبل تنفيذها ، وقد شمل المخطط هيئات المقاومة في كل من : اليونان والبانيا وبلغاريا وركزت سلطة مراقبتها وتوجيهها في شخص تيتو أبرز زعيم شيوعي للمقاومة في يوغسلافيا، وكلف هو بتنفيذ نفس المخطط في يوغسلافيا ذاتها . بحيث يكون عمله نموذجاً تقتدي به الحركات الشيوعية المشاركة في المقاومة في بلاد البلقان ومايحيط بها من البلاد الأخرى .

وشددت على أن يولى البانيا اهتماماً خاصاً لقربها الشديد من مقر

قيادته المتمركزة آنئذ في هضاب جمهورية الجبل الأسود . وإن على تيتو أن يستفيد من مواطني مقاطعة كوسفو ذوي الأصل الألباني لأنهم أعرف بألبانيا ومشاكلها ومخابئها والطرق الموصلة إلى تلك المخابئ، كما أن لغتهم الألبانية تسرع بإكسابهم ثقة أخوتهم الالبانيين .

وتنفيذاً لأمر الكومنتيرن قام تيتو بإرسال مندوبين عن الحزب الشيوعي اليوغسلافي للمساعدة على تأسيس الحزب الشيوعي الألباني الجديد، وتمكن المندوبان بما لهما من خبرة في الشيوعية الأممية من توحيد الحركات الشيوعية الثلاث في حزب واحد تحت قيادة مركزية واحدة ، ولما كان أنور خوجة هو أبرز الشيوعيين المناضلين ضد الألمان فقد أصر مندوبا الحزب الشيوعي اليوغسلافي اللذان يعملان وفق تعليمات الكومينتيرن على تعيين أنور خوجه أميناً مؤقتاً للحزب الوليد إلى أن يتمكن الحزب من عقد مؤتمره وانتخاب أمين لجنته المركزية، ولكن خوجه مكث أميناً للحزب ٤٢ سنة مسجلاً رقماً قياسياً في البقاء على رأس السلطة بين نظائره من زعماء الأحزاب الشيوعية الأخرى . وسنتحدث عن أساليبه الملتوية التي مكنته من النجاح في التخلص من جميع الذين نافسوه على منصبه، وماكان له أن يحقق ذلك النجاح لولا المساعدة الفعالة التي قدمتها له الشيوعية العالمية، وهي مساعدة استثمرها خوجة حتى إستتب له الأمر، وخضعت له الرقاب . فلما إطمأن إلى السيطرة المطلقة على البلاد والعباد لم يتردد في التنكر للذين نصبوه ،ورعوه حتى صلب عوده .

هذا هو الحزب الذي حكم أنور خوجه البانيا بأسمه أطول مدة حكمها حاكم شيوعي في التاريخ .

المقاومة المسلحة الالبانية للاحتلال الايطالي الالماني

كانت المقاومة الالبانية ضد دولتي المحور مكونة من الحركات الثلاث البارزة وهي :

حزب الجبهة الوطنية (بالي كوبيتار) بزعامة الدبلوماسي القديم مدحت فراشيري تعاونه شخصيات معروفة أخرى ، وهو حزب اشتراكي موال للغرب ، ومعاد للشيوعية وللملكية .

وحزب ليقاليتيتي وهو حزب ذو ميول ملكية يرأسه عباس كبى ، والجبهة الديمقراطية الوطنية التي تضم الفرق الشيوعية الثلاث البارزة ويرأسها أنور خوجة ، ورغم الاختلاف العقدى بين هذه الكتل الثلاثة فقد عملت متعاونة في العامين الأولين على التصدي للاحتلال الايطالي الالماني مع سعى كل منها خفية للاستئثار بالحكم . وكانت غالبية الشعب مؤيدة للمقاومة تغذيها بالمجاهدين . حتى بلغ عددهم في نهاية عام ١٩٤٤م ، مائة الف (١) مقاتل ، هلك منهم أثناء الصراع ٢٨٠٠٠ مقاتل ، وهو مايوازي ٢.٨٪ من مجموع الشعب . واعتقل من افراده ٨٠٠٠٠ ألفا . وكان الدمار بسبب الحرب يكاد يكود شاملا لمدن وقرى وطرق وجسور وموانئ البانيا، وكذلك دمرت المناجم والغابات والسدود والمزارع وتساقطت البيوت على ساكنيها وانهارت الزرائب والحظائر على حيواناتها ، وقد قدرت الخسائر الحربية سنة ١٩٤٦م بـ ٦٣ مليون دولار

ولما كان لهذه الفصائل مجتمعه دور كبير في تحديد مصير البانيا عسكريا وسياسيا واثر ذلك على سياسة دول البلقان بخاصة ، والسياسة

(١) Tomorrow You Die .P.49.

الدولية بعامة ، فمن المفيد ان نتتبع حركة هذه الفصائل بايجاز ، فقد كانت في أول أمرها كثيرة العدد يسيطر عليها الحماس دون التنظيم ، وتقودها العاطفة الاقليمية والقبلية والدينية والمذهبية السياسية قبل العقل ، لهذا برزت من بينها الفصائل الشيوعية التي وجد بينها مندوبا الحزب الشيوعي اليوغسلافي واختارا لها أنور خوجه زعيما وفرضاه على قيادتها ، فلم تلبث أن سيطرت على توجيه المقاومة كلها - وفق خطط وتعليمات الشيوعية الأممية الثالثة - ووجهتها التي تخدم مستقبل الشيوعية في البانيا . فلما اطمأنت الى تحكمها في مجريات الأمور ضغط عليها تيتو لتنسحب من الاتفاق الموقع بينها وبين بقية فصائل المقاومة غير الشيوعة ، تمهيدا لاطلاق يدها في شؤون البانيا لتعدها للحكم الشيوعي القادم وهذا ما حدث بالفعل فكيف حدث ؟ .

عقب الزحف الايطالي على البانيا في عشية السابع من أبريل ١٩٣٩م الذي فاجأ الشعب الالباني المستنيم الى دعوى الصداقة الايطالية التي تكررها على مسامعه وسائل الاعلام المختلفة فأصيب بحالة من الذهول . ومما زاد في ذهوله فرار الملك زوغو ناجيا بنفسه واسرته ، تاركا الشعب فريسة للغزو الايطالي دون ان يطلق رصاصة واحدة أو يأمر باطلاقها (١) . ومع أنه لامجال للمقارنة بين القوة الغازية لدولة تعدادها أربعون مليون نسمة ، مصنعة غنية ، تهابها الدول العظمى وتخطب ودها وبين القوة الالبانية المدافعة ذات الجيش الصغير عددا الضعيف تسليحا ، السئ التدريب الهابط

---

(١) يقول نائب ملك ايطاليا في البانيا فرانشيسكو ج دي سان سافينو في كتابه La Politica dell'Italia In Albania P 7 : السابع من ابريل وقبل هجرة الملك زوغو من البانيا فتح ابواب مخزن السلاح وابواب السجون ، ولكنه نفى حدوث أية مقاومة حادة للغزو الايطالي . (المؤلف) .

المعنويات ، وكيف لايكون كذلك ومستشاروه هم غزاته ومدربوه هم أكلته ومسلحوه هم اعداؤه . شعب في مثل هذا الوضع لاجرم ان يحار في امره ، فحار واستمرت حيرته الى ١٠ يونيه ١٩٤٠م ففي ذلك اليوم اعلن بينيتو موسوليني رئيس وزراء ايطاليا الحرب على الحلفاء الى جانب حليفته المانيا ، وزحفت جيوش ايطاليا من البانيا على اليونان ، ولكنها لم تكد تجاوز الحدود حتى ردها الجيش اليوناني على اعقابها ، ثم طاردها داخل الأراضي الالبانية ، وتمكن الجيش اليوناني من احتلال ربع البانيا وباندحار جيش موسوليني انتعشت آمال الالبانيين وتخلصوا من حيرتهم التي رانت عليهم منذ الغزو الايطالي، وسرعان ماشكلوا فصائل تعددت بتعدد المشارب السياسية وشرعت في اعمال المقاومة . وكان من أبرزها الجبهة القومية المحافظة " بالي كوبيتار" التي نظمت منذ بداية الحرب مقاومة شاملة للاحتلال من خلال وحدات مقاتلين ملتحمين في قتال مستمر مع جيش الاحتلال الايطالي متبنين استراتيجية " اضرب واهرب " "واختف حيث يتوقعون وجودك واظهر من حيث لايتوقعون " وانفردت الجبهة الوطنية بمقاومة الغزاة منذ دخول ايطاليا الحرب الى ان هاجم هتلر روسيا في ١٩٤١/٦/٢٢ وعندها تكونت فصائل شيوعية للمقاومة استجابة لتعليمات الشيوعية الاممية كما سبق وأشرنا ، وقد رغب عقلاء المقاومين في توحيد حركة المقاومة فتحالفت الجبهة الوطنية ، وفرق المقاومة الصغيرة الأخرى مع فرق المقاومة التابعة للحزب الشيوعي . ودام الحلف لأكثر من سنتين . اشتدت خلالها مقاومة جيوش المحور حتى اضطرت تلك الجيوش الى الاستقرار في المدن وعدم الخروج لمهامها إلا في مجموعات كبيرة وكان للجبهة الوطنية القدح المعلى في الحرب ، لكنها اخفقت سياسياً رغم نجاحها الفائق عسكريا إذ لم يكن لها برنامج اصلاحي لفترة مابعد الحرب وبخاصة لم يكن لها برنامج معروف للجمهور الالباني يشرح له خططها ا

يتوقع من إعادة توزيع ملكية الأراضي، اذ أن وجود مثل هذا البرنامج أمر مهم جداً في نظر غالب المقاتلين المنحدرين من أسر شديدة الإملاق عمل افرادها كما عمل أجدادهم منذ قرون طويلة في زراعة أراضي البيهوات الاقطاعيين وما كان يعود عليهم من عملهم المرهق المستديم إلا مايكاد يسد الرمق ، أما الحزب الشيوعي فقد كان له خط واضح معلوم أساسه تجريد الملاك من مزارعهم ، وتمكين الفلاحين من زراعتها مع إعطائهم نصيباً أكبر قليلاً مما كانوا يحصلون عليه أيام الاقطاعيين ، وإعفائهم من الضرائب عن الأراضي بعد انتقال ملكية رقبة الأرض الى الحكومة من قبل الحزب . ولم تزد الشيوعية على أن استبدلت بسيادة فريق كبير من الاقطاعين سيدا واحدا هو الحكومة بهيلها وهيلمانها ، وجبروتها وطغيانها ، وقدرتها على فرض القوانين الظالمة ، والنظم الجابية وتفعل كل ذلك باسم العدالة الاجتماعية .

وعندما استيقظ الالبانيون وجدوا أنفسهم مازالوا عبيدا ، وان كانت عبوديتهم لسيد جديد ،الفرق بينه وبين سابقيه من السادة القدامى انه يميت المخالفين له من الشعب الالباني بحبال المشانق أو خنقا في غياهب السجون ، فإذا اخذته الرأفة بهم قصر فترات عذابهم بإطلاق الرصاص على اقفيتهم بينما يقوم سادتهم السابقون ، على تنوع اشكالهم من ملوك واقطاعين ، وولاة واستعماريين بإماتتهم جوعا ، أو يميتونهم بأيدي بعضهم البعض عندما يشعلون حروبا بين فريق من أولئك السادة وفريق أخر ويكون وقود تلك الحروب دائما ، الخاسر فيها أبداً هو الشعب الالباني نفسه،اما الرابح دائماً في تلك الحروب والناجي دائما من آلامها فهم السادة .

ميثاق التعاون على مقاومة الاحتلال

تم الاتفاق على ميثاق التعاون على مقاومة إحتلال دولتي المحور (المانيا وإيطاليا لألبانيا ويوغسلافيا بين المقاومة الشعبية الالبانية بزعامة حزب " ليقاليتيتي" والحزب الاشتراكي الالباني والمقاومة الشعبية اليوغسلافية ونصه :" تنسيقاً لحركة المقاومة اليوغسلافية الالبانية لدولتي الاحتلال فإن الاطراف المتعاقدة تتعهد بنجدة كل طرف من الأطراف الأخرى بالرجال والسلاح وبالمعلومات خاصة التي قد تنقذ أي طرف من فرق المقاومة من أي ضرر محتمل ، وعلى الرغم من سذاجة صيغة الاتفاق فقد حافظت الأطراف على تنفيذه بأمانه وتعاون أزعجا القوة الشيوعية التي تشكلت في كل من يوغسلافيا ورومانيا عقب دخول روسيا للحرب ضد دولتي المحور ، وقد اتفقت قيادتا الفصائل الشيوعية في ذينك البلدين وفق توجيهات الشيوعية الأممية على دحر قوة المقاومة الاسلامية في البانيا وكوسفو وأنصارها من أتباع العقائد الأخرى في كلا البلدين .

ويتحتم أن نذكر أن الصادق من تاريخ يوغسلافيا يحدثنا أن :" جوزيب بروزتيتو" لم يكن زعيم المقاومة اليوغسلافية الوحيد بل سبقه زعماء أخرون كثر ، سبق نشاطهم نشاط تيتو بمدة طويلة ، فتيتو لم يشرع في مقاومة المحور إلا بعد مهاجمة المانيا النازية لروسيا ، أما قبلها فقد كان يعيش في موسكو . أما زعماء المقاومة من غير الشيوعيين وغالبيتهم من ضباط جيش يوغسلافيا الذين رفضوا التسليم بهزيمة بلادهم أمام المانيا فقاموا بلملمة فلول الجيش اليوغسلافي واختفوا في شعاب الجبال ، وخلال اسابيع قليلة إلتحق بهم آلاف المتطوعين غالبيتهم من الجنود المسرحين بعد هزيمة الحكومة الملكية وقد اكتسب بعظهم خبرة في المعارك التي خاضوها لصد

جحافل الالمان .

وفي منتصف ابريل من ١٩٤١ تفجرت أول شرارة للمقاومة المسلحة ضد الالمان على أيدي حفنه من الرجال يلتهبون حماساً لإنزال أكبر خسارة ممكنة بالغزاة الغاصبين وكأنهم لم يكونوا منذ أسابيع قليلة جنوداً في جيش مهزوم، فر ملكه وحكومته، وتركاه فريسة للغاصبين، وكان من حسن حظ المقاومة أن كان من بين الضباط الذين قادوا المقاومة عدد منهم سبق أن تلقى تدريباً راقياً في الإدارة العسكرية وفي التنظيم ، كما كان أحدهم متفوقاً في علم النفس العسكري مما مكنّه من تنظيم جنوده في شبكة مقاومة متماسكة جيدة الاتصال فيما بين فصائلها وقادها بحزم وعدل مشوبين بعطف أبوي وكان ككل قائد متطوعين – يعمل على تفهم عقلياتهم ودوافعهم ، عالماً بحدود سلطانه عليهم ، خبيراً بكسب ولائهم فأدار شؤونهم في غير ضعف وبحزم لايصحبه عسف فأطاعوه عن حب واحترموه عن تقدير فتمكن من نشرهم في المدن وفي الشعاب وفي الرُبى ، وكان من بينهم من عملوا ضباط شرطة وأطباء وسائقي قطارات وندل مطاعم وحانات ، كما نظم شبكة مخابرات مكنّته من التعرف على حركات الاعداء ومخططاتهم ولعل أفضل مصادر أخباره هن صويحبات المواخير ، فهن – رغم مهانة مهنتهن – لم يتجردن تماماً من الوطنية فكّن يستغللن ضعف الجنود الالمان والايطاليين فيحصلن منهم على أدق الأسرار .

ووفقاً للتحالف نشأت علاقات قوية بين حركة المقاومة الالبانية وحركة المقاومة اليوغسلافية وبخاصة مع حزبي " ليغاليتتي" و"الحزب الاشتراكي " ، إذ لم يكن الحزب الشيوعي الالباني قد نشأ بعد ، وقام بين الحركتين اليوغسلافية والالبانية تعاون كامل وتنسيق منظم وبخاصة في تبادل المعلومات عن الاعداء ، وفي الخدمات الطبية وفي تبادل الخبرات في ميدان

مسالك الجبال وفي مناطق الحدود ، وقد استمر هذا التعاون الى أن سيطر الشيوعيون على حركات المقاومة في البانيا ، كما سيطر شيوعيو " تيتو" على حركة المقاومة في يوغسلافيا عملاً بمخططات الشيوعية العالمية " الكومينترن" في إضعاف حركات المقاومة غير الشيوعية توطئة لإستيلاء الشيوعيين على البلدين - وقد ساعد الحلفاء وبخاصة الانجليز.. في مكان آخر من هذا الكتاب - على مناصرة الشيوعيين وإغفال الحركات الأخرى - فأنهى أنور خوجة حركة المقاومة الاسلامية في البانيا بالانقلاب عليها مخلاً بالاتفاق الذي وقعه معها سنة ١٩٤٣م بأسم " اتفاق موكاج" ولم يكتف بهذا بل حاربهم حرباً عنيفة اضطرتهم الى مهادنة الالمان والايطاليين ليتفرغوا للدفاع عن أنفسهم فأستغل " خوجة" هذه المهادنة واتهم المقاومة بالخيانة ، وسار " تيتو" على نفس النهج ضد فرق المقاومة الوطنية في يوغسلافيا ، وبعد تعاون لفترة طويلة بين قادة المقاومة اليوغسلافية وتيتو ، انقلب تيتو على زعماء المقاومة من غير الشيوعيين في نفس اليوم الذي أنقلب فيه أنور خوجه على فرق المقاومة الالبانية من غير الشيوعيين، مما يدل على أن هذين الانقلابين هما أمر قد دبر بليل أحمر . وكان تيتو قد شجع العقيد السفاح " دراجا ميخايلوفيتش " على الايقاع بالمسلمين في المقاطعات اليوغسلافية التي يكثر فيها المسلمون فلما حان الوقت للقضاء عليه كزعيم اشتهر بالجرأة والقسوة قام تيتو بإتهامة بالعمالة للألمان والايطاليين وساعده الانجليز على ذلك . وما أن إنتهت الحرب حتى طارده بلا هوادة فلما قبض عليه بمساعدة المخابرات الانحليزية حاكمه محاكمة وفق مخطط معين إنتهت بإعدامه حتى لاينشر على العالم أسرار سحق الشيوعيين لكل وطني قد يشتم منه مقاوما للسلطة الشيوعية التي خطط لها بمهارة لتحكم يوغسلافيا عقب إنتها الحرب ، وهكذا كان إعدام هذا السفاح جزءاً من المخطط الهادف الى التخلص من الزعماء الوطنيين والشخصيات التي اشتهرت أثناء المقاوم

الوطنية الذين تخشى الشيوعية الأممية خطرهم فكانت تصفيتهم جسدياً نوعاً من التحوط للمستقبل وقد استغلت في إدانة هذا السفاح فضائع المجازر التي أقدم على ارتكابها بين مسلمي مقاطعات "خرواتيا" و "البوسنا" و"الهرسك"كما سبق أن أوضحنا .



السفاح دريا ميخايلوفيتش

إن كل ماجرى للمقاومة غير الشيوعية في كل من يوغسلافيا والبانيا تم وفق مخطط معين مدروس بعناية هدفه بلشفة البلقان وبقية الشعوب القاطنة بين اليونان والبحر الأسود ، بينما نجد فرنسا وإيطاليا وفيهما أكبر حزبين شيوعيين في أوروبا قد أعد لهما مخطط خاص بهما نظراً لأن العسكريين الذين لايعنون بالسياسة والمثقفين واعداد غفيرة من السياسيين والرأسماليين كانوا يمثلون نسبة الثلثين بين رجال المقاومة في إيطاليا و فرنسا وهو أمر جعل الشيوعية الأممية تيأس من السيطرة على حركات المقاومة في ذينك البلدين .

قيصر البانيا الأحمر
أنور خوجة

ولد في "جيروكاستر" في ١٦ أكتوبر سنة ١٩٠٨م . من والدين من عامة الناس ، ودرس في المدارس الالبانية ، تلقى تعليمه الثانوي بمدينة "كوركا" بالبانيا ، ثم ذهب الى فرنسا ومن بعدها الى بلجيكا للدراسة ، وكان يعمل أثناء دراسته الجامعية والعليا ، وعاد إلى ألبانيا سنة ١٩٣٦م . وعين مدرسا في المدرسة الثانوية التي درس بها في كوركا، واستمر بها حتى ابريل سنة ١٩٣٩م . حيث طردته منها الحكومة الالبانية المتعاونة مع

الايطاليين انذاك فذهب الى العاصمة ، وانضم فورا الى الحركة الشيوعية ، وكان في أثناء وجوده في بروكسل قد اتصل بالشباب الشيوعي فيها الذين ساعدوه في العثور على عمل مقابل الانضمام الى نقابة عمال يسارية في " لييج" ولم يلبث أن برزت صفاته الخاصة المشرئبة دوما الى امتلاك السلطة بأي ثمن . ويقول في مذكراته أنه خلال تلك الفترة تعرف على جميع الأحزاب المنتشرة في بلجيكا وفرنسا دون تمييز بين أحزاب أقصى اليمين فأحزاب الوسط فأحزاب اليسار ثم أحزاب أقصى اليسار على مختلف اسمائها ، ويقول أنه لافائدة ترجى من أي حزب عدى الحزب الذي تؤيده " البروليتاريا" وهو الحزب الوحيد الذي تضمن بقاءه القوة العاملة في أي بلد أطول مدة ممكنة ، اذ العمال جميعهم فقراء إلا ماندر ولايخلو منهم شعب ، وحيث ماوجد الفقر وجد الظلم ، والظلم يحتاج الى مكافحة ، ومكافحة الظلم هي هدف البروليتاريا الأسمى . وقبيل احتلال قوات " هتلر" لبلجيكا في أوائل سنة ١٩٤٠م تسلل أنور خوجة سرا بمساعدة نقابته اليسارية الى أن وصل الى موسكو حيث زار مهد الشيوعية ، وكنها الأمين ، فلما أعلنت ايطاليا الحرب على الحلفاء أوصلته منظمات الشباب الشيوعي الروسي الى يوغسلافيا ومنها تسلل الى البانيا . لينضم مبدأيا الى الحزب الملكي " ليغاليتيتي" واختاره من بين الأحزاب القائمة لعدم وجود حزب شيوعي أولا ، ولأن الحزب الملكي يملك المال وله الكثير من الأنصار في العاصمة ، وفي تلك الأثناء تعرف على مجموعات مختلفة من معتنقي الشيوعية ثم اختار اقواها وانضم اليها معلنا تأييده لها ، ولم تنقطع صلاته ببقية الحركات المناوئة للأستعمار الايطالي حتى وصل مندوبا الحزب الشيوعي اليوغسلافي اللذان لعبا دوراً أساسيا في تكوين الحزب الشيوعي . كما أوضحنا في فصل سابق . وهما اللذان أوصلاه الى قمة السلطة ولم تنجح أية محاولة لتخليص البانيا منه حتى صرعه مرض السكر في ١١أبريل سنة ١٩٨٥م . وهو في

في السادسة و السبعين من العمر بعد أن حكم البانيا طيلة الـ ٤١ سنة التالية للحرب العالمية الثانية ، حكما دكتاتوريا مطلقا ، مستغلا الصراعات الدولية للاحتفاظ بالرقعة الصغيرة التي يحكمها ، وعمد الى عزل بلده ، وعزل شعبه عن العالم لتيقنه من أن البانيا ليست القوة التي تلتفت اليها الدول واذا ما كفت الناس شرورها ، فلها ان تصنع بنفسها ماتشاء .

بقيت ايطاليا البلد الأوربي الوحيد الذي يحتفظ بشيء من العلاقات التجارية تمارسها على استحياء وخوف من شريكاتها الغربيات ، وهي مازالت تنظر الى البانيا نظرة الوصي السابق والجار الطامع ، ولم يكن من السهل على أنور خوجه ان يقوى الصلات مع يوغسلافيا بسبب ما اقتطعته من أراض من وطنه ، وبسبب مايحس به من مطامع داعبت احاسيس تيتو ثم احاسيس من خلفه .

أما اليونان فسكانها أشد عداء له ولألبانيا من عداء غيرهم ، وعداؤهم قائم على أسباب دينية وتاريخية وعرقية وعقائد سياسية ، فاليونانيون لم يغفروا له قط مده للشيوعيين اليونانيين بالسلاح والمال والتدريب أيام حربهم الأهلية التي قامت بينهم وبين الحزب الشيوعي اليوناني " ا.ي.م . عقب الحرب العالمية الثانية مباشرة ، فضلا عن لوم اليونانيين الشديد لأنور خوجة لإغلاقه لحدوده معهم وايقافه لصادرات البانيا من اللحوم الى اليونان في فترة كانت اليونان في أشد الحاجة الى تلك اللحوم ، ويكرر الناس في مقاهي أثينا عبارة منسوبة الى ملك اليونان الاسبق الملك " بول" ومؤداها " لعل من حظ الالبانيين اننا في القرن العشرين ، ولولا هذا لشبعنا من لحومهم ومن لحوم مواشيهم " وسواء أصحت نسبة هذه المقولة الى الملك أو لم تصح فإنها تصور تصويراً دقيقا أحاسيس اليونانيين المضادة للألبانيين وكان قرار اغلاقه للحدود مع اليونان هو بداية قراراته المتطرفة ، ويظهر أنه

قد استمرأ التطرف فصار ديدنه ، فاندفع الى اتخاد قرارات مثيرة مثل قرار فصم العلاقات مع روسيا في عهد "خروتشوف" سنة ١٩٦١م . عندما شهر الأخير باستالين ، ونتج عن قطيعته مع روسيا خروج البانيا من حلف " وارسو" ومن منظومة " الكوميكون" الاقتصادية الموازية للسوق الأوربية المشتركة ، وهو قرار حرم روسيا من تسهيلات قاعدة لغواصاتها في البحر الادرياتيكي وهي قاعدة الغواصات الوحيدة التي تملكها روسيا في قلب أوربا ، ثم انشأ علاقات حميمة مع الصين الشعبية نكاية في روسيا التي تنكرت للاستالينية، وهو المبدأ الذي يدين به أنور خوجه ظاهريا ورأى معاقبتها بتحويل البانيا الى جسر يربط الصين عدوة روسيا بأوربا ، ازدهرت عن طريقه تجارة الصين بخاصة واقتصادها بعامة ، فعن طريق البانيا وصلت المنتوجات الصينية الى أوربا ووصل الكثير من المنتجات الأروبية الى الصين ، كما وصلها الكثير من اسرار التكنولوجيا الغربية ، ولكن أنور خوجة اوقف هذه الصلات دفعة واحدة عندما زار " نيكسون" رئيس الولايات المتحدة السابق الصين الشعبية سنة ١٩٧٢، وبقطيعته مع الصين صارت البانيا في عزلة تامة عن العالم قاطبة ، ولم يشفع له عداؤه للصين ولروسيا، معا عند الغرب ، اذ اعتبرته أوربا وأمريكا اشد إستالينية من زعماء كل من الصين وروسيا. وهو أمرأدى الى اخفاق وساطة ايطاليا بين البانيا وأوربا وأمريكا غير أن ذلك الاخفاق لم يحل دون استمرار الصلات المختلفة بين ايطاليا والبانيا كما ذكرنا .

وعلى الرغم من الاتهامات الخطيرة التي وجهتها يوغسلافيا الى أنور خوجه فقد حرصت تيرانا على أن يكون معلوما للجميع أن سياستها حيال يوغسلافيا لم يطرأ عليها أي تغير ، فهي سياسة قائمة على " ان البانيا لاتحبذ أي زعزعة في استقرار يوغسلافيا " ولكنها لايرضيها مطلقا عجز

يوغسلافيا عن منح الالبان الكوسفيين حقهم في تقرير مصيرهم ، أو على الأقل حقهم في انشاء جمهورية خاصة بهم في نطاق اتحاد الجمهوريات اليوغسلافية ، وتكرر اتهام بلغراد لتيرانا بأنها تثير النعرة الانفصالية في أوساط الأقلية الالبانية ، وتدعى بلغراد ان الأغلبية العظمى من الكوسفيين يعلو صوتها بالمطالبة بجمهورية لهم ضمن الاتحاد اليوغسلافي ، وتدعى أيضا أن كوسفو لم تكن قط جزءاً من البانيا ، وان الكوسوفيين لايرون في البانيا مايرغبهم في الانضمام اليها ، ويصرون بأن الباني كوسفو لو تظاهروا في البانيا للمطالبة بأي شيء مهما قل مما يطالبون به حكومة يوغسلافيا لما أبقى " النظام الخوجوى " منهم حيا واحدا قادرا على التظاهر مرة أخرى ، وتقول اذاعة بلغراد :" يفخر خوجه بأن سجونه تكاد تخلو من السياسيين المحكوم عليهم بالسجن ، ولعله صادق في ان سجونه لا تحتجز الا القليل منهم ، لكنه لم يخبرنا عن اعداد خصومه الذين طوتهم القبور، ولاعن الذين يذوون في معسكرات العمل الاجباري، أو يموتون جزءا جزءا في معسكرات الاعتقال (١).

ان آخر عامل يمكن أن يكون له تأثير ايجابي أو سلبي على سياسة خوجه هو الشعب الالباني نفسه أو رغباته أو حقوقه ، إذ ان الشعب الالباني ، كجميع الشعوب الخاضعة للحكم المطلق للحكام الشيوعيين الذين يعتنقون عقيدة راسخة تتمثل في أنهم لايخامرهم أدنى شك في أن الناس عاجزون عن التمييز بين الخير والشر ، كما أنهم لايعرفون ماهو أصلح لهم ، ولا يشك الشيوعيون في ان الناس لو علموا لما اختاروا عن الشيوعية بديلا مالم يزغ بهم عن الحق زائغ أو دافع سياسي فاسد ، ويعتقد أنور خوجه أنه

(١) بلغ العدد المعروف للمعتقلين السياسيين خلال الأربع عشرة سنة الأخيرة ٤٠٠ معتقل ، ويحتمل ان هذا العدد لايمثل إلا قلة منهم ، عن تقرير منظمة العفو الدولية . بتاريخ ١٢/٣/١٩٨٤م .

مهما تفاوتت المستويات العلمية واختلفت الخلفيات الثقافية للألبانيين فإنهم سيتجهون شطر الماركسية عقيدة سياسية ، وشطر الاستالينية كأسلوب لتجسيد المبادئ الماركسية في ضوء الشروح اللينينية، ولما كان خوجه يمتلك براعة خاصة نفاقية الطابع ، فقد مكنته من إظهار غير مايبطن ، كما كان قديرا على ان يقول مايريد ان يقوله بدقه ، لا أن يقول مايحس به أو يدور في عقله ، ولم تند عنه كلمة واحدة تكشف عمق خداعه وزيفه ، حتى توهم أكثر الناس أنه يؤمن بما يقول فعلا ، ومع ذلك فهو يرفع شعارات لايؤمن بها لكنه يواصل اعلانها في كل مناسبة مخادعة منه للناس ، وقد نجح في هذه المخادعة نجاحا تاما ، أما الشيء الوحيد الذي اخفق في المخادعة فيه فهو النفاق الديني اذ لم يتمكن قط من اخفاء عدائه للأديان عامة : فأعلنها صيحة صريحة بأنه والشعب الالباني والبانيا كلها قد اعتنقوا الالحاد وطبقه فعلا الحادا فاجرا دون أي ستار ، وهو الحاد ملك عليه اقطار مشاعره ، ففرضه على مواطنيه وعلى بلده . أما عدا مايتعلق بالأديان فقد مارس نمادج مضللة من النفاق والمين والخداع توحي بصدقه بينما هو على خلاف مايحاول أن يوحى به . وقد سخر جميع وسائل الاعلام لنشر أفكاره المترجمة للمبادئ الشيوعية وفق فهمه السقيم لها .

نشأة هيكل الحكومة الالبانية

عند اعلان استقلال البلاد سنة ١٩١٢م كان هناك الهيكل الاداري للولاية العثمانية ، التي كانت تسير أمور البلاد وهو مكون من مكتب الوالي يساعده موظفون كبار متخصصون أهمهم مدير الشؤون العسكرية . وهو ضابط كبير تتركز في شخصه السلطة العليا فـــي الشؤون العسكرية ويراجـــع

(الجهادية) - وزارة الحربية في اسطنبول رأساً ، غبر أنه كثيرا ما أجتمع في شخص الوالي نفسه السلطات المدينة بصفته واليا ، والعسكرية أيضا بصفته قائد للحامية إذا كان الوالي ضابطا في الجهادية ووقع عليه الاختيار ليحكم الولاية . يليه في الأهمية من حيث المسؤوليات مدير بيت المال وهو المسؤول عن واردات البلاد المالية ومصروفاتها ، ويعمل هو وزملاؤه الآخرون تحت الاشراف المباشر للوالي ، وكل واحد من زملائه مسؤول عن قطاع معين في حكومة الولاية منها الداخلية والعدلية والصحة والزراعة.

وبقيام سلطة البانية أبقت الحكومة الالبانية الجديدة هذا الهيكل بعد أن اطلقت أسماء جديدة على تلك الادارات فبعضها صار وزارة وبعضها صار مصلحة . وبعضها بقى ادارة كما كان . وفي سنة ١٩٢٥م . بعد التدخل الايطالي المباشر وانتشار المستشارين والخبراء الايطاليين في الدوائر الالبانية ابتدأت الحكومة تتبنى النمط الاداري الايطالي وبعد اعلان أحمد زوغو للملكية وامداد إيطاليا له بالقروض المالية وماتبع هذه القروض من تدخل سافر في السياسة العامة للدولة وفي الجيش استمر نفس النظام الاداري إلى أن احتلت ايطاليا البانيا سنة ١٩٣٩م وعندها صبغت الادارة الالبانية بصبغة ايطالية فاشية محضة ، منهية بذلك هيكل الحكومة الالبانية الذي اختفى تماما حتى ١٩٤٣/٦/١م ففي ذلك التاريخ اجتمعت وفود عن فصائل المقاومة الوطنية واختارت "اسبيرواتائيسو"قائداً عاماً لجيش المقاومة الوطني فاختار أنور خوجة مستشاراً سياسياً له وولدت معه في نفس الوقت الادارة الالبانية الحالية فبحكم، منصبه انشأ ادارة صغيرة لتسيير الشؤون السياسية والادارية للمقاومة وأخذ يرعاها ويوجهها وفق خطط وتعليمات الشيوعية الأممية الثالثة ، فلما انتهت الحرب لم يكن في

البانيا من هيئة منظمة غير الجبهة الديمقراطية [الشيوعية] فسيطرت على البلاد، فلما انتبهت الفصائل الأخرى كان الأمر قد افلت من يدها، فلجأت إلى السلاح ولكن سوء تنظيمها ومؤامرات من حولها وخسة السياسة البريطانية وحسن تنظيم الفصائل الشيوعية، ومايصلها من مدد كبير من السلاح والمال والنصائح ، كل هذا كان العامل الحاسم في استيلاء الشيوعيين على زمام الأمور، وهزيمة غيرهم وما أن استقرت الأوضاع لانور خوجه في البلاد وفق ماخططته الشيوعية الأممية، وضمن خوجة النجاح في القضاء على جميع معارضيه المحتملين قبل معارضيه المجاهرين - حتى شكل جمعية وطنية بالتعيين - من انصاره المؤتمنين ورصّعها ببعض الوجوه الوطنية التي اشتهرت اثناء الكفاح ممن لاخطر منهم على مخططاته ، ولأن مشاركتهم في الجمعية الوطنية تضفي عليها ثوبا قوميا دون أن تعرض مشاريع الشيوعية الأممية في البلقان للخطر .

وفي ١٩٤٦/٦/١١م تم عقد مؤتمر عام حشر له أنصار خوجه عدداً كبيراً من المواطنين دام بضع ساعات ذهب معظمها في خطب اعدها خطباؤها سلفا تشيد بكفاح الحزب الشيوعي " دون غيره" لتحرير البلاد . ثم القى خوجة خطابا قصيرا أعلن فيه إلغاء النظام الملكي رسمياً ثم تكلم بلهجة خطيرة معلناً تشكيل الجمهورية الشعبية الالبانية " القادرة على سحق اعدائها ومكافأة أحبائها " وانفاذ سياستها مهما كلف ذلك من جهد وارواح ومال . ولما هتف بعض انصاره اسكتهم قائلا مضى وقت الكلام وحان وقت العمل ، ثم اعلن ان الجمعية الوطنية اقرت الدستور .

وتم استفتاء الشعب عليه بكلمة لا أونعم . وقال وزير الداخلية في خطاب أذيع ان موافقة الشعب على دستوره كانت بالاجماع الكامل .



أنور خوجه يتحدث فى مؤتمر الحزب

تنظيم السلطة الشيوعية في البانيا

أولا : المكتب السياسي ويتكون من ١٢عضوا كامل العضوية يرأسه أنور خوجة .

ثانيا : اللجنة المركزية للحزب وتتكون من ٨١ عضوا كامل العضوية و٣٩ عضوا احتياطيا .

ثالثا : امانة الحزب وتتكون من خمسة اعضاء .

رابعا: مجلس الشعب والهدف من خلق هذا المجلس هو اظهار عملية " اختيار" اعضائه في مظهر ديمقراطي ، غير أنه لامجال لاختيار أحد من خارج قائمة الجبهة الديمقراطية ، وعلى المواطن أن يقول نعم أولا للقائمة باجمعها . والمرشحون مجهولون غالبا لغير جيرانهم وزملائهم في العمل ، ولكنهم - كمرشحين للجبهة - هم موضع ثقة الحزب ولامناص من انتخابهم ، ومجلس الشعب يتكون من ٢٥٠ عضوا ، وهو الهيئة الدستورية القيادية في الدولة غير أنه - في الواقع - يصادق غالبا على قرارات متخذة من آخرين . فجميع المرشحين لعضويته يجب أن يكونوا ممن تتضمن قوائم الجبهة الديمقراطية اسماءهم ، والجبهة الديمقراطية هي الفائز أبدا ، ففي اخر انتخابات اجراها خوجه قبل موته ، وتمت في ١٤ نوفمبر ١٩٨١ . صوّت مواطن واحد (١) ضد مرشحي الجبهة المذكورة التي نال مرشحوها جميع الأصوات الا واحدا ، وكان مجموعها ١٦٢٧٩٦٨ صوتا ، واعتبرت ٨ أصوات ملغاة .

خامسا : مجلس الوزراء ويتكون من ١٨ وزيراً .

سادسا: الهيئات الشعبية المساعدة للسلطة الشيوعية .

١ - اتحاد العمال الالبانيين ويضم ٦٠٠,٠٠٠ عضوا .

٢ - اتحاد الشبان العمال الالبانيين .

---

(١) Keesing Vol XXVI P.31972.

٣ – الاتحاد النسائي الالباني .
٤ – حزب العمال الالباني ويضم ١٢٢٦٠٠ عضو ، منهم ٢٤٣٦٣ عضوا مرشحون للعضوية الكاملة . وجميع الأعضاء مصنفون في الفئات التالية :
٦٧,٤٪ عمال ومواطنون .
٣٢,٦٪ عمال مكتبيون (موظفون)
٣٠٪ نساء أعضاء كاملات العضوية .
٤٠٪ نساء مرشحات للعضوية الكاملة .
٥ – وسائل الاعلام وجميعها ملوكة للسلطة الشيوعية وهي:
١ – اذاعة مسموعة (اذاعة تيرانا) تبث بعدة لغات منها اللغة العربية وهي اذاعة قوية تسمع في معظم انحاء المعمورة ما يقرب من ٩٠ ساعة بث يوميا .
٢ – وكالة البرقيات الالبانية (الوكالة الرسمية للاخبار) .
٣ – محطة ارسال اذاعة مرئية لاترى خارج البانيا الا فى مناطق الحدود وتشوش يوغسلافيا واليونان على بثها .
أ – مجموعة المجلات والجرائد التالية :
– الجريدة اليومية " زيري إي بوبوليت"
– الدورية الشهرية للتنظير " رونمابرنزى"
– الجريدة اليومية " باشكمى" تصدرها جبهة التحرير الوطني .
– الجريدة النصف الاسبوعية " زيرى روبنسى " يصدرها اتحاد الشباب العامل .
– الجريدة النصف الاسبوعية " بونا" يصدرها اتحاد العمال .
٥ – نشرات وكتيبات تصدرها في المناسبات القومية تشرح نظريات خوجه باسلوب سهل .



أول لجنة مركزية لحزب العمل الألباني

المؤتمر الثامن للحزب

سياسة البانيا منذ يوليو سنة ١٩٨١م الى يوم عقد حزب العمال الالباني مؤتمره الثامن في الأول من يونيه سنة ١٩٨١م ، وقد حضر اجتماعاته ٢٣ وفدا من مختلف أنحاء العالم بينها وفد واحد ممثل لحكومته هو الوفد الفيتنامي ، اما بقية الوفود فجاءت لتمثيل جماعات صغيرة في بلادها متفاوتة التأييد لسياسة البانيا المتشددة . ولم يكن من بينها وفد عن الصين الشعبية أو وفد عن الاتحاد السوفيتي . أو وفد عن شيوعي الولايات المتحدة ، وكان هناك وفد عن الحزب الثوري الشيوعي الماركسي اللينيني البريطاني.

وهذا المؤتمر استحق منا اهتماما خاصا لكونه اخر مؤتمر عقد في حياة أنور خوجه، كما كان أول مؤتمر يعقده حزبه بعد تفسخ العلاقات بين البانيا والصين الشعبية ، وهو تفسخ انعكس صداه في الكلمات التي القاها الالبانيون في مؤتمرهم وبطبيعة الحال كان اعنفها هي الكلمة الافتتاحية للحزب التي رفضت بكلمات عنيفة متفجرة " السياسة الصينية الليبرالية "، كما رفضت سياسات الولايات المتحدة الأمريكية ، وسياسات الاتحاد السوفيتي ، وعلى الرغم من أن مادار في ذلك المؤتمر هو صورة مكررة لما دار في كل مؤتمر سبقه من المؤتمرات السبعة ولاتتغير فيه الا أسماء الاشخاص باستثناء اسم أنور خوجه ، وبإستثناء بعض الأرقام ، غير أنه لوحظ انتقال اسماء بعض الدول في قوائم تقارير المؤتمر من قائمة الاصدقاء الى قائمة الاعداء نظراً لأنتقالها من قائمة الأوفياء للمبادئ الاستالينية الى قائمة المنحرفين عن المبادئ الشيوعية ، أي الذين خانوا " ستالين العظيم ومبادئه " مع ان أنور خوجة في الحقيقة لاهو ستاليني ولاتروتسكي ولاشئ آخر سوى أنه مثال صارخ للأنانية الحادة التي تلف

نفسها في رداء فضفاض من المبادئ الشهيرة لتتستر بها عند ارتكاب ابشع الجرائم، وعند تخطيط اعقم السياسات، فهو بسبب ذكائه المحدود لم يكن يعرف الكثير عن حقائق الحياة ، وان لم يجهل حقيقة مزعجة واحدة هي تلك التي اسماها " مابعد تيتو" فقد كان اشد مايقلقه هو احتمال ان يتولى زعامة يوغسلافيا احد عملاء روسيا ، أي أنه كان شديد الخوف من أن يستيقظ ذات صباح فيجد الدب الروسي يتجول في جنوب صربيا او في هضاب الجبل الأسود .

وكانت الخطوط العريضة لمخطط السنوات الخمس ، وهو السابع منذ تولي الشيوعيين الحكم ، وأبرز مافيه اقتراح يهدف الى الاستغناء الكامل عن الإعانات الخارجية (سبق للصين الشعبية ان قدمت اعانات سخية جدا ، وهامة للغاية توقفت بعد تردي العلاقات بين البلدين) والاقتراح المذكور تطبيقا لتعديل دستورسنة ١٩٧٦م . وهو تعديل يحرم قبول المساعدات الخارجية . وهكذا حرمت البانيا من المساعدات الصينية كما سبق ان حرمت من مساعدات عسكرية واقتصادية من روسيا بدأت منذ الايام الأولى للحكم الشيوعي في البانيا على عهد ستالين واستمرت في عهود من جاءوا بعده وخلال الفترة الأولى من عهد خروتشف الى أن هاجم خروتشف الاستالينية فقاطعه أنور خوجه سياسيا، فقطع خروتشف جميع المساعدات عن البانيا ، ولا مفر لنا من أن نذكر أن المساعدات الروسية هي التي مكنت أنور خوجه وحزبه من القبض بيد من حديد على مقدرات البانيا وحالت دون أن يلعب جيرانها بتلك المقدرات كما اعتادوا أن يفعلوا منذ سنة ١٩١٢ الى سنة ١٩٤٨م .

وأهم ما تناوله المؤتمر في قطاع العلاقات الخارجية مايلي :

١ - تدهور العلاقات السياسية مع يوغسلافيا نتيجة تصرفات حكامها ضد الاعراق الالبانية في كوسفو التي تمت في ربيع عام ١٩٨١ .

٢ - الالحاح على المطالبة بما تملك من ذهب محتجز في مصرف بريطانيا المركزي منذ نهاية الحرب العالمية الثانية . وتقول البانيا ان قضية استردادها لذهبها هي الحائل الوحيد دون اعادة ربط علاقات دبلوماسية مع بريطانيا .
ولعلّنا نختصر طريق تحليل سياسة البانيا في النصف الأول من العقد الثامن من هذا القرن بإيراد فقرات من بيان الحزب الذي القاه أنور خوجه في أول نوفمبر سنة ١٩٨١م أمام اللجنة المركزية للحزب بصفته الأمين الأول للحزب ، وقد استمر القاء الخطاب سبع ساعات ونشرته وكالة الانباء الالبانية ، وإذاعته اذاعة تيرانا ، ونورد عناصر الخطاب الاساسية في الفقرات التالية قال خوجه في خطاب الافتتاح :

أ - الدولة : بالرغم من قطع الصين المفاجئ المشين (١) لعلاقاتها الاقتصادية مع البانيا الذي استهدف خلق حالة تفسخ في الاقتصاد الالباني ، إلا أن شعبنا نجح في تجنب عواقب مساوئ الوضع الجديد ، وعلى الرغم من هذه النكسة فقد حققنا ازدهاراً في مجالات التصنيع والتنمية الزراعية وفي قطاعي الثقافة والتعليم ، كما تمكّنا من تقوية شبكات دفاعنا الوطني .

ب - تبادل التمثيل الدبلوماسي : ربطنا علاقات دبلوماسية مع ٩٥ دولة وكانت لألبانيا علاقات مع ٧٤ دولة حتى نوفمبر سنة ١٩٧٠ .

ج - الحزب : قام حزبنا منذ مؤتمره السابع بتمتين روابطه مع مجموع شعبنا فارتفع عدد اعضائه الى ١٢٢٦٠٠ عضو تمثل حوالي ٤،٥٪ من مجموع الشعب وان ٣٨٪ من مجموع الأعضاء هم عمال ، اما العاملون بالمكاتب (الموظفون) فيبلغون ٣٢،٦٪ و٢٩،٤٪ هم اعضاء التعاونيات أما النساء فيشكلن ٣٠٪ من مجموع الأعضاء ، ونسبة العمال بين أعضاء الحزب في تزايد مستمر .

د - الاقتصاد : استعرض الخطاب تفاصيل الخطة الخمسية ٨١- ١٩٨٥م

---

(١) Keesing Contemporary Archives 8/1/1982 P.31975

التي اعدتها اللجنة المركزية للحزب والتي سيتدارسها المؤتمر توطئة لإقرارها ، وهي أول خطة لألبانيا لاتعتمد على أي عون أو قرض خارجيين وفيها من أنواع الطموح أكثر من أي خطة خمسية سابقة وتتضمن نموا مكثفا في جميع ميادين الاقتصاد .

هـ - السياسة الخارجية : أبدى الزعيم خوجة اهتماما بالغا بالتوتر المسيطر على شؤون العالم الذي وصفه بأنه " انعكاس صراع الطبقات " وقال : ان التنافس بين القوى العظمى أجبر معظم البلاد غير المنحازة على التحالف مع هذه الكتلة أو مع تلك ، ونتج عن ذلك أن حركة عدم الانحياز التي تفخر يوغسلافيا بأنها عضو بارز فيها قد انتهى دورها المائع غير المحدد الذي كان سناؤه يشرق أو يخبو حسب مايحيط به من ظروف تعكس رغبة القوى العظمى .

و - خصص الزعيم خوجة شطرا هاما من خطابه شدد فيه على ضرورة تطوير علاقة البانيا بيوغسلافيا ، وطالب يوغسلافيا بإحترام سياسة البانيا الخارجية المبنية على توثيق العلاقات مع جيرانها وخاصة يوغسلافيا (١) ولكنه اشترط - كما فعل دائما -أن تستجيب يوغسلافيا لمطالب الكوسفيين

---

(١) وردت يوغسلافيا على الخطاب بإحتجاج شديد اللهجة يتهم البانا بالتدخل في شؤون يوغسلافيا الداخلية ، ويتهمها بأنها تجادل جدالا باطلا حول سلامة أراضي يوغسلافيا ، وانذرت بلغراد تيرانا بأن موقفها من موضوع كوسفو يهدد النتائج الطيبة التي توصل اليها البلدان ، بالإضافة الى أن التدخل من جانب البانيا قد يضر ويزعزع استقرار الحدود في البلقان ويفتح الباب للتدخل الأجنبي ليزيد في توتر المنطقة كأن البانيا لاتكتفي بما تعاني دول البلقان من توتر .

لقد اطلنا في استعراض فصول سياسة يوغسلافيا في كوسفو ، وهي سياسة جرت على الالبانيين مصائب صبروا عليها طويلاً فلما فاض الكيل ثاروا فقدموا ضحايا كثر وشلوا الاقتصاد واتلفوا مباني ومنشاءات وكشفوا ضعف السلطة في حفظ الأمن مما اضطر السلطات الى اللجوء الى عنف بالغ وسياسة قمع تركت جروحا عميقة لايقوى الزمن على محو ندوبها، وسكت الكوسوفيون أمام حدة حراب الصربيين وإعوانهم ولكن سكوتهم ليس ابديا ما لم تلب مطالبهم

(المؤلف)

بحقهم في تقرير مصيرهم مهما كان نوع قرارهم ويرى أن أقل مايجب أن تمنحه يوغسلافيا هو اعتراف بإنشاء جمهورية خاصة ولو كانت ضمن الاتحاد اليوغسلافي الذي يضم اعراقا كثيرة ، يتمتع كل منها بإدارة شؤونه في جمهورية خاصة به ، يمارس فيها سياسته بالطريقة التي يرتاح لها.

وقال خوجة أنه من مصلحة البانيا ويوغسلافيا توحيد جهودهما لتتجنبا سويا الاخطار التي تنتج عن التوتر الذي لابس شؤون العالم والذي وصفه بأنه انعكاس لصراع الطبقات كما هو نتيجة للأزمات التي تتسبب فيها الرأسمالية العالمية وتسببها أيضا تصرفات الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة فكلا البلدين - حسب قول خوجه تبرز من خلال تصرفاته نوايا امبريالية في مناطق متعددة بما فيها شبه جزيرة البلقان ، وان كليهما يوصفان بأنهما أشرس اعداء للحرية ولاستقلال الشعوب وللسلام وللأمن في العالم " وقد أنكر جدوى ندوة هيلسنكي حول الأمن والتعاون الأوربي لسنتي ٧٥/٧٣م باعتبارها مهزلة نظمت من قبل كلا البلدين لاضفاء صفة الشرعية على هيمنتهما المتناهية في أوربا ولتتهربا معاً من حق الشعوب في مطالبتهما بتفكيك كتلهما العسكرية وباجلاء قواتهما واسلحتها الذرية .

كما وصف خوجة الاتصالات الجارية بين الصين الشعبية واليابان والولايات المتحدة بأنها تحالف امبريالي جديد يشكل خطراً جديداً يتمثل في حروب محلية أو حرب عالمية . كما نبه الأذهان الى القوة الاقتصادية التي تقودها زعامة ذات طموح غير مشروع .

وتحدث خوجة برضاً حول تطور علاقات الصداقة مع اليونان ومع فرنسا ومع ايطاليا ولقد قامت البانيا في السنوات الأخيرة بتوسيع علاقاتها الدبلوماسية والتجارية مع البلاد المذكورة .

أما تركيا والتي نعتها خوجة بأنها تشاطر الالبانيين التعاطف الذي هو وليد العادات والتقاليد المشتركة وصلات النسب والدم (١) بين الاتراك وبين ألبانيي يوغسلافيا ، وبالشعب الالباني اجمالا حيثما كانت دياره ، كما تمنى التوفيق والازدهار لعلاقة بلاده الايجابية مع الدول الصديقة وهي النمسا والسويد وفنلندا والنرويج والدنمارك وسويسرا وبلجيكا وهولندا والبرتغال . وقد رفض أي احتمال لربط علاقات مع بريطانيا بسبب مشكلة الذهب التي أشرنا اليها آنفا . ويبلغ هذا الذهب ٢٤٥٠ كيلو جرام ثمنه بأسعار اليوم أي يناير ١٩٨٤م – ٢٠ مليون جنيه استرليني ، وهذا الذهب كان مملوكا للبنك الوطني الالباني ثم صادره الالمان في أثناء احتلالهم لألبانيا في الحرب العالمية الثانية ثم سلم سنة ١٩٤٥م الى الحلفاء الذين أودعوه بنك بريطانيا وقد اعترضت بريطانيا على اعادته لألبانيا نتيجة لرفضها دفع ١٧٠٠٠٠٠ استرليني كتعويض مستحق للمملكة المتحدة عن إغراق مدمرتين انجليزيتين سنة ١٩٤٦م في مضيق كورفو . وفي مارس سنة ١٩٨١م قام فريق من الانجليز بما فيهم بعض أعضاء البرلمان (2) المنتمين لمختلف الأحزاب بالضغط على الحكومة لاعادة الذهب لألبانيا دافعهم في هذا الضغط الرغبة في استعادة ربط علاقات دبلوماسية طبيعية وتجارية مع البانيا ، غير أن " بيتربلاكر" وزير الدولة بوزارة الخارجية أخبر الفريق المطالب بإعادة الذهب بأنه تتعذر اعادته بدون موافقة أمريكا التي تطالب البانيا بتعويضات مماثلة لما تطالب به بريطانيا .

وقال خوجة : ليس هناك من عقبات في طريق ربط علاقات دبلوماسية ، مع المانيا الغربية لايمكن تجاوزها اذ لم يبق إلا بعض مسائل تخلفت عن

(١) اما صلات الدين فلا محل لها في فكر أنور خوجة الملحد، مع انها في واقع الأمر هي أقوى الصلات بين الاتراك والامة الاسلامية بما فيها الالبانيين (المؤلف) .

(٢) Keesing Contemporary Archives 8/1/1982 831275

الحرب العالمية الثانية ولايتعذر الاتفاق بشأنها وأهمها مطالبة البانيا لألمانيا بتعويضات تتعلق بالاضرار التي تسببت في حدوثها المانيا أثناء الحرب وقد رفضت المانيا دفع أربعة ملايين ونصف دولار كتعويض واشترطت البانيا دفع التعويض لاعادة العلاقات الدبلوماسية بينها وبين المانيا الغربية . أما فيما يتعلق بالدول الأوربية الشرقية - خلا الاتحاد السوفيتي - فقد قال خوجه ان البانيا على خلاف عميق مع رومانيا ، وبولونيا وتشيكو سلوفاكيا ، وبلغاريا والمانيا الشرقية والمجر حول مبادئها السياسية ، والأديولوجية ، لكنه مازال يفضل التطوير الطبيعي للعلاقات السياسية والصلات التجارية مع تلك البلاد واعلن تضامن البانيا مع منظمة التحرير الفلسطينية ، كما نبه الى علاقات البانيا الحميمة مع البلاد العربية ومع كثير من البلاد الأخرى كتنزانيا وغانا ومالي وفيتنام ولاوس ، ووصف الثورة الاسلامية في ايران بأنها قيام عفوي ضد ملك يعيش بعقلية قديمة ، كما أنها انفجار ضد المصالح الامبرالية للولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الأوسط .

وطالب بتفهم العلاقات بين البانيا ويوغسلافيا ليتمكن من حل الصعوبات وان تدرس تلك العلاقات في ضوء المشاكل المحيطة بالجالية الألبانية في مقاطعة كوسفو التي تتكون من مليون ومائتي الف الباني تشكل ٧٧٪ من سكان المقاطعة ويشكلون في الوقت نفسه ربع مجموع الالبانيين في أوربا . وفي هجوم قوي في كلماته ضد يوغسلافيا حاجج الزعيم خوجه بأن هذا البلد (يوغسلافيا) أظهر منذ الحرب العالمية الثانية شوفينية وشعورا بالقومية الصربية تولد عنها انتقام دموي ضد ألبانيي كوسفو في سنة ١٩٤٥م وفي سنة ١٩٦٨م وفي سنة ١٩٨٠م" واصر أنهم مازالوا يعصفون بحلفائهم الالبانيين الذين سبق أن اتحدوا معهم ضد الاحتلال الالماني للبلقان خلال الحرب العالمية الثانية . وان صربيا استنت عهدا من الارهاب في كوسفو عم الالبانيين ولم يكن موجها فقط للقضاء على أي حقوق

مشروعة ، بل وموجه للقضاء على القليل من المكاسب التي تحققت في ميادين التطور التعليمي والثقافي، والارهاب موجه أيضا ضد جوهر الشعور القومي بين الباني يوغسلافيا . وقال ان مظاهرات سنة ١٩٨١م قد اعقبتها حملة تهدف الى اضفة الالبانين واسكات انتقاداتهم تمثل في التحقيق الذي اجرته الشرطة في حقيقة ولاء الباني كوسفو لحكومة الاتحاد اليوغسلافي ولحزبها الشيوعي، وأدعى الزعيم خوجه ان المارشال تيتو وكان زمن الحرب قائدا للمقاومة السرية اليوغسلافية الشيوعية ثم رئيسا للجمهورية منذ سنة ١٩٥٣م. حتى وفاته سنة ١٩٨٠م سلم بأن احتفاظ يوغسلافيا بمقاطعة كوسفو هو أمر فرضته فقط ظروف طارئة ووعد بأنها في النهاية ستعود الى البانيا . والواقع ان كوسفو كانت جزءا من يوغسلافيا منذ انهيار الامبراطورية العثمانية ، وان عواقب التطورات في يوغسلافيا وخاصة اخفاقها في تحقيق وعدها بمنح كوسفو وضع الجمهورية الكامل هو نتيجة لسير التطورات في يوغسلافيا وبخاصة اخفاقها في تحويل كوسفو الى جمهورية ،وعلى اى حال فقد ظهر ان هذا الالتزام هو مجرد خدعة .

واصر الزعيم خوجه على ان البانيا لم تتدخل قط في شؤون يوغسلافيا الداخلية لكن يوغسلافيا تآمرت للقيام بتصفية جسدية لقائد الحزب الشيوعي الالباني (١) وعلى ضم البانيا الى الاتحاد اليوغسلافي لتكون الجمهورية السابعة في ذلك الاتحاد ، قاصدة بهذا الأسلوب وعلى الطريقة الامبريالية إلتهام البانيا لحل مشاكل الشعب الالباني باجمعه مرة واحدة والى الأبد .

واصر أيضا على أنه ليس لألبانيا مطالب (أقليمية في أراضي يوغسلافيا) . غير أننا نؤيد مطالب متظاهري كوسفو سنة ١٩٨١م بتحويل

---

(١) كما كان يسمى حزب العمال الالباني منذ انشائه حتى ١٩٤٨م (المؤلف)

كوسفو الى جمهورية يوغسلافية متكاملة السلطات وان هذا التأييد سيستمر باعتبار ان للألبانيين اليوغسلافيين " حقا لاينكر" ودون تردد ، إتهم خوجه الخط الاشتراكي اليوغسلافي باعتباره شكلا منحرفا سلب السلطة الحقيقية من الجماهير الشعبية واعاد الحكم البرجوازي بأن وضع الادارة الذاتية للاقتصاد في أيدي البيروقراطية اليوغسلافية المنحرفة، وان الخط المشار اليه قد قلص الى الحد الأدنى كل من الادارة الاقتصادية الاشتراكية، والادارة السياسية هذا ان لم يقصر عليها تماماً لتنشط مقولة : الخصوصية والمكانية(١) " للمخططين والمنظرين السياسيين والأفذاذ المخترعين ولموهوبي علماء الرياضة البحتة وعلماء الفيزياء على وجه الخصوص وللمبرزين في جميع مناحي الحياة ، ومن هؤلاء كبـار الساسـة وكبـار الكتـاب وكبـار الفنانـين ونطاسـي الاطباء ومن هم في وظائف خاصة يتعذر ان يشغلها غيرهم ولابد أن يتميز ذوو تلك المهارات عن غيرهم . وفي رأي الزعيم خوجه فإن الخروشوفيين (٢) السوفييتيين هم أشد المنحرفيين (٣) المعاصرين خطرا ، ويرى أنهم " شكل من أشكال الدولة الرأسمالية " وذلك منذ أن وضعوا مراقبة الاقتصادبين يدي البيروقراطيين ومن يسمونهم بالخبراء الاقتصاديين الذين لايخضعون الاقتصاد للمبادئ السياسية ، بل يتعبدون في محراب الاقتصاد المطلق الهادف الى النفع العام دون الخضوع للمؤتمرات السياسية الآنية . واصر في نفس الوقت على ان الاتحاد السوفيتي قد احتضن سياسة " ماسمى بالمساعدات الدولية لبلدان العالم

---

(١) هذه المقولة تعني ان ذوي المهارات الخاصة الراقية الذين يشغلون منزلات خاصة يتعذر ان يشغلها غيرهم يجب ان يتميزوا عن غيرهم مقابل تلك المهارات وهي مقولة قضت على وحدة العمل . (المؤلف)

(٢) نسبة الى خروشوف الزعيم الذي عرى ستالين وانزله من سمائه في حفرة تحت أسوار الكوملين ، وفضح قسوته ، وقد تولى رئاسة الوزارة السوفيتيه في الستينات (المؤلف)

(٣) المنحرفون هم من اعطوا مفاهيم للمبادئ الماركسية تختلف عن مفاهيم ماركس ولينين وستالين (المؤلف)

الثالث " على أمل استرضاء الراغبين في التوسع من " الاستعماريين السوفييتيين الجدد ذوي النوايا الاستغلالية " كما أدان خوجه المبادئ الشيوعية الصينية سواء المعلن منها في عهد ماوتسى توتج زعيم الصين الذي برزت في عهده نظرية الهيمنة على العالم، أوفى عهد من خلفه ممن ظهرت الرأسمالية في عهدهم في الصين لتؤكد صحة الريب التي اعربت عنها البانيا الأمينة على مبادئ ماركس ولينين وستالين . وهي نفس السياسة التي تعتنقها " الأحزاب الشيوعية الأروبية(١)" التي يرى انها سلالة البورجوازية وثمرة للمنحرفين الذين حرفوا مبادئ ماركس السامية تحريفا يهدف الى التوفيق بين مبادئ الرأسمالية ومبادئ الاشتراكية على مابينها وبين الرأسمالية من تناقض طبيعي، وهو تناقض يعد خاصية من خواص الرأسمالية والشيوعية . وقد كان للشيوعية مفهوم نظري عند ماركس، فلما جاء لينين ليطبقها اصطدم بما فيها من بعد عن واقعية الحياة فأحتال على الجوهر مع محافظة على الشكل فجاء من بعده ستالين فقفز فوق تناقضاتها والزم الناس بأن يقولوا بقوله .

تقرير رئيس الوزراء

قدم السيد محمد شيخو رئيس مجلس الوزراء الى المؤتمر تقريرا عر مكتسبات البانية الاقتصادية خلال فترة السنوات ١٩٧٦ - ١٩٨٠م (الخطة الخمسية السادسة) فقال : إنه بفضل التلاحم الصلب بين فئات الشعب الالباني الذي انقذ البلاد من عواقب انقطاع التعامل مع الصين . وكانت حتى ذلك الوقت تقيم مع البانيا صلات تجارية تشمل نصف تجارة البانيا الخارجية - فقطعتها الصين فجأة ردا على الانتقادات الحادة التي وردت في خطابات خوجه . وادعى شيخو ان النمو الاقتصادي قد وصل خلال الفترة

(١) اصطلاح يطلق على الأحزاب الشيوعية في الدول الأوربية الرأسمالية (المؤلف) .

التي يتحدث عنها الى ٤,٥٪ من مجموع الانتاج الاشتراكي ، كما ادعى ان مجموع النمو الصناعي قد بلغ ٦,١٪ من مجموع الانتاج الصناعي ، اي ان مجموع الانتاج الصناعي البالغ ٤,٠٪ من مجموع الانتاج العام تفوق على ماكان قد انتج حتى سنة ١٩٧٥م . ويقول : ان انتاج الصناعات الكيماوية قد تضاعفت في نفس الفترة . أما السلع الاستهلاكية فإن انتاجها قد زاد خلال الخطة الخمسية السادسة بنسبة ١٩,٨٪ ، وزاد مجموع الانتاج الزراعي بنسبة ٢١,٤٪ مقابل مجموع الانتاج العام خلال الخطة الخمسية الخاصة ١٩٧١ – ١٩٧٥، أما التصدير فقد ارتفع بنسبة ٣٣٪ . وقال السيد شيخو متحدثا عن تطوير أهداف الخطة الخمسية السابعة مورداً الأرقام التي تشير الى الأهداف التي يجب تحقيقها في سنة ١٩٨٥م باعتبارها الزيادات المستهدفة بالنسبة إلى ماتم حتى سنة ١٩٨٠م . وذكر أن مجموع الانتاج للخطة الخمسية السابعة خلال الفترة المذكورة قد زاد زيادة تفوق النسب المئوية التى تزيد عن المكتسبات المحققة في فترة الخمسية السادسة واردف قائلا : أنه خلال الخطة المستقبلية سيولى اهتماما خاصا استغلال منابع النفط الى الحد الأقصى ، كما ستعمل البانيا على تكريره بحيث لاتحل سنة ١٩٨٥، حتى يرتفع معدل انتاجه الى مايربو عن ٥٠٪ أو ٦٠٪ عن مجموع الانتاج المحقق حتى سنة ١٩٨٠ . واكد ان إنتاج خام الكروم سيرتفع بمعدل ٢٩٪ . أما ارتفاع إنتاج النحاس فيبلغ ٥٣٪ ، وسيرتفع انتاج معدن النيكل لهذا العام ٥٠٪، وخطط لارتفاع انتاج الفحم الحجري بنسبة ٤٨٪ ، بينما سيرتفع انتاج الكهرباء بمعدل ١٦٪ ويتوقع أن خام الكروم المنتج كله بالإضافة الى ٧٨٪ من خام النحاس المنتج و٤٣٪ من خام النيكل المنتج ستتم تنقيتها واعدادها سبايك صافية قابلة للتصنيع داخل البانيا نفسها . وفي خطابه في أول نوفمير احاط السيد شيخو المؤتمر علما بأنه ستزاد الاستثمارات أثناء تنفيذ الخطة

الخمسية السابعة بنسبة تتراوح بين ٢٢٪ و٢٤٪ فوق معدلها خلال الخطة الخمسية السادسة وستهيأ الفرصة لزيادة عدد طلبة الدراسات العليا بنسبة ٤٥٪ ، أما كلية الهندسة الصناعية فستخرج مابين ٤٣٪ و٤٥٪ زيادة عمّن ثم اعدادهم وتخريجهم سنة ١٩٨٠، أما الصناعات الكيماوية فسترتفع بنسبة تتراوح بين ٦٣٪ و٦٥٪ . أما المحاصيل المكثفة فستغل ماسيصل الى ٩٠٪ من مجموع المحاصيل الزراعية .

مصرع محمد شيخو رئيس مجلس الوزراء

" من أعان ظالما سلط عليه " لم تنطبق هذه المقولة على أحد مثل انطباقها على أنور خوجه وأعوانه ، وبخاصة رئيس وزرائه محمد شيخو رفيق المشوار منذ التحاقهما معا بأول خلية شيوعية في تيرانا سنة ١٩٣٨م . ولم يفترقا قط منذ أوبة خوجه من المهجر الى البانيا حتى يوم مصرعه عندما أعلن خوجه نبأ انتحار شيخو يوم ١٩٨١/١٢/١٨، في بلاغ رسمى جاء فيه :

" ان شيخو قد اقدم على الانتحار (١)، الذي لايقدم عليه الا الجبناء ، اذ ان الانتحارلايليق بالشيوعي الحر ، وانتحار شيخو دليل على اجرامه في حق ألبانيا الغالية ، وبالتالي فليس للشعب الالباني الا ان يحرم شيخو من الاحتفال الو طني بدفنه " . كما أصدر خوجه بيانا طويلا خلاصته " ان على الأمة الالبانية ان تمحو اسمه من ذاكرتها" . وعقب هذا البيان مباشرة تم اعتقال زوجته وأولادهما وجميع اقربائه ومن بينهم ابن أخيه الذي كان يشغل منصب وزير الدفاع في حكومة شيخو ، وأشيع عنه أيضا أنه انتحر خجلا من فعلة عمه" . وممن اعدموا بعد شيخو صهره وهو وزير أيضا في نفس الحكومة وعدد من أعوانه ، وليس غريبا ان يقدم خوجه على مجازر

---

(١) من خطابه الذي أعلن فيه حرمان شيخو من جنازة وطنية (المؤلف) .

بشرية من هذا النوع فقد سبق له ان قتل بيده الوزيرة (ليري جانما) عضو المكتب السياسي - وكانت حبلى في الشهر السابع - لاتهامها بإخبار خروتشوف بأمر سعي خوجه سرا لأنشاء علاقات مع الصين الشعبية ، كما اعدم وزير الدفاع السابق (بأكير بالوكو) الشريك في انشاء الحزب الشيوعي منذ الساعة الأولى ، وهو في نفس الوقت قائد الجيش الذي حمى خوجه وحركته من مؤامرات الأمريكين والانجليز والروس . كما أنه أمر بقتل ثلاثة عشر عضوا من المكتب السياسي ، والوحيدمن أولئك الأعضاء الذي نجا من القتل أو الاغتيال هو (رامز عالية) رئيس الجمهورية الحالي الذي خلف أنور خوجه ، في مناصبه كلها وعلى رأسها الأمانة الأولى لحزب العمال و في رئاسة الجمهورية وذلك بعد أن انتخبته اللجنة المركزية للحزب أمينا عاما للحزب مغلبة له على منافسه " عادل شرشاني" فيلسوف الحزب ومنظره ومرشحه لخلافة أنور خوجه .

وفي ديسمبر ١٩٨٢ ، نشر أنور خوجه كتابا اسماه " التيتويون" طافح بالتهم المنثالة على محمد شيخو واصفا اياه بالعمالة للولايات المتحدة ولبريطانيا ولألمانيا ولايطاليا وللسوفيت وليوغسلافيا ، وانه مارس التجسس لكل هؤلاء منذ ماقبل الحرب العالمية الثانية ، وليكون اداة نسف لسياسات خوجه وانه اكتشف - عندما تآمر مع ابن اخيه وزير الداخلية على تنفيذ مخطط اعده التيتويون المتأولون بتحريض من الامبرياليين لتصفية أنور خوجه بالسم - فلما افتضح المخطط انتحر محمد شيخو (١) . وما من

(١) نشرت جريدة الحزب " زيزي إي بوبوليت " يوم ٢٧/٢/١٩٨٥، ان شيخو رئيس الوزراء السابق قد " صفى" عقب اجتماع لقادة الحزب غير القابل للانفصال عن الشعب " وقد ترجم الاعلام غير الالباني كلمة " صفى " بكلمة " أعدم " لكن السفير الالباني بالنمسا صرح بأن كلمة " صفى" انما استعملت بمعناها السياسي [لا البدني] (المؤلف) .

شخصية عامة من رفاق أنور خوجه ، سواء الوزراء أم أعضاء اللجنة المركزية للحزب أم النواب أو المتقلدين لمسئوليات تجعلهم معروفين عند العامة اختفت عن المسرح السياسي اختفاء غير طبيعي الاوكتاب " التيتويين" يسئ الى تاريخ كل منهم والى ماضيه وبخاصة محمد شيخو والسيدة " جاغا" وزيرة الشؤون الاجتماعية اذ نالهما النصيب الأوفى من التشهير والوصم .
وعقب صدور هذا الكتاب شرعت محاكم أنور خوجه في سلسلة من المحاكمات السرية استغرقت ٢١ شهرا تبعها حركة تطهير في شكل تصفية جسدية طالت كلاً من السيد"فيجو شيخو" ابن أخ محمد شيخو وزير داخلية سابق والسيد " قدري حسبي (١)" وزير دفاع سابق والسيد "زيجتشتي " وزير صحة سابق والسيد "اللامبي" مدير الأمن العام في مقاطعة ملورى ثم رئيس الأركان العامة .

وحمل الرأي العام اليوغسلافي على أنور خوجه ، ثم التهبت الحملة بعد الاعلان عن انتحارمحمد شيخو رئيس مجلس الوزراء يوم ١٨/١٢/١٩٨١ . وقد كان اقرب أعوان خوجه لمدة تناهز الثلاثين سنة ، كما اشاعت الصحف اليوغسلافية ، ان شقاق حدث بين خوجة وشيخو أدى إلى ارغام شيخو على الانتحار ، كما أنها لن تستبعد قتله . وتدور قصة يتسار بها الالبانيون في المهجر خلاصتها : ان شيخو دفع رأسه ثمنا للسؤال الذي كان يدور في أعماق سريرة كل ألباني ، ولايجرؤ أحد على طرحه . والسؤال - بالطبع - هو : ماذا بعد أنور خوجة ؟ ومتى يحين حينه ؟. والقصة كما رواها أحد موظفي شيخو المقربين ، تتلخص فيما يلي :
"توالت نوبات مرض السكر على خوجة طوال سنة ١٩٨١ ، وذهب خلال احدى تلك النوبات في غيبوبة عميقة استمرت أكثر من ساعة،

(١) Keesing Volume XXX P : 32794 .

صاحبها ارتعاش وعرق بارد وشحوب شديد وتبلد في الحس وتخشب في الجفون حتى كفت عن الرمش ، ويظهر أنه أفاق من غيبوبته فجأة دون أن يشعر به أحد ، وخلال همس الأطباء مع من حوله أبدى شيخو توجعاً وفاه بعبارة مؤداها :" هل حان لألبانيا ان تودع زعيمها " ؟ فأسرها " الدكتاتور في نفسه ، ولم يكد يبل من مرضه حتى خطط لقتل هذا الوقح الذي تجرأ على تصور ان ألبانيا يمكن ان تفقد زعيمها مانحها الحياة ، فدبر أمره بحيث يستفز محمد شيخو في احدى جلسات مجلس الوزراء . ويظهر ان شيخو قد استجاب للاستفزاز فهم قائما ليخرج محتجاً ، وهذا ماكان يتحينه خوجه ، فما ان استدار خارجاً حتى أطلق خوجه رصاص مسدسه على قفاه ، فسقط شيخو يتشحط في دمه ، ولعله مات دون أن يدرك من هو قاتله (١)، وكانت وفاته يوم ١٨ ديسمبر سنة ١٩٨١(٢) .

(١) ذكرت الصحافة الأجنبية ان انور خوجه ومحمد شيخو كانا صديقين حميمين وشريكين في النشاط السياسي منذ سنة ١٩٤٥ .

(٢) Keesing Volume 39 P. 7,9,1,3.

الفصل السادس

"الاعلام العالمي يعتم على أخبار ألبانيا و أخبار زعيمها أنور خوجة"

بالرغم من كل هذه الفضائح التي مارسها طاغية البانيا الذي اشتهر بالقيصر الأحمر لكثرة مالطخ يديه بدماء الابرياء وغير الأبرياء ، فقد ندر ان تشير الصحف في العالم الشيوعي ، أو في العالم الغربي الى الفظائع التي يقترفها أنور خوجه وذلك بسبب التعتيم على اخباره في وسائل الاعلام لكلا الفريقين الشيوعي والرأسمالي حرمانا له من الاشهار الاعلامي الذي اثبتت التجارب ان خوجه في سبيل الحصول على لقب (صانع أخبار عالمية) هو على استعداد تام للأقدام على أبشع الجرائم مادام هذا العمل يجعل اسمه حديث الصحف والإذاعات ، أما عملية التعتيم هذه فقد كانت وفق قرار أكد في مؤتمر سري عقده صحافيون من مختلف أنحاء العالم الغربي في قرية مورج قرب لوزان في مارس سنة ١٩٥٨, ولتغطية الهدف الأساسي لحرمان خوجه صيغ القرار في شكل " حرمان الدكتاتوريين في الغرب والشرق من ثمار الاعلام(١) بتجاهل مايقدمون عليه من فظائع مهما كانت مبررات ذلك الاقدام ، لأن نشر أخبارهم سيكون مناسبة لأن تنشـر الصحف وشاشات الإذاعة المرئية صورهم وأخبارهم ويكونون محور حديث في محطات الإذاعة المسموعة والمرئية ." ولم يكشف قط أن مالك مجموعة الصحف الالمانية اشبرينجر هو الذي دفع تكاليف ذلك المؤتمر ، وقد عقد مؤتمر شبيه له على

---

(١) Keesing Volume XXX P : 31972 .

نفقة نفس الشخص في كينيا ، اتخذ قرارات مؤيدة لقرارات مؤتمر مورج وذلك عندما كثرت أحاديث الجرائد الغربية والشرقية عن فظائع زعيم دولة مجاورة لكينيا. ونشرت مجلة شار في زاخي " الساخرة التي تصدر من هامبرج ان" " اشبرينجر" دفع تكاليف ذلك المؤتمر نيابة عن صديقه اليهودي " ماردوخ" مالك مجموعة الصحف الكبيرة في بريطانيا وأمريكا واستراليا التي تناصر إسرائيل في جميع مواقفها .

والقليل الذي نشر عن البانيا وعن خوجه كان معظمه قد كتبه صحافيون من العالم الثالث أشهرهم صحافيون اتراك ، وقرأت لصحافي هندي شيوعي دراسة عميقة عن إعداد اجيال من شباب مابعد " عصر المنحرفين" وزعيمهم خروتشوف ليكونوا استالينيين أوفياء، وكان محتوى الدراسة وفيا جدا لعنوانها ، وقرأت استطلاعا في مجلة الجمعية الوطنية للجغرافيا التي تصدر في واشنطن ، كتبه صحفي تركي اسمه محمد بيير (1) ، وقد نشر الاستطلاع في عدد كبير من الصحف والمجلات العالمية . واقتبست من نشرة ايطالية تصدرها الجبهة الوطنية لتحرير البانيا نص المقابلة التي اجراها صحافي تركي مع وزير خارجية البانيا في يناير ١٩٨٥م أي قبل وفاة خوجه بتسعة وتسعين يوما ، دون تعليق الجبهة على ما دار في المقابلة التي نصها :

س : هل تفكرون في اعادة العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية بعد أن قطعتم علاقاتكم مع كل من روسيا والصين ؟ .

ج : عقب قطعنا لعلاقاتنا مع الصين حاول الأميريكيون الاتصال بنا لكننا صددناهم لأننا لانرغب مطلقا في قيام علاقة بيننا وبينهم .

س : أن الرئيس أنور خوجه هو رمز البانيا اليوم ، وقد ناهز السابعة والسبعين فهل سيحدث في البانيا بعد غيابه مثلما حدث في الصين الشعبية

(١) National Geographic Magazine N °4 Vol 180 Oct 1980 .

بعد وفاة ماوتسي تونج ، وهل من المتوقع ان تتراخى قليلاحدة الالتزام بالمبادئ الاستالينية ؟

ج : انك تقارننا بالبلاد المحكومة من قبل الحكام الجاحدين للشيوعية الحقيقية الذين نصمهم بأنهم " المنحرفون " . كلا ياسيدي فنحن شعب وحزب متلاحما أشد التلاحم ، وتعاليم أنور خوجه تشير لنا نحو الاتجاه الصحيح ولن نتحول عنها قط ، وأضاف الم تسمع قول الزعيم خوجه في الرد على من لامه على قطع علاقاته مع الصين بعد أن قطعها مع الروس .

" ان البانيا بقيت القلعة الوحيدة اللينينية الماركسية الحقيقية في العالم " وصرح وزير الدفاع لنفس الصحفي بما يلي :

نحن نعتمد كامل الاعتماد على قوانا الذاتية بدلا من الاعتماد على العون الخارجي وعلى القروض الأجنبية ، اننا سنحطم الحصار الاقتصادي وسنكسر الطوق الذي تضربه علينا الامبريالية والمصرفيون . ولاغرو في أن تكون هذه هي سياسة البانيا التي قررها أنور خوجه الذي لدغته السياسة في كل حنية من حنايا عقله حتى انهارت في نفسه القيم الانسانية كلها مثل ما انهارت فيه القيم الدينية كلها من قبل ، ولم يبق عنده أي وزن لأية قيمة دينية أو اخلاقية تحول بينه وبين الانقلاب على اصدقائه ، أو دون خيانة عهده لهم أو دون الاقدام على أي خاطر مفاجئ مهما الحق من ضرر بالبلاد والعباد، ولعل الجو السياسي الذي نشأ فيه، أثر في تكوين هذه النزعة في عقله الباطن منذ دراسته للثورة الشيوعية في روسيا ، حيث وجد أن " كيرينسكي (١) " وأعوانه لينين وتروتسكي قد اطاحوا بالقيصر وحكومته ولم يلبث لينين ان اطاح بزميل الكفاح كيرينسكي . كما لم يلبث ان طرد زميل الكفاح الأخر تروتسكي ولو أمد الله في عمر لينين لأطاح به ستالين ، ونجد خروتشوف يطيح أدبيا بستالين بعد موته بمدة قصيرة بعد أن عجز عن

(١) أتاترك و خلفاؤه ص ٢٠٦ .

الاطاحة به في حياته ماديا .

جوانب مشرقه في حياة أنور خوجة

يرى الفلاسفة أنه لاوجود للشر المطلق، كما أنه لاوجود للخير المطلق ، وهذا ينطبق على أنور خوجه إذمامن إنسان كله خير وآخر كله شر، وليس من الانصاف في شئ اغفال الجوانب الخيرة التي رافقت اعمال هذا الرجل خلال الأربعين سنة التي تولى فيها المنحرفون السلطة في البانيا . فالشعب الالباني سيطر عليه الجهل قرونا ، وحكمه مايصحب الجهل من عادات سيئة ، فقبل عهد خوجه كان يحكم البانيا قانون الثأر وهو قانون يوجب على أقرب رجل لقتيل ما أ ن يثأر له ، ولو أحجم على هذا الثأر لعاش محتقراً في مجتمعه حتى يضطر الى الهجرة بعيداً عنه ، وبالتالي كان مسلسل القتل للثأر ولغيره امراً عادياً لايلفت الأنظار ولايثير الاشمئزاز ، وكان لقانون ليك (١) غير المكتوب سيطرة كاملة على الجزئيات اليومية لحياة الفرد الالباني ، وهو مجموعة قواعد اجتماعية عرفية تنسب الى حكيم الباني عاش منذ قرون ، شديدة الشبه بالوصايا العشر عند اليهود ، غير ان اليهود يخالفون الوصايا سراً وعلناً ، أما الالباني فلم يكن يجرؤ على مخالفة قانون ليك حتى ألغاه أنور خوجه في خطاب أمام الجبهة الوطنية الديمقراطية ، وهو الخطاب الذي عاب فيه " تمسك الحمقى والمغفلين والمتعصبين للديانات والعقائد والتقاليد الرجعية، وهي أمور عفى عليها كلها الزمن واجتازتها الأحداث كقانون ليك ." وفي الحقيقة فإن قانون ليك غير المكتوب لم يكن الالباني ليجرؤ على خرق حرمته لأنه يحث على مكارم الاخلاق ومنها ان الغريب آمن على نفسه وماله وعرضه حتى يغادر البلاد ، كذلك للأنثى حرمة وللأطفال والعجزة نفس الحرمة والتبجيل ، فلا يقتل مرافق أي منهم مهما كانت

---

(١) Tomorrow You Die P 10 .

الظروف ، بل وله حق الضيافة والاكرام اذا رمته الاقدار على بيت من يطالبه بثأمر، دون ان يعرف . ومع ذلك فهو قانون صارم فيه القصـاص القاضـي ان " العـين بالعـين والسـن بالسـن" .

ولنساء الاعداء حرمة لايعتدي عليهن ولايؤسرن ولايقتلن ولايقتل رجل يسير برفقتهن ولا يفرق بينهن وبين أولادهن غير البالغين ، ولايقتل رجل يسير برفقة امرأة مجهولة، احتراما لتلك المرأة، أو برفقة غريب ويجيز قانون ليك المهادنة بين الخصوم لأجل معلوم قائم على مجرد وعد ، إذ ان كلمة الالباني هي وعد له قوة القانون لايخفرها قائلها مهما كان السبب ، ولابد أن يقسم المتهادنان قسم " البيسة" . وهو قسم لم ينتهكه أي الباني في التاريخ .

ومن حسناته التي تذكر فتشكر، أنه أوجد أمنا عاماً بين أفراد الشعب ، فقل الاعتداء والشغب وانعدم التأمر بالقضاء على أسبابه وكان التأمر أمراً شديد الشيوع ، استجابة لماقضى به قانو " ليك" غير المكتوب ، ولم يعد يخجل الالباني من خطبة امرأة أو مقابلة ابنائه وبناته قبل ان يثأر لقتيل من أفراد عائلته ، بل صار الرجل يؤاكل أمه قبل أن يثأر لأبيه القتيل ، وهو أمر مستحيل الحدوث قبل أيام خوجه . وكان الثأر اخطر أسباب تأخر البلاد في المجال الزراعي بخاصة، و في مجالات الاقتصاد بعامة ، وازدهار الزراعة يقتضي أمناً شاملاً والأخذ بالثأر من أكبر أسباب زعزعة ذلك الأمن .

ومن حسناته ذات الأثر العميق في رقى الشعب الالباني . نشره للتعليم الالزامي بين من هم في سن التعلم حتى انعدمت الأمية في هذه الشريحة من المجتمع ، ويقدم نظامه تعليما معقولا لكل من يطلبه من بقية افراد الشعب ، ولاجرم ان يفعل هذا ، فأنور خوجه مدرس ، وعلينا ان لاننسى ان الشعب الالباني عاش طول تاريخه محروما من نظام تعليمي شامل ولايلتفت الى ماكان يقدم في المدن فيما بين الحربيين العالميتين من بعض التعليم لمن

يطلبه ، فقد كان قاصرا على النخبة، ولاحظ فيه لعامة الشعب .

وفي رأي الكثيرين أن أكبر حسنات أنور خوجة هي حرصه الشديد البالغ حد الهوس على استقلال البانيا ، ولم يبال في سبيل الاحتفاظ بذلك الاستقلال بالتضحية بالمنافع المادية ، وبالدعم السياسي والعسكري ، ان كانت تلك المنافع وذلك الدعم قد يعرضان استقلال البانيا لشائبة من التبعية . ومن حسناته النادرة بين امثاله تقشفه الشديد في حياته الخاصة والعامة ، وامساكه عن محاباة اسرته وذويه ، وانصاره على حساب الخزانة العامة اذ جعل من نفسه قدوة يقتدي بها في الاقتصار على الضروري من النفقات ، فقد اشتهر بشدة التقتير على نفسه قبل غيره ، وكان دقيق المحاسبة لنفسه ولأعوانه على الدانق والدرهم ولايجود بالمال إلا في بابين اثنين : مصالح مخابراته المتعددة، وانشاء التحصينات العسكرية وتزويدها بوسائل الدفاع التي لايشبع من تكديسها . أما قمة حسناته في نظري فهي قضاؤه على الانحلال الاخلاقي الذي برز بين الشباب الالباني زمن الاحتلال الايطالي وطيلة فترة الحرب العالمية الثانية نتج عنه كثرة الأمهات غير المتزوجات . كما ظهرت بوادر ميوعة بين عدد من شباب المدن . ولكن خوجة – رغم إلحاده – حارب هذه الظواهر المشينة حتى قضى عليها أو اضطرها للأختفاء . كما أنه تعقب المتشردين محترفي القمار وتجار الرقيق الأبيض فشردهم وارعبهم حتى اضمحلوا ولقد أحسن الى البانيا – على غير قصد – حينما لم يسمح مطلقا لأرباع المتعلمين وانصافهم بأن يتولوا المناصب العليا في الحزب وفي الحكومة ، فلم يتول أي الباني منصب الوزارة اذا لم يكن مؤهلا تأهيلا جامعيا ، وبخاصة الوزارات الفنية البحتة كالتعليم والدفاع والصحة والمالية والتخطيط ، وبالرغم من اصراره على تركيز جميع السلطات في يده هو الا أنه أحاط نفسه ببطانة كبيرة يتمتع أفرادها بقدر ملحوظ من النقاء والخبرة والأمانة العلمية الفائقة ، وكان خوجه لايتردد في

الاستفادة من تلك الخبرات وما عرف عنه أنه اتخذ قراراً في أي أمر فني لم يستشر بشأنه من يثق في قدرته على تقديم المشورة العلمية المخلصة مع أنه كان كأي عملاق أخر في شعوب الدول النامية يتمتع بسلطة مطلقة في اتخاذ أي قرار مهما كان نوعه إلا ان خوجه كان يحب ان يصنع شيئا لألبانيا ، ومن هنا كان حرصه الشديد على أن يستمع إلى أهل الخبرة، ويقدمهم على أهل الولاء معتمدا على قدرته على مراقبة كل من اعوانه مراقبة دقيقة و لحطمه اذا ماجاوز حده، أو تطلع الى سلطة تجاوز اختصاص وظيفته أو سعى الى انشاء علاقات ود وصداقة مع أصحاب النفوذ الذين لايعيش في محيطهم الاجتماعي والعلمي ، وكذلك اذ اكثر تردده على افراد أو مجموعات هم موضع شكوك شرطته السرية . لأن أنور خوجه يرى أنه من الحزم الأخذ بالظنة .

الرئيس رامز عليه

ولد لأسرة مسلمة فقيرة مقيمة بمدينة اسكودرا بشمال البانيا في ١٨ أكتوبر ١٩٢٥ وبالرغم مما قيل عن انضمامه إلى الشباب الفاشيستي أيام الاحتلال الايطالي فقد إلتحق بالحزب الشيوعي سنة ١٩٤٣م وشارك في نشاط المقاومة المسلح ضد الاحتلال الايطالي الالماني ، وبعد تحرير البلاد من سيطرة دولتي المحور ، عيّن مفوضاً في القوات المسلحة ثم انتخب عضواً في اللجنة المركزية للحزب سنة ١٩٤٨م كما شغل منصب وزير التعليم والثقافة سنة ١٩٥٥م ورشح لعضوية المكتب السياسي " البوليتبرو" للحزب ثم صار عضواً كامل العضوية في سنة ١٩٦١م . ثم انتخبه المؤتمر السابع للحزب رئيساً للجمهورية سنة ١٩٨٥م وقد سجل المراقبون تمتعه بتأييد متنام من قبل الفئة الوسطى من مستخدمي الدولة عسكريين ومدنيين

وبخاصة أثناء احتجاب أنور خوجه عن الاجتماعات العامة لعدة أشهر منذ ربيع ١٩٨٤م حتى نوفمبر من نفس السنة، وخلال تلك الفترة ألقى عدة خطب بالغة الأهمية وبخاصة الخطاب الذي ألقاه بحضور أنور خوجة بعد ابلاله مباشرة بمناسبة احتفال ألبانيا بمرور أربعين سنة على تحررها من الاحتلال الالماني، وهي احتفالات عمت البانيا كلها أيام ٢٧،٢٨،٢٩ نوفمبر سنة ١٩٨٤م واطلق عليها بعض المؤرخين إحتفالات " وداع خوجه" إذ هي آخر احتفالات وطنية يحضرها، كما تميزت بأنها الاحتفالات القومية الوحيدة التي حضرها خوجه ولم يلق فيها خطابا ولكن صدر بلاغ يحدد السياسة الرسمية تحت قيادة خوجه موجه الى الشعب الألباني أذيع من الاذاعة المسموعة بتيرانا ، ولسطوع نجم رامز عاليه في تلك الاحتفالات أعطى انطباعاً للناس بأنه هو الخليفة المنتظر وقد هاجم رامز عاليه " أولئك الذين حاولوا نسف نظامنا الاشتراكي ليعيدوا بناء الرأسمالية على انقاضه . بما فيهم محمد شيخو، كما اشاد بجهود البانيا في بناء الاشتراكية رغم الظروف الصعبة التي خلقها التطويق والحصار اللذين يضربها الامبرياليون، فضلاً عن محاولاتهم الشرسة المتكررة للقضاء على أعدائهم عن طريق التدخل الفاضح في شؤونهم بمحاصرتهم وتسليط الضغوط عليهم بالكيد والدس " انتخبت اللجنة رامز عاليه أميناً أول لها يوم ١٣/٤/١٩٨٥م وبشغله لهذا المنصب صار من حقه أن يرث جميع المناصب التي كان يشغلها الأمين الأول السابق أنور خوجه . ومن حقه أيضاً أن يحتفظ بمنصب رئاسة مجلس الوزراء اذا شاء .

باشر واجباته فور إنتخابه ، وكان أول قرارات رامز هو الاعتذار عن استقبال أي وفود سواء تلك الموفدة من دول الكتلة الغربية أو من دول الكتلة الشرقية أو من أي جهة كانت بقصد المشاركة في تشجيع جنازه الرئيس السابق ، كما رد برقية تعزية بعث بها الاتحاد السوفييتي ، ولم يسمح لغير

الالبانيين بالمشاركة في تشييع الجنازة، وإن سمح لبعض السفراء المعتمدين في تيرانا ممن تربطهم بأنور خوجه رابطة صداقة خاصة ، وكانوا قلة .

ومرت الأسابيع الأولى على الرئيس الجديد - الباسم أبداً - وجميع المعنيين بشؤون البانيا يترقبون رؤية ملامح سياسة الرئيس الجديد، وأصاخوا السمع إلى أية نأمة أو نبأة تصدر عن اذاعة تيرانا ، وطال الانتظار ، ولم يغب عن أحد أن ماتراكم خلال أربعين سنة لن يزلزل في أربعين يوماً أو أربعين أسبوعاً ، غير إنه سجلت علامات انفراج لاتخطئها عين المتأمل البصير ، منها :

١ - لم يقتل أو يعتقل أي ألباني لسبب سياسي منذ تولي الرئيس عاليه السلطة .

٢ - تم الافراج عن بعض المعتقلين دون محاكمة ،وعن جميع المساجين الذين أمضوا ثلثي الحكم الصادر عليهم .

٣ - سمح لبعض الالبانيين بالسفر إلى الخارج للعلاج أو لرؤية أقاربهم المقيمين اقامة طبيعية في الدول المجاورة .

٤ - استقبلت الحكومة الالبانية وفداً فرنسياً كبيراً يقوده أحد وكلاء الخارجية ويضم ٢٨ صحفيا كانوا ينتظرون الحصول على التأشيرة الالبانية منذ ثماني سنوات .

٥ - استقبلت تيرانا وفداً جزائرياً كبيرا برئاسة الشريف مساعديه مسؤول الحزب عن الاتصالات الخارجية وصاحب النفوذ الملحوظ في حكومة الرئيس الشاذلي بن جديد .

٦ - تردد بين الالبانيين قصص حول رفع تمثال لستالين من أحد الميادين بحجة حاجة التمثال للترميم العاجل ، تؤكد القصص إنه لن يعود إلى مكانه ، وبقطع النظر عما في هذه القصص من صدق فإنها وأمثالها ماكانت لتطوف بأذهان الالبانيين في عهد خوجه .

٧ – وآخر ماسجله المراقبون هو الالتماس الذي رفعه سكان المناطق الجبلية المتضررة من الجفاف " طلباً للمعونة ودفعاً للجوع الناتج عن غياب المطر " وكانت الاستجابة الفورية من الرئيس عاليه لتقديم المساعدات المطلوبة موضع دهشة الشعب كله ، إذ لو رفع مثل هذا الملتمس في عهد خوجه لقابلته الشرطة السياسية " السيقوريمي " بترحيل الموقعين على الالتماس إلى معسكرات العمل الاجباري أو إلى المعتقلات التي لاعودة منها ، حدث هذا الأمر المدهش غير المعتاد فشبع الجياع واكتسى العراة من المعونة التي تجرأوا على طلبها على الرغم من نمط الحكم الاستاليني الذي مازال يسيطر على جميع مناحي الحياة ، وجعل الالبانيين في دهشة فهم مايزالون لايستطيعون أن يصديقوا أن القبضة الفولاذية التي كانت تنشب باعناقهم قد تراخت على الرغم من تأكيد وزير الخارجية ان شيئاً لن يتغير في البانيا حتى بعد غياب خوجه عن المسرح السياسي .

٨ – لأول مرة في تاريخ البانيا الشيوعية يسمح للفرق الرياضية ان تشارك في دورة دولية فقد اذن الرئيس رامز عالية بالسماح بالمشاركة في الدورة العاشرة لالعاب البحر الأبيض المتوسط وبخاصة لأن الدورة اقيمت في مدينة ذات شهرة هي اللاذقية في بلد اسلامي هو سوريا ، ومع ان هذه المشاركة هي أول احتكاك لها بالفرق الأجنبية في غير قطاع كرة القدم فإنها حصلت على أربع ميداليات مذهبة وميداليتين فضيتين وست ميداليات برونزية ويتوقع ان تتواصل مشاركتها في دورات دولية قادمة .

٩ – المؤتمر التاسع للحزب . وهو أول مؤتمر يعقده الحزب في عهد الرئيسي عاليه ، الأول منذ وفاة خوجه . اقر الخطة الخمسية الطموح التي تهدف الى تحقيق زيادة في الدخل القومي (وهو الناتج المحلي الاجمالي بإستثناء الخدمات) تبلغ مابين ٣٥و٣٧٪ .

١٠ – لمس المراقبون زيادة توجه الرئيس عالية نحو تحسين مستوى حياة

الفرد الاقتصادية بالاندفاع نحو التنمية الاقتصادية وابرز علامات هذا التوجه هو اقرار الخطة الخمسية الطموح بإجماع أعضاء المؤتمر التاسع .

١١ - طالب الرئيس عاليه أعضاء الدوائر العليا في حزب العمل الحاكم بتهيئة اذهان أعضاء الحزب وعددهم ١٢٠ ألف عضو لقبول فكرة إلغاء التعديل الذي ادخله خوجه على الدستور وهو تعديل يحرم على البانيا قبول أي عون خارجي سواء أكان هبات أم قروض .

١٢ - اعاد الرئيس عالية ربط العلاقات الدبلوماسية مع المانيا الغربية تمهيدا لزيادة التبادل التجاري بين البلدين ، مقابل عدول البانيا عن مطالبتها بالتعويضات عن خسائرها جراء احتلال الجيش الالماني لها زمن الحرب . وتعهدت المانيا بشراء فائض انتاج البانيا من معدن الكروم بثمن مجز جداً. كما وعدت بالتوسط بين بريطانيا والبانيا لتسوية مابينهما من خلافات تسوية تؤدي الى استرداد البانيا ذهبها المخزون في بريطانيا . وتحصل بريطانيا على تعويض عن بارجتيها اللتين اغرقتهما البانيا .

١٣ - هناك مفاوضات سرية جارية لربط علاقات سياسية مع بعض الدول العربية وسيتم ربط هذه العلاقات قبل عقد المؤتمر العاشر للحزب .

١٤ - السماح للألبانيين الطاعنين في السن بالسفر الى الخارج لزيارة ابنائهم واحفادهم سواء أكانوا اقارب للزوج أو للزوجة ولم يكونوا مطلوبين للقانون .

١٥ - السماح بالعلاج في الخارج للالبانيين المرضى الذين لايمكن علاجهم داخل البلاد ولم يصلوا الى الحالة الميئوس من شفائها .

١٦- تمكن خمسة من الالبانيين من أداء فريضة الحج في الموسم الماضي وهم أول مجموعة من الالبانيين المقيمين في ألبانيا يحجون منذ ان استولى أنور خوجة على السلطة وان كان اداؤهم لفريضة الحج كان على نفقة اقاربهم المقيمين في الخارج وكانوا هم في زيارتهم . وعند عودة هؤلاء الحجاج إلى ألبانيا لم يتعرضو لأي أذى .

التحولات الإجتماعية والسياسية في البانيا على عهد الرئيس رامز عالية

كما سبق أن تنبأنا سار الرئيس رامز عاليه نحو الإنفتاح على العالم بخطى وئيدة حذرة ليقينه من أن ما أقامته الشيوعية الخوجية المتعصبة خلال أربعين سنة من قيود وسدود بين الشعب الألباني والعالم الإسلامي والشعوب غير الشيوعية لايمكن إزالته في أربعين أسبوعاً بل إننا نجد أن الرئيس عالية قد إحتاج إلى أربعين شهراً ليهز أسس الشيوعية في بلاده وليعد شعبه نفسياً لتقبل وضع جديد، ولينجح في طمأنته على أن نظام أنور خوجه قد ذهب إلى غير رجعة . كما أن الألباني العادي من عامة الشعب إحتاج إلى سنوات خمس ليصدق بأن " السيقوريم " أي الشرطة السرية التي أذاقته الويل لم تعد تتحكم في فكره وحريته ورزقه ، ومر كل ذلك الزمن قبل أن يستعيد الإحساس بكرامته فيرفع رأسه ويتبعه بصوته .

صحيح أن الشعب الألباني بدأ تمرده – تاريخيا – على النظام الشيوعي الستاليني يوم ١٢ – ١١ – ١٩٨٥ وهو النظام الجائر الذي فرضه أنور خوجه على من اخضع لسلطانه من الألبانيين منذ سنة ١٩٤٥ حتى يوم وفاته في ١٢ – ٤ – ١٩٨٥ حيث أورثه لخليفته رامز عالية ، أي أن الشروع في التمرد بدأ بعد ستة أشهر بالضبط من يوم وفاة أنور خوجة الرجل الذي ضحى بحرية ورخاء وتقدم الشعب الألباني في سبيل تطبيق ذلك النظام . وكانت طليعة التمرد لجوء ستة أشقاء إلى المفوضية الإيطالية بتيرانا (١) كانوا رجلان وأربع نساء ولم يكونوا مجرد شبان متحمسين أغرار بل كان أكبرهم في الثانية والستين كما كان أصغرهم في الخامسة والأربعين وما أن

---

(١) L'Espresso 17/7/1987.

قابلهم السفير حتى آذنوه بأنهم لاجئون سياسيون يطلبون الحماية فترة يتمكنون خلالها من مغادرة ألبانيا بسلام فإن لم يمنحها لهم فسينتحرون جماعياً أمامه قبل أن يتمكن أحد عن اعتقالهم ، وأطلعوه على قنينة تحوي سائل أصفر أخبروه بأنه سم ناقع (١) .

كان لجوء الألبانيين الستة إلى المفوضية الإيطالية حدثاً دبلوماسياً لاسابقة له في إلبانيا مما سبب حرجا للحكومتين، ولم تستطع الحكومة الإيطالية التقاعس عن منح حق اللجوء السياسي لمجموعة من البشر ينشدون الحرية وهم معرضون للإعتقال إن لم يتعرضوا للقتل ، كما لم تستطع الحكومة الألبانية التغاضي عن لجوء بعض مواطنيها إلى مفوضية أجنبية خشية أن يصير لجوءهم سابقة تتبعها أخريات ، وهذا ماحدث بالفعل وإن تأخر بضع سنين إذ لم تهل سنة ١٩٩١ حتى تقافز الشباب الألباني فوق أسوار السفارات والمفوضيات بالعشرات والمئات طلباً للجوء السياسي، فلما كثرت إحتجاجات الدول وإضرابات الشعب الألباني اضطرت حكومة رامز عالية إلى تغيير أساليبها ونظمها في الحكم . بعد أن تبينت استحالة اخفاء انباء مايطرأ في العالم الشيوعي وغيرالشيوعي من تغييرات عن الشعب الالباني ، وبعد أن تيقن عمق تأثر الالبانيين بتلك الأحداث ، وشارك في ذلك التأثر تسريب كميات كبيرة من مطبوعات الغرب وكذلك الارسال المرئي الموجه الى البانيا فتجرأت الجماهير على المجاهرة بآرائها ومطالبها . وحينئذ لم يسع حكومة رامز عالية سوى اعادة النظر في تعديل الدستور تعديلاً يسمح بحرية التعبد وماتقتضي تلك الحرية من اعادة المساجد والزوايا والتكايا والكنائس والاديرة والمعابد وجميع الأوقاف الدينية كل وقف الى مالكه الشرعي . ومن أهم ما ادخلته على الدستور من تعديل الغاءها

(١) Bid.

للمادة التي تحرم على البانيا قبول مساعدات من الدول الأجنبية أو الاقتراض منها ، واضافة مادة دستورية تسمح بتعدد الأحزاب .

وفي جو استعادة الجمهور الالباني لحرية افراده أصدرت الحكومة أوامر ادارية تسمح للألباني بالخروج من البانيا والعودة اليها متى شاء . كما افرجت عن معظم المساجين السياسيين ونسبة كبيرة ممن قضوا معظم المدد المحكوم بها عليهم في جرائم عادية .

اعقب تعديل التشريعات الالبانية ذيوع مظاهر الحياة المعتادة في العالم الغربي فقامت احزاب تزاحم حزب العمال الالباني [كان يسمى بالحزب الشيوعي وغير أنور خوجه اسمه الى حزب العمال عقب شجاره مع الزعماء الروس] وقام كل فريق بالتظاهر تأييدا لحزبه واجريت انتخابات نيابية لأول مرة منذ الحرب العالمية الثانية فاز فيها حزب العمال الالباني بالأغلبية المطلقة وتكونت على اثرها حكومة ترأسها الوزير السابق فاتوسي نانو غير ان الجماهير المشرئبة للتغيير لم ترض عن نتائج الانتخابات ولاعن تكوين مجلس الوزراء الجديد فحرمته من أي تأييد شعبي وشرعت في القيام بالمسيرات فالمظاهرات وانتهت الى الاضرابات . وتتابع اشتراك مختلف قطاعات العمال في تلك الاضرابات تأييدا لاضراب عمال المناجم(١) " المطالبين بإقالة حكومة نانو حتى بلغ مجموع المضربين ٣٥٠٠٠٠ عامل وبعد أن تحولت الحركة الى اضراب عام شل جميع مظاهر الحياة وزاد من حدته اضراب مائة عامل عن الطعام مع اعتصامهم في اجواف مناجمهم واستمر اضراب الجوع ذاك احد عشر يوما، مما اضطر حكومة نانو إلى

(١) تستغل ألبانيا مناجمها لاستخراج معادن الكروم و النحاس و الحديد تصدر بعضها و تصنع البعض الآخر و تستخرج من مناجمها نوعا من الفحم الحجري غير الجيد تستخدمه في توليد الكهرباء الحرارية . (المؤلف)

الاستقالة . وفي ضوء ما اتفقت عليه الاحزاب والنقابات وأعضاء مجلس النواب كلف الرئيس عاليا المهندس بيلي بوفى وزير التموين في الوزارة المستقيلة بتشكيل وزارة ائتلافية شارك فيها حزب العمال والحزب الديمقراطي والعديد من اتحادات النقابات وستستمر الوزارة في حكم البلاد حتى حلول صيف ١٩٩٢م موعد الانتخابات الجديدة .

انه من الصعب التنبؤ بما سيحدث نظراً لما يفور في البانيا من غليان سياسي ابرز مظاهره مايشاهد من هجرة جماعية الى البلاد المجاورة حيث فر الى اليونان ماينيف عن خمسة الآف الباني مهاجر ستتبعهم آلاف أخرى مالم تنجح الحكومتان الايطالية والالبانية في ايجاد وسيلة لايقاف تلك الهجرة ،علما بأن الحكومة الايطالية قد أصدرت قراراً بالزام الالبانيين باحترام شروط الهجرة المقررة قانونا في ايطاليا . كما اعلنت اعادة كل مهاجر الباني الى بلاده اذا عجز عن الوفاء بالالتزامات القانونية . كما وصلت مجموعات لم يعلن عن عددها الى كل من تركيا والمانيا والنمسا واتجهت اعداد أخرى الى مالطا وغيرها من بلاد البحر المتوسط .

وصاحب اعادة اللاجئين الى البانيا كثير من الشغب والتمنع والتهديد بالعودة لمجرد سنوح الفرصة . وتبين فيما بعد أن الذين قادوا حركة رفض العودة كانوا من الجنود الفارين من الجيش، أو من المطلوبين للخدمة العسكرية ولم يلتحقوا بها في الموعد المحدد . وأكدت الوقائع صحة هذا النبأ إذ أن العائدين تعرضوا في موانئ ومطارات البانيا للتمحيص من قبل فصائل الشرطة العسكرية وتم اعتقال الفارين من الخدمة ومن لم يلتحقوا بها .

نجدة المسلمين لإخوانهم الالبانيين

ما ان انفرج أمر التضييق الديني على الالبانيين حتى سارعت الهيئات العربية القائمة بالدعوة للإسلام - وفي مقدمتها جمعية الدعوة الاسلامية العالمية الى زيارة الشعب الالباني للنظر فيما يمكن أن يقدم له من عون . وقد حمل وفد الجمعية اعدادا كبيرة من ترجمات معاني القآن الكريم الى اللغة الالبانية كما سلم مبلغا ذا بال مخصص لترميم المساجد . وكلف شركة هندسية بإجراء مسح شامل للمساجد القائمة ودراسة متطلباتها توطئة للنظر فيما يمكن أن يفعل بها . ومن الهيئات الاسلامية التي بادرت بزيارة ألبانيا ممثل للندوة العالمية للشباب الاسلامي بالنمسا ووفد من الاتحاد الاسلامي الكوسفي بيوغسلافيا ووفد عن رابطة العالم الاسلامي مكون من ٥٢ عضواً من بينهم ممثلون عن هيئة الاغاثة الاسلامية العالمية ومنظمة العالم الاسلامي والمصرف الاسلامي للتنمية وجامعة الأزهر . ومن علامات انفتاح البانيا على العالم العربي والاسلامي اتفاقها مع جمهورية إيران الاسلامية على تبادل التمثيل الدلوماسي ، فيما بينها، وفتح كل بلد منهما سفارته في البلد الأخر قبل نهاية سنة ١٩٩١م . كما ان المفاوضات جارية بين البانيا وشقيقاتها من البلاد الاسلامية على تبادل التمثيل الدبلوماسي في أقرب فرصة ممكنة .

خاتمة

عندما شرعت في تأليف هذا الكتاب ، لم يدر في خلدي أنني لن أجد مندوحة عن الخوض في نظريات الاشتراكية المختلفة من أقصى يمينها ، كالتي أطلقوا عليها تجوزا " الاشتراكية الاسلامية" ، الى أقصى يسارها ، وهي التي أطلقوا عليها حقيقة " الاشتراكية الشيوعية " ، ولكني عندما غصت في دراسة شخصية أنور خوجه . وجدت أنني لن أجلو شخصيته للقارئ إلا اذ هيأت له أسباب الإحاطة بمختلف جوانب هذه الشخصية لإرتباطها الظاهري الشكلي بالاشتراكية الماركسية .

و كما أوضحت في مقدمة هذا الكتاب فإنني ملتزم بإيضاح المنهج الذي اتبعته في كتابته، و اتباعا لما اختططته فسألخص الدوافع التي رسخت اعتقادي بأن أنور خوجه لم يفهم الشيوعية وبالتالى فكيف يؤمن بما لا يفهم ؟ كما انه لم يهضم الصور الأخرى للاشتراكية ، وكل ما إلتزم به في مئات الخطب والمحاضرات التي القاها، وفي عشرات الكتب التي ألفها خلال فترة حكمه الطويلة لم يزد على ترديده لقوالب تعبيرية محفوظة كررها طول عمره ، وقد اطلعت على ماترجم منها الى الايطالية ، فما وجدته خرج قط من سجن العبارات التي يعرفها كل من له المام بالمذهب الشيوعي . أما مناقشاته في القضايا الفكرية الشيوعية فهي توحي بأنه رجل لديه فكرة مايبحث لها عن مبررات وحجج ليقنع بها الاخرين. وما من مرة قرأت له شيئا الا غمرني احساس بأن الرجل لايؤمن بما يقول ، وأن دافعه الوحيد لقول ما قال هو ان يجعل الناس يؤمنون بأنه من عمالقة الكتاب الماركسيين

المفكرين ، واني موضح في الاسطر التالية كيف توصلت الى هذا الرأي الذي لا أتوقع قبوله لدى كثير من القراء بالنظر لما اشتهر به أنور خوجه من التصاق بالشيوعية المتطرفة حتى صار علما عليها وصارت الشيوعية علما عليه ، ولنأخذ رأس الشيوعية " كارل ماركس " نفسه لنرى الى أي حد فهمه أنور خوجه . ان كثيرا من العلماء ومن اشهرهم الاشتراكي الفرنسي " جابربيل ديفيل أكد في مقدمته للترجمة التي وضعها لكتاب " رأس المال " ان ماركس لم يتظاهر قط أنه ابتكر علما لم يسبقه اليه أحد . بينما قدس أنور خوجه ماركس بإعتباره " خالق " الشيوعية . كما أن خوجه لايسلم بأن هناك طرقا كثيرة لتطبيق الماركسية ، وانما يتمسك بأن الشيوعية لاتسمى شيوعية الا اذا فهمت وفق تفسير " لينين" لمبادئ ماركس ، وكل من لم يفهمها فهم لينين فهو منحرف REVISIONIST ". اي ان أنور يرى المتأول جاحدا للشيوعية الحقيقية وان تسمى باسمها ، وهذا ماجعلني أصمه بأنه لايفرق بين الثبات على المبدأ وبين جمود المبدأ نفسه . ولا يعترف خوجه بأن الشيوعية ماهي إلا مدرسة متطرفة من المدارس العديدة للإشتراكية ذاتها لو لم يتخذ منها لينين منهجا للحياة الروسية بعد نجاح ثورة أكتوبر فلربما لم تتح للشيوعية فرصة لوضعها موضع التطبيق ، اذ ان نجاح الشيوعية في روسيا لم يكن ناتجا عن عوامل في الشيوعية تؤدي بالضرورة الى نجاحها ، وانما نجحت لأن لينين من المعجبين بالماركسية فاتخذها منهجا حياتيا ، ولو كان معجبا بمدرسة اشتراكية أخرى لكانت المدرسة الثانية هي السائدة في روسيا الآن ، فقد كان الجو النفسي العام للشعب الروسي على استعداد لتقبل أي نظام ينجح في الحلول محل النظام القيصري وكان ٩٥٪ من الشعب الروسي لايدركون سنة ١٩١٧ ماهية الشيوعية . وفي وقتنا الحاضر لم ينتسب للحزب الشيوعي أكثر من سبعة ملايين روسي ولو فرضنا ان ضعفهم يفهم الشيوعية ولو لم يؤمن بها ،

فسيكون مجموع الروس الذين فهموا الشيوعية أربعة عشر مليونا . وهي نسبة ضئيلة بالقياس الى اجمالي الشعب الروسي البالغ ٢٧٠ مليونا .

وكتب كثيرون عن التطور الفكري الاشتراكي مثلما كتب خوجه ، إلا أننا نجد في محاولات الكتاب الجدد من شرح الفكر الماركسي ولا نعدم من اثرى ذلك الفكر ، بينما نجد أنور خوجه لم يزد على تكرار العبارات المحفوظة ، غير ربطها يجمل من عنده لاتضيف الى الحصيلة العلمية للقارئ شيئا . وإذا عثرنا في كتبه على إشارة عابرة للمدارس الاشتراكية التي اشرنا اليها فهو في الغالب يلحق تلك المدارس بأوصاف عامة ليقينه من أن أي مدرسة اشتراكية ليست الشيوعية وفق فهم لينين فهي اسم بلا جسم ، فالاشتراكية العلمية مبسطة (١) والاشتراكية الاسلامية (٢) محاولة فاشلة للجمع بين الدين والاشتراكية وكذلك النظام الاشتراكي الاسلامي . كما سخر ممن فسرو الآية الكريمة " و في أموالهم حق معلوم " بأنها أساس الاشتراكية الاسلامية قائلاً : انه احتيال على جعل جميع الطبقات تسلم بأن الأموال هي أموال الأغنياء تحت شعار أن فيها بعض القروش كحق معلوم للسائل والمحروم ، ولم يقل لنا هل من ضامن لحصول السائل والمحروم على ذالك الحق الهزيل ؟ ويؤسس على ارائه تلك ، قاعدة تفيد بأنه ليس من اشتراكية في نظر أنور خوجه مهما كان اسمها ، تقارب الاشتراكية الشيوعية ، أي اشتراكية رأس المال ومصادر الانتاج ، وهي اشتراكية تعطي الأولوية للبدن المشاهد الملموس، بدلا من ان تجري جرياً أحمق وراء الخيال الذي يسمونه روحاً أي أنها اشتراكية مادية تغلب البدن على الروح كما ذكرت الدفاتر الفلسفية للينيين ، ولايتفق معظم المفكرين

---

(١) خطابه الذي اعلن فيه اعتناقه للألحاد (المؤلف)

(٢) نفس المصدر .

العالمين مع ماركس في ايمانه بالمادة دون الروح فهم يرون الانسي الذي لاهو شيطان ولاهو ملائكة بل هو نفس وروح ثم بدن مكون من كتلة من دم ولحم وعظم و أعصاب ولبن وفرث وشعر واظفار يجمع في تركيب خلايا بدنه ٣٥ عنصراً من بينها الجير والحديد والكبريت والفسفور إذا اشتريت خاماتها من السوق لما زاد ثمنها عن دينارات أربعة ولو افترضنا ان الماديين محقون في اعتبار الانسان مادة مطلقة، من التراب تكونت ،وفي التراب تذوب ، منكرين الروح والنفس فإنهم يكونون قد تجاهلوا أن الأنسيه فيه بجانب المادة الملموسة روح – وهي أسمى مافيه – ونفس تذوق الموت عند الوفاة ، كما فيه عواطف من كره وحب وغرائز من شهوة وعفة وشره وقناعة وهذه وتلك ليست مواد تلمس ولكن يدرك وجودها برؤية اثارها . ولو عرفنا مقادير الاجزاء المكونة للمادة الجسدية وركبناها التركيب الصحيح لما استطعنا ان نخلق منها انسانا اذ ليس في الأسواق أنفس وأرواح تباع لنشريها كما اشترينا الخامات التي ركبنا ، منها البدن . وبالتالي فالشيوعية الماركسية اخفقت كما اخفق أنور خوجه في اصرارها على أن الانسان مجرد مادة . ولقد فات خوجه عند انسلاخه عن الدين تقليدا منه لكارل ماركس ، ان ماركس عندما حاول ان يتخلص من " اليهودي" لينجو من اضطهاد الغربيين للبلاد تنصر في آخر عمره ، وعلى الرغم من ذلك فلم يحس قط بأنه تحرر نهائيا من يهوديته ، وبقى يهوديا في نظر نفسه ونظر الناس . فلجأ الى انكار الأديان كلها ، وأوغل في الفلسفة المادية التي تنكر الدين والديان واستبدل المخلوق بالخالق، واتخذ من الانسان نقطة البداية في التفكير الواقعي المجرد من الاعتبارات العاطفية والاخلاقية .

ونحن لم نتعرض لمساوئ الرأسمالية بنفس التفصيل لضيق المقام مع أنها لاتقل شرا عن الشيوعية ، كما أوضح الشاعر الذي اقتبسنا بيتا من

شعره لنعنون به فصلا يتحدث من الشيوعية والرأسمالية . فالمتأمل المتأني في كلا المذهبين المتعارضين يجد ان الشيوعية تسقط اوزارها على الرأسمالية في نفس الوقت الذي تسقط فيه الرأسمالية ذنوبها على الشيوعية، بينما يحمي الاسلام الانسان من " ان يكون مكرها على الاختيار بين نار الاستغلال الرأسمالي (١) بأسم حرية الفرد ، وبين زمهرير الطغيان الفئوة البروليتارى باسم مصلحة الجماعة " وقد عجزتا كلتاهما عن توفير السعادة لمعتنقيها ، وسيجد المستقرئ للبراهين التي استعرضناها - إثباتا لعجز خوجه عن فهم الاشتراكية الشيوعية - سيلا من تلك البراهين فيما قال وفيما كتب ، ولايعنيني جهله بالشيوعية في حقيقة ذاته . لو لم يصر على أن " البانيا هي قلعة الماركسية الحقيقية في العالم . وسنسوق برهانين آخرين الأول يتعلق بالاخلاق الافلاطونية ، وهي اخلاق مقررة سلفا بواسطة العرف الاجتماعي، أو بواسطة الدين، مقبولة نظريا من المجتمع الذي قرر لمخالفها عقوبات، بينما الشيوعية تعكس هذه النظرية فتقول : عندما يقدم الانسان على عمل ما ، فعليه ان لا يتقيد بما سبق ان قرر من قبل لتقييم ذلك العمل ، اخلاقيا ، لأن الانسان يخلق افعاله على مثال لم يرسم له من إله أو قدر فللإنسان هيمنة كاملة على قدره الذي هو من صنعه هو نفسه ولايدخل في صنعه قوة من خارج الانسان، سواء أسميناها ربا أم قدراً أم حظا . وهذا المفهوم يردده أنور خوجه ببغاوياً .

الثاني يتعلق بالمبدأ القاضي بأن الاخلاق هي صور نموذجية لطرق تعامل الفرد في مجتمعه . وتجربة تطبيق الشيوعية في روسيا مدة تقارب السبعين سنة أي جيلين من البشر - اثبتت ان الاخلاق العامة لاتصاحب بالضرورة ، الحياة السياسية في تطورها . ومع أنه تنشأ صور من العلاقات توائم

(١) ماركسية القرن العشرين . روجيه غارودي ترجمة نزيه الحكيم .

التطور ولكنها لصيقة مدة طويلة بالاخلاق الموروثة ، وفي هذا شاهد على عجز فهم خوجه للشيوعية وعجزه عن هضمها عندما يقول : " الدين (١) لاشأن له بحرية الحب ، كما لاشأن له بالزواج ، اذ ان الزواج في البانيا موسس على توافق وجهات النظر السياسية . ووجهات النظر الثقافية ، ولا دخل للعواطف فيه اذ العواطف تتقلب تقلبا يتنافى مع استقرارالحياة الزوجية " ، ويرى ان الزوجين اذا قامت علاقتهما على مشاركة كل منهما للأخر في النظرة السياسية والنظرة الثقافية فتلك العلاقة تشكل قاعدة صلبة تضمن استقرار الحياة الزوجية بينهما ، أما اذا تزوجا على غير هذه القاعدة فزواجهما يحمل في طياته بذرة الصراع المنتهي بالافتراق في قابل الايام ، اذ ان غياب توافق نظريتهم السياسية والثقافية سينخر حياتهما الزوجية فتنتهي بالإنفصال .

ولادعى انني قد استقرأت كل البراهين التي اثبتت عجز خوجه عن فهم الاشتراكية الشيوعية ، لكنني اعتقد لو ان خوجه كان على قدر من الفهم للشيوعية ولغيرها من المدارس الفكرية السياسية والاقتصادية والاجتماعية (٢)، لفهم معنى آلاية الكريمة " وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم " ولوجد نفسه قادراً على تحقيق اهداف الاشتراكية دون ان ينسلخ من دين ويرغم شعبه على الإلحاد يقول الاستاذ غارودي " ان الجزائري ذا الثقافة الاسلامية يستطيع ان يصل إلى الاشتراكية العلمية بدءا من منطلقات أخرى ، غير سبيل هيجل وديكارت أوسان سيمون ، فقد كانت له هو الآخر اشتراكية طوباية " .

(١) شؤون الشيوعية العالمية – لسنة ١٩٨٢ .

(٢) ماركسية القرن العشرين لروجيه جارودي ترجمة نزيه الحكيم .

حول مراجع الكتاب

نظراً لندرة المراجع حول الفترة التاريخية لألبانيا بخاصة ودول البلقان بعامة التي يعنى بها هذا الكتاب فلم أهمل أية وثيقة تيسر لي الإطلاع عليها ، وربما أقتبست معلومة بنصها فاكتبها بين علامتي ، تنصيص ، كما أفعل بترجمتها إذا أخذتها من مرجع غير عربي .

أما إذا أخذت من المعنى دون النص فانني لا أشير إلى المرجع وإن ذكرت اسمه في ثبت المراجع لمن أراد التوسع في الاطلاع على مراجع هذا الكتاب ولطول عناوين بعضها وصعوبة كتابتها في ذيل كل صفحة عند توثيق المعلومة المذكورة في الصفحة ، فقد أكتفيت بذكر الكتاب والصفحة اعتماداً مني على القائمة الحاوية للمعلومات الكاملة عن كل مرجع وثقت منه معلومات هذا الكتاب .

المؤلف

د.محمود التائب

المراجع العربية

المؤلف	اسم الكتاب	الطبعة	تاريخها	المكان	ص
مصطفى الزين	أتاترك وحلفاؤه	الأولى	١٩٨٢م	بيروت	
محمد أمين غالب الطويل	تاريخ العلويين			بيروت	
محمد عمر	يهودالدونما			بيروت	
	مجلة العربي الكويتية			الكويت	
ستيورت دزموند	تاريخ الشرق الأوسط الحديث	الثانية	١٩٨١م	بيروت	

المراجع اللاتنية

1 - Peter R. Prifti The Albanian Party Of labor and The Intelligentsia , East Europian Quarterly N 3 Vol VIII

2 - Elez Bibery "Albanian - Yugoslav Relation and The Question of Kosove" . East Europian Quarterly N 4 January 1983.

3- Ost Europa 32 Yargang Heft 9 september 1982

4 - Colino MacDogall , China at The cross road Financial Times - 9 12 1985 .

5 - Feliks Polansky Albanians Peasants feel the heat The Observer 10 - 11 - 1985 .

6 - Keesing's Contemporary Archives London

7 - Newman Bernard,"Tomorrow You Die" Albanian Jarney Bitman , london .

8 - "D. Kostich Dragos" , The land and People of The BalKans,lippincott Filadelphia Fifth printing .

9 - W. Montgomery, Watt the Majesty that was Islam? 1931.

10 - AN OUTLINE HISTORY of the world, H.A.DAVIS , .M.A London.

11 - Year book on International Communist AFFAIRS 1977 - 79 - 83 .

12 - Enciclopedia dei Personaggi Storici Dr . Hans Hertz- Feld .

13- Curzio Malaparte . "la pelle"Mondadori Milano .

14 - Dizionario di cognizioni utili,Unione Editrice Torinese .

15 - Keesing's Contemporay Archives,London

16 - National GEOgraphic (Magazine) official Journal Washington D.C.

17 - Jacomini di San Savino . la Politica dell'Italia in Albania Editore Cappelli . Rocca San Casciano

18 - E 'morto lo Zar Rosso D' Albania - Domenica del corriere Milano

19 - Cos' e' l'identita' ebraica , intervista con lo Scrittore Giorgio Noghera Panorama N° 1022 Milano

20 - Historia . Mensile Milanese .

21 - Storia Illustrata . Mensile Milanese

22 - Roberto Morozzo della Rocca "Nazuane e Religione in Albania (1920 - 1944)". il Mulino Ricerca

ثبت موضوعات كتاب البانيا عبر القرن العشرين

الفصل الخامس

الفصل السادس

تم الطبع بمطابع إديال
الدارالبيضاء - المملكة المغربية